أهمية المخطوطات الإسلامية

أعمال المؤتمر الافتتاحي
لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

أهمية المخطوطات الإسلامية

أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

ديسمبر ١٩٩١/جمادى الآخر ١٤١٢

لندن
١٤١٣/١٩٩٢

اهمية المخطوطات الإسلامية

رقم النشر: ٤
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
Eagle House,
The High Street,
Wimbledon,
London SW19 5EF,
United Kingdom

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

الخطاب الافتتاحي

الحمد لله الذي علم بالقلم - علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأمي، الذي أقام بدعوته صرح حضارة إنسانية عالمية، قوامها العلم والإيمان، أضاءت أركان المعمورة بنورها، وأحيت النفوس بقيمها، ورفعت شأن الإنسان عقلا وروحا وعلما.

ثم خبا ذلك الضوء أو كاد ، ولم يبق منه إلا القليل - ومن ذلك القليل ما تركه لنا أجدادنا في بطون الكتب، تراثا خالدا، وعلما نافعا، أفادت منه الحضارة الغربية المعاصرة.

وامتدت يد الطبيعة رطوبة وحرارة، يساعدها عامل الزمن، والإهمال، لكي تهلك تدريجيا هذا التراث.

وكواحد من أحفاد أولئك الأجداد، كنت أحس بالأسى والمرارة، لا يخفف من ذلك إلا ما تقوم به تلك المؤسسات الخيرة، التي تعنى بالتراث وحفظه. وكنت أتوق دائما إلى أن يكون لي شرف المساهمة في هذا الواجب الكبير.

وما أن تخلصت من ربقة العمل الحكومي، حتى شعرت أن الوقت قد حان لكي أحقق حلما كان يراودني عشرات السنين. ولم يكن الأمر سهلا ولا ميسرا. وتلفت يمنة ويسرى، فوجدت أخي وصديقي الدكتور سيد حسين نصر، فأعطاني من وقته، وجهده، فوضعت اللبنة الأولى في صرح هذه الدار، ووضعنا لها ميثاقا ينص على أهداف معينة هي:

- إجراء رصد شامل لمكتبات المخطوطات الإسلامية في العالم
- دراسة وفهرسة المجموعات التي لم تفهرس بعد
- تحقيق ونشر ما استطعنا من المخطوطات الهامة

واعتزمنا تحقيق هذه الأهداف، سواء وحدنا، أو بالتعاون مع هيئات أخرى، تشاركنا الرؤية والبرنامج..

وقد قام فريق من العلماء، والمختصين، بإنجاز هذا النذر اليسير مما حققناه من الواجب الكبير. وأكرمنا الله بالصفوة المختارة من العلماء، الذين قبلوا المشاركة في المجلس الاستشاري الأعلى لهذه الدار، وفي مجلس خبرائها، وأكرمنا الله بكم، إذ قبلتم المشاركة في هذا المؤتمر، الذي نعلن فيه رسميا ولادة هذه المؤسسة. ولقد طوقتم عنقي بما قدمتم وما سوف تقدمون، وسيجزيكم الله إن شاء الله على ما فعلتم وما سوف تفعلون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أحمد زكي يماني

مقدمة

يضم هذا المجلد أعمال مؤتمر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الذي عقدته بمقرها بلندن، بمناسبة افتتاحها في جمادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ / ديسمبر سنة ١٩٩١م حيث دعت المؤسسة أنذاك عددا من كبار علماء الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وأوروبا، وآسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، ليقدموا أبحاثا في عدة موضوعات تتعلق بالمخطوطات الإسلامية.

أنشئت مؤسسة الفرقان كمبادرة هامة من معالي الشيخ أحمد زكي اليماني، وتتابع نشاطها بتوجيه منه وتحت إشرافه. وقد شرح الشيخ أحمد زكي اليماني برنامج المؤسسة الكبير وأهدافها النبيلة ووصف البواعث التي دعته إلى تأسيسها، وذلك في خطاب معاليه الافتتاحي، المنشور في مستهل هذا المجلد.

إن الأبحاث التي قدمها السادة العلماء تشكل مساهمة أولى منهم في نشاط المؤسسة التي تهدف إلى حفظ وفهرسة ذلك الكم الهائل من المخطوطات الإسلامية المتناثرة حاليا في جميع أرجاء العالم، والبحث الذي بدأت به المؤسسة نشاطها العلمي، والذي أوشك على الاكتمال، هو المشروع الكبير لرصد ووصف مجموعات المخطوطات الإسلامية في العالم أجمع. وقد أخذ بعض السادة العلماء هذا المشروع في اعتباهم فقدموا أبحاثا تبين خبرتهم الكبيرة بمجموعات المخطوطات، أما الآخرون فقدموا أبحاثا تعالج موضوعات في تخصصاتهم العلمية. وننشركل الأبحاث التي ألقيت في المؤتمر في هذا المجلد باللغة العربية ـ أما المجلد الإنجليزي فننشر فيه منتخبات فقط.

يقع هذا المجلد في ثلاثة أجزاء:
الجزء الأول: يشمل الأبحاث التي تعالج تراث المخطوطات الإسلامية بشكل عام.
الجزء الثاني: يشمل الأبحاث التي تركز على المخطوطات الإسلامية في مناطق جغرافية معينة.
الجزء الثالث: يشمل الأبحاث المتخصصة في واحد من العلوم الإسلامية.

يبدأ المجلد بمقال للدكتور جورج مقدسي يقترح فيه مشروعا كبيرا لإنشاء ما يسميه بـ"المركز الأم" لصيانة وفهرسة المخطوطات الإسلامية ـ وهو مشروع قدمه منذ سنوات في محفل آخر، ولم ينفذ منه شيء. وينوه الدكتور مقدسي بأهمية العمل الذي تعتزم مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي القيام به.

أما مقال شيخنا الجليل الأستاذ محمود شاكر، فيحكي فيه عن رجال عرفهم في صباه وشبابه، رجال أحبوا المخطوطات، فأحب هو مراقبة مشاعرهم نحوها وتفاعلهم معها، ومقاله يمدنا برؤية شخصية ثمينة لمصر في مطلع القرن، وبلمحة للحب والاحترام الكبيرين الذين يكنهما العالم التقليدي للكتب والمخطوطات.

ويؤكد الدكتور سيد حسين نصر في مقاله على أهمية صيانة وفهرسة وتحقيق المخطوطات، مشيرا إلى أهداف مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لأن تراث المخطوطات الإسلامي تراث غني، ولكنه ـ بالمقارنة مع أي تراث آخر للمخطوطات ـ لم يحظ حتى الآن بما يستحق من الاهتمام. ويقول الدكتور نصر :"إن ضاعت جميع الأعمال الخطية للفيلسوف «كانت» مثلا، ستبقى للعالم أعماله المطبوعة، ولكن هذا لا يسري على أعمال المفكرين المسلمين ـ حتى المشاهير منهم كابن سينا مثلا. ومما يزيد الأمور سوءا أن هناك العديد من مجموعات المخطوطات التي لم تفهرس بعد، مما يقودنا إلى الظن بأن هناك كنوزا من المخطوطات لا ندري عن وجودها شيئا، وقد تكون في خطر، مثلها كمثل معظم مجموعات المخطوطات التي تعاني من عوامل الإهمال، بل والإتلاف، المختلفة، ومن عدم توفر الإمكانيات لصيانتها وفهرستها".

أما في المقال الأخير من هذا الجزء، فيتخذ البروفسور ولفرد مادلنج مثالا من عمله عبر عدة سنوات في تحقيق نص لفيلسوف وعالم القرن السابع الهجري، نصير الدين الطوسي، ليلقي به الضوء على المشاكل التي تواجه أي محقق حين يحاول أن يصل إلى أكمل وأدق شكل ممكن لنص ما. ويتحدث البروفسور «مادلنج » عن تتبع التراث الخطي للنص، واقتفاء أثر مخطوطات معينة، غالبا ما توجد في مكتبات نائية، ومحاولة استبعاد اللبس المبني على أخطاء النساخ، وما إلى ذلك من مشكلات التحقيق.

أما الجزء الثاني من المجلد ـ وهو الجزء الخاص بدراسة المخطوطات الموجودة في رقعة جغرافية معينة ـ فيبدأه الدكتور إراج أفشار بمناقشة حول مشكلات تدريب العاملين في فهرسة المخطوطات الإسلامية. ويركز الدكتور أفشار على المخطوطات الفارسية، فيذكر أن معظم فهارسها قد أعدها علماء تكونت خبرتهم عبر ممارسة سنوات طويلة، وهذه الخبرة قد لا تنتقل دائما إلى طلبتهم ومن يأتون من بعدهم، ويتقدم الدكتور أفشار بعدة اقتراحات حول تصميم منهج دراسات عليا للتخصص في فهرسة المخطوطات.

يقدم الدكتور أنجليو ميكيلي بيمونتيزي عرضا للمخطوطات الإسلامية في الغرب، وبالذات في إيطاليا، ويلفت انتباه القارئ إلى المخطوطات الموجودة خارج مكتبة «الفاتيكان » و«الأمبروزيانا» كما يؤكد على أهمية التعامل مع المخطوطات كأعمال فنية لها جوانب أخرى متميزة خلاف النص. ويقدم الدكتور أنس خالدوف وصفا مستفيضا لمجموعات المخطوطات في الاتحاد السوفيتي السابق.

أما الدكتور رمضان ششن فيقدم عرضا للمخطوطات الإسلامية المكتوبة باللغة التركية، ويركز على تاريخ فهرستها.

ويصف الدكتور محمد صابر خان بعض المخطوطات الإسلامية الهامة الموجودة في مكتبات الهند، كما يعلّق على المعاني الدينية لممارسة فن الخط.

وقد قدم الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد بحثا (لم ينشر بهذا المجلد، وينشر بشكل مستقل في تاريخ لاحق) عرض فيه خبراته الواسعة بالمخطوطات في العالم أجمع. وكان بحثه بمثابة شهادة من عالم خبير زار معظم المكتبات، العامة والخاصة، التي تحتوي على هذا التراث الخطي الغني.

ويبدأ الجزء الثالث من هذا المجلد بمقال الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، ويصف فيه نتائج مشروع كبير يقوم به مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في إستانبول. ويبحث هذا المشروع في أصول ولغات المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن الكريم ـ وأماكن وجودها حاليا.

أما مقال علامة الجزيرة العربية، الشيخ حمد الجاسر، فيعرض المخطوطات الخاصة بتاريخ مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ويعكس حبا عميقا للمدينتين الإسلاميتين ومعرفة مفصلة بمكتبات الحجاز وتراثها الفريد.

قدم الدكتور ديفيد كنج عرضا وافيا للأبحاث الخاصة بالآلات والمخطوطات العلمية الإسلامية، كما اقترح بعض الموضوعات الهامة للأبحاث في المستقبل.

أما مقال الشيخ عبد العزيز الرفاعي، فقد بيّن من خلال وصفه لمكتبة عبد القادر البغدادي (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣هـ/١٦٢١ - ١٦٨٢م) كيف يلقي البحث ضوءا ليس فقط على الاهتمامات الأدبية لفرد معين، بل على الذوق الأدبي والاهتمامات الثقافية لفترة زمنية بأكملها.

وقدم الدكتور محمد الحبيب الهيلة مقالا مفصلا عن مخطوطات النوازل في بلاد الأندلس وشمال أفريقيا، من القرن الخامس إلى التاسع الهجري، أوضح فيه أهمية تلك المخطوطات للدراسات القانونية الإسلامية، ولفهم ظروف حياة ساكني تلك البلاد في ذلك الوقت.

أما مقال الدكتور مهدي محقق فيشير إلى النصوص الفلسفية الهامة التي تم تحقيقها مؤخرا، وينوه بالعمل الهام الذي يقوم به الآن فرع طهران من معهد «مكفيل» الكندي للدراسات الإسلامية.

وقد تميز المؤتمر بعدد من المداخلات الشيقة، باللغتين العربية والإنجليزية، وتفضل بعض الأعضاء، ومنهم الدكتور عبد الهادي التازي، والدكتور ناصر الدين الأسد، باقتراح مجالات للتعاون بين هيئاتهم ومؤسسة الفرقان، وأجاب الشيخ أحمد زكي اليماني بأن مؤسسة الفرقان ترحب دائما بالذين يمدون أيديهم لها وهي تخطو خطواتها الأولى على طريق شاق وطويل في سبيل إنجاز أعمال رائدة تنسجم مع أهداف المؤسسة.

الجزء الأول

الحفاظ على التراث والدعوة إلى دراسته

جورج مقدسي

لا شك أن الإبداع الفكري للتراث الإسلامي هو حصيلة نتاج قرون طويلة في مجالات الآداب، والعلوم، والفنون. وذلك النتاج لا يزال في أغلبه مخطوطا، لم يحظ بالنشر منه سوى ١٥٪، وهذا الجزء المطبوع أغلبه غير محقق، ولا يزال هذا التراث الحضاري الهائل، والذي يتراوح تقديره بين المليون والثلاثة ملايين مخطوط، متناثرا في كل أرجاء المعمورة. وأغلبه غير مفهرس، أو مفهرس فهرسة غير صحيحة، ولا يزال الجزء الأكبر منه مملوكا ملكية خاصة، وبالتالي لا يتيسر للسواد الأعظم من الباحثين الاطلاع عليه، كذلك فإن جزءا كبيرا منه وإن كان محفوظا فإنه محفوظ بشكل لا يفي بالغرض، فهو معرض للتلف بفعل الحرارة والرطوبة، والأرضة، والجزء المتبقي منه هو في طريقه إلى الانقراض والتلف تدريجيا.

ولقد فقدنا بالفعل أعدادا كبيرة من ذلك التراث المخطوط لا يمكن تقديرها- وإلى الأبد- وذلك نتيجة للكوارث - طبيعية كانت أو سياسية - كالحرائق، والفيضانات، والحروب وغيرها، وهذا الجزء المفقود قد يستحيل من الناحية العملية استرداده كليا من جديد، ولكن على أفضل تقدير فمن المحتمل إعادة تجميع بعضه، ولو جزئيا، وذلك من خلال البحث في المخطوطات الأخرى المتأخرة والتي قد يحتوي بعضها على أجزاء من تلك الأعمال المفقودة.

وتتعرض المخطوطات للتلف، والضياع - حتى وقتنا هذا - لأسباب متعددة، وغير ضرورية، يمكن في الغالب تفاديها، فعلى الرغم من وجودها في أماكن آمنة إلا أنها في عداد المفقود لاستحالة الوصول إليها، والاطلاع عليها،

فهي إما غير مفهرسة وقد تكون ملقاة على أرفف إحدى المكتبات، أو مفهرسة، ولكنها مبوبة في غير موضعها، وإن كان تبويبها صحيحا فلا توجد بينها وبين الأعمال المخطوطة الأخرى إحالات (فهارس إحالة)، ومن الجائز كذلك أنها ملكية خاصة، وبالتالي فهي متوفرة ومتاحة للاستفادة العلمية منها فقط لتلك القلة المالكة لها، والتي قد تكون غير مدربة للاستفادة من محتويات تلك المخطوطات، أو ببساطة شديدة لا يهمها على الإطلاق أمر تلك المخطوطات.

وفي الغالب فإن العثور- ومن ثم الاطلاع على تلك المخطوطات - لا يتيسر إلا بعد عناء شديد، وفترات انتظار طويلة، وإن تم العثور عليها فللفترة الراهنة، أو بعدها بزمن يسير، وذلك نتيجة الإهمال، وعدم الرعاية المناسبة لها، وبمرور الزمن فإن هذا التراث سيتلاشى ببطء، ولكنه من المؤكد سيتلاشى.

ومن أجل هذه الاسباب فقد يستسهل الباحثون، أو لنقل أنهم يجدوا أنفسهم مضطرين إلى الرضا، وقبول ما في متناول أيديهم من مخطوطات ومصادر، وبالتالي فغالبا ما تثمر أبحاثهم عن نتائج غير دقيقة، بل أحيانا قد تكون خاطئة، وخاصة فيما يتعلق بهذا التراث الحضاري للإسلام، وهو كذلك أحد أهم الأسباب الرئيسية في كون الحضارة الإسلامية القديمة لم تحظ إلا بهذا القدر الضئيل من الشهرة بين حضارات الدنيا الكبرى.

وحتى وقتنا هذا لم يدرس التراث الحضاري للإسلام على الوجه اللائق، ويرجع ذلك - في أكثر الأحيان - إلى أن مسألة الحصول على المصادر- وخاصة المخطوطة منها - أمر بالغ الصعوبة.

ويواجه الباحث الجاد صعوبات، ومشاكل يكاد يستحيل تذليلها من أجل مواصلة بحثه، فينبغي عليه أولا أن يحدد المخطوطات، والوثائق المتعلقة بموضوع البحث، ثم يقوم بتجميعها، وهو أمر ليس سهلا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ظروف توفر وحفظ مثل تلك المخطوطات، ثم عليه أن يحصل كذلك على نسخة من كل النسخ غير المحققة للمخطوط، والتي لا تزال باقية، ولكنها مشتتة في أرجاء الدنيا شرقا وغربا، وبعد ذلك عليه أن يحقق، ويطابق بين تلك النسخ ليتأكد أنه قد تجمع لديه نص متكامل نتيجة للدراسة، والتحقيق، والمقارنة بين أفضل النسخ الموجودة، وهكذا يتكرر ذلك فيما يتعلق بكل وثيقة مخطوطة يتعين عليه الرجوع إليها في مجال دراسته، وعندها فقط يمكنه أن يبدأ دراسة المخطوط، كمتفقه اللغة، وكمؤرخ، وهذا يحتاج إلى أعمار متعددة.

وحيث أن مثل هذه المتطلبات الضرورية لا يستطيع أن يوفي بها من لم يكتب لهم الخلود، فلا يسع الباحث إلا أن يحاول بذل قصارى الجهد، وبالرغم من

ذلك فإن النتائج عادة ما تكون غير كاملة، وغالبا لا تفي بالغرض المطلوب، وذلك لعدم ملاءمة أدوات البحث المتاحة، وقصورها، لذا فإنه ليس من الغريب أن دراسة التراث الإسلامي لا تزال بعد في مراحلها التمهيدية، ومما لا شك فيه أنه وضع يؤسف له، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار القفزات، والتقدم السريع الذي أحرزته العلوم الاجتماعية في العقود الأخيرة.

ولكي نتمكن من الاستفادة من الإمكانات، والخدمات التي يمكن أن تسهم بها فروع العلوم الاجتماعية المختلفة في دراسة التاريخ الإسلامي، لا بد من العمل - وبدون تأخير- على توفير، وإتاحة الاطلاع على المراجع، والوثائق المخطوطة - بصورة أفضل - بعد تحقيقها، ومراجعتها، ودراستها في رسائل علمية متخصصة.

إن عدد الباحثين الذين يجذبهم هذا الفرع من فروع البحث لا يزال محدودا، بسبب الصعوبات التي تكتنف البحث فى مجال الدراسات الإسلامية، ولذلك فإن الرسائل العلمية المتخصصة بالدراسات الإسلامية لا تزال شحيحة، ومن ناحية أخرى فإن عدد الباحثين المسلمين المتخصصين في تأريخ التراث الإسلامي لا يزال قليلا. وتعتمد أغلب الدراسات الموجودة في هذا الفرع من فروع البحث العلمي على المصادر المطبوعة المتداولة نفسها التي تدور حول النقاط نفسها، وتعالج الأفكار نفسها، ونفس الشخصيات التاريخية - ذاتها - لا تضيف إلا القليل إلى ما هو معروف بالفعل، ولكنها تكرر، وتعيد ترسيخ المفاهيم الخاطئة ذاتها.

الحـل المقتــرح:

يتطلب علاج الوضع الحالي مجهودا جبارا بهدف تيسير الاستفادة من تلك المصادر المخطوطة لدراسة التراث الإبداعي للإسلام وذلك في المجالين التاليين:

أولا: مجـال التوثيـق:

(١) يتطلب ذلك إعادة تصوير جميع المخطوطات الموجودة حاليا، وإطلاق حرية الاطلاع عليها، والاستفادة منها إلى أقصى حد.

ثانيـا: مجـال التدريـب:

(١) وذلك بتدريب الشباب المؤهل من الجنسين على القيام بالوظائف المختلفة - التي تتعلق بعمليات التوثيق - وذلك يشمل التدريب، واكتساب الخبرات في جميع فروع علم المكتبات، وعلم مناهج البحث التاريخي، والعلوم الملحقة به، بقصد تنمية القدرات على ضبط النصوص، والوثائق المحققة، ونشرها.

ومن الضروري إعادة تصوير جميع المخطوطات الإسلامية - التي يرجع تاريخها إلى ما قبل العصر الحديث - تصويرا بالألوان، وذلك لتحقيق أقصى قدر من الدقة والوضوح، وبعد ذلك يتم تجليدها، ثم تجمع في مركز رئيسي كبير يعتبر بمثابة المركز "الأم". وفي الوقت نفسه ينبغي عمل نسخة مصغرة "ميكرو" لكل مخطوطة على حدة - ونعني بالمخطوطة كل نسخة - من أي عمل- بغض النظر عن الحجم، سواء أكان النص يتألف من ورقة واحدة، أو عمل ضخم يحتوي على أوراق عديدة، وكذلك نعني بعبارة "جميع المخطوطات" : كل مخطوطة تقتنيها، أو تحتفظ بها مكتبة ما، وبعبارة أخرى أعني: أنها ليست عملية انتقائية، ولكنها بالأحرى إعادة مسح شامل، ويشمل هذا المخطوطات التي قد تبدو للوهلة الأولى غير مهمة، ولكن ما قد يبدو ذو أهمية قليلة بالنسبة لباحث ما قد يكون عظيم القيمة لباحث آخر، وما قد يبدو ذو علاقة هامشية اليوم قد يصبح مركز اهتمام الجميع في الغد.

إن العمل الذي يقوم به معهد المخطوطات التابع للقسم الثقافي في جامعة الدول العربية، منذ إنشائه في الأربعينات، من تصوير ونسخ (ميكروفيلم) للمخطوطات العربية وإتاحة الفرصة أمام الدارسين للاطلاع عليها في أي مكان، ليستحق أسمى معاني الإشادة، وصادق الثناء من كل باحث، مع ملاحظة أن نشاط النسخ "الميكروفيلم" التابع للمعهد يعد عملا انتقائيا، في حين أن ما نحتاج إليه هنا هو عمل نسخ "ميكروفيلم" كامل، وشامل لجميع المخطوطات، على أن يترك عنصر الانتقاء، والاختيار، للباحث نفسه، حيث أنه غالبا ما يقرر بنفسه موضوع البحث، ومن ثم ينتقي من بين تلك المصادر المخطوطة ما له علاقة بموضوع بحثه، لأن الأمر في - نهايته - يعود كليا إلى اختيار الباحث في موضوع ما، والمفترض أن تكون لديه المعرفة الضرورية بموضوع بحثه، والتي تؤهله لتحديد مصادره، وتقع على عاتقه مسئولية اختيار تلك المصادر على أساس منطقي سليم.

إلى جانب هذا المركز الأم، فإن من الضروري أيضا إنشاء مجموعة من المراكز الفرعية تنتشر شرقا وغربا، ولا يقتصر دورها على تسهيل عمليات الاطلاع، والبحث إلى أقصى حد، بل يشتمل على تحقيق أكبر قدر من الأمان تحسبا للنوازل غير المرتقبة أيضا، على أن تتبع لكل مركز من تلك المراكز مدرسة لتدريب الباحثين، والفنيين الشباب، في المجالات المختلفة ذات العلاقة بالتوثيق، والمخطوطات، والتي تبدأ بالتدريب على أعمال الحفظ، والعناية بالمخطوطات وصولا إلى أعمال الفهرسة، والتبويب، والدراسة، وأخيرا النشر.

وبعد الإمعان في دراسة هذا الاقتراح، ومناقشته بالقدر الكافي واللائق يصبح من الضروري عندئذ تأسيس هيئة خيرية يتم تمويلها تمويلا مناسبا، ودائما، حتى تستطيع القيام بالأهداف التالية:

(١) تأسيس المركز "الأم" في إحدى دول العالم الإسلامي، وبعد ذلك بناء المراكز الفرعية ونشرها في مختلف الأرجاء.

(٢) تخصيص الأوقاف اللازمة لتمويل المشروع بصفة دائمة، وذلك من أجل توفير الموارد المالية الضرورية التالية:

أ - الإنفاق على إدارة، وصيانة المبان ، والمعدات، والمنشآت العينية.

ب- دفع مرتبات الباحثين، والفنيين، وجهاز الإدارة.

ج- توفير التنافس بين الشباب من الجنسين للحصول على منح للتدريب، والتأهيل في المدارس المختلفة التابعة للمراكز مع توفير إمكانية الإقامة والمعاش.

(٣) أن يقوم المركز "الأم" باقتناء المخطوطات من المصادر التجارية، أو الخاصة، وذلك إما بالشراء، أو عن طريق الإعارة، وبعد ذلك يتم توزيع نسخ من تلك المخطوطات على المراكز الفرعية.

ومن الضروري أيضا تكوين لجنة من الباحثين، والفنيين، والإداريين المتخصصين لتجميع المعلومات الضرورية، ومناقشتها، والخروج بالتوصيات اللازمة لتنفيذ المشروع بنجاح.

ولا شك أن لمثل هذا المشروع العديد من الفوائد، فإلى جانب الفوائد الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية الواضحة، سوف يخدم هذا المشروع -وبالدرجة الأولى -الهدف المبدئي الهام، وهو :التعريف بالإسهامات الثقافية، والحضارية للإسلام في عالم ما قبل العصر الحديث، وهذا بدوره سوف يسهم في تحسين، وتعميق التفاهم بين الشرق والغرب، وتدعيم فرص الحوار، والتعاون المتبادل.

وبناء عليه لا بد أن تصدر المبادرة، وتأتي الخطوات الأولى من العالم الإسلامي لتحقيق هذا المشروع، وليس هذا النوع من دعم النشاط التربوي والعلمي غريبا على الإسلام، فالحضارة الإسلامية هي أول حضارة عرفت بتأسيس أقدم النماذج لمؤسسات التعليم العالي المتخصصة والنظامية، والتي كانت تعتمد على الأوقاف الخيرية، وتشهد القرون الأولى للإسلام على أن أهل البر والإحسان من بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم قد أوقفوا المبالغ الطائلة للإنفاق على التعليم.

من خلال تجميع عدة نسخ لكل المخطوطات التي لا تزال باقية، وعرضها في المركز "الأم"، والمراكز الفرعية، وعن طريق جذب وتدريب الأكفاء من بين الباحثين الشباب على التعامل مع تلك المخطوطات بما يتناسب وعظم قيمتها وجلال دورها، يصبح من الممكن أن يحتل التراث الفكري، والإبداع الثقافي لحضارة عالمية عظمى المكانة اللائقة به، والتي تؤهله لتلقي الاهتمام العالمي البالغ الذي يستحقه . ومما لا شك فيه :أن مثل هذا المشروع العملاق قد يواجه العديد من الصعوبات، والمشاكل المالية والسياسية والدبلوماسية، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأعداد الهائلة للمخطوطات، وتشتتها في شرق الأرض وغربها، والتي تتوزع ملكيتها بين الدول، والمؤسسات التجارية، والأفراد، والأسر، وقد تكون مجموعات متكاملة مختلفة الأحجام ، أو قد تكون مخطوطات فردية، والدول ، والأفراد كثيرا ما يرفضون التخلي عن مخطوطاتهم ولو لمجرد التصوير، هذه وغيرها من المصاعب التي ينبغي دراستها، ومناقشتها، من أجل إيجاد الحلول المناسبة لها.

وأخيرا ونظرا إلى طبيعة وضخامة هذا المشروع العملاق التي يصبح معها أمر إخراجه إلى حيز التنفيذ وباعتراف الجميع أمرا مهيبا، لذلك فإن الأمر يستدعي مشاركة، ومساهمة رجال يتمتعون بروح المبادرة وبعد النظر، ويستدعي كذلك تأسيس هيئة تستمر بعد رحيل الرواد الأوائل، لأن تحقيق الأهداف النهائية للمشروع قد يستغرق مدة أطول من حياة أي فرد.

ذكريات مع محبي المخطوطات

محمود شاكر (أبو فهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وصلى الله على سائر الأنبياء منذ آدم إلى عيسى بن مريم ـ عليهم السلام.

لست خطيبا ولا متكلما وإنما أنا كاتب. أعبر باللسان وأصوغ بالقلم. وقد جئت ولم أعد شيئا لأقوله في هذا المؤتمر. ولما بقيت أياما في تعب شديد ـ حاولت أن أكتب - والموضوع كما تعلمون متعلق بالمخطوطات - فجرى قلمي بما لا أستطيع أن أحدثكم عنه. بعد أن كتبت أوراقا وجدتني أتحدث عن نفسي، لا عن المخطوطات. والمضطر يركب الصعب من الأمور. وأنتم قد جئتم هنا لتقعوا في الاضطرار، لأنكم تريدون أن تسمعوني وأنا جئت مضطرا لأن الشيخ أحمد زكي يماني استخرجني من بلادي، ومن بلاد أحبها، لا أحب أن أفارقها إلى بلاد بينها وبين أمتي العربية والإسلامية ثأر قديم جدا. جئت كارها، ولكن جئت أيضا مطيعا لصداقة عزيزة على، لا أستطيع أن أتخلى عما تطلبه مني. والكلمة التي كتبتها لا تصلح للسماع، لأني أستغرق صفحة أو صفحتين تقريبا في الحديث عن نفسي، وعن تاريخي، وعن نشأتي، لأقول أني بالتجربة انتهيت إلى أننا في زمان الادعاء والتظاهر فيه هما الأصل، فإذا أنا تحدثت عن المخطوطات في حضرة الأساتذة صلاح المنجد والشيخ حمد الجاسر، ممن لهم خبرة، فإنما أنا مدع لا أكثر ولا أقل. وبضاعتي في شأن المخطوطات بضاعة مزجاة. نعم نشأت من صغري في الحادية عشرة والثانية عشرة، على يد رجل كان خبيرا بالكتب

وهو أمين أفندي الخانجي. صحبته طويلا ولكنه لم يستطع لا هو ولا من سألتهم فيما بعد، لم يستطع أحد منهم أن يعدني لأن أكون من الرجال العاملين في ميدان المخطوطات العربية لأن هذا الميدان محتاج إلى صفات معينة وأنا لا أملك من هذه الصفات شيئا. نعم قد نشترك في الأصل، ولكن طبيعتي لا تستطيع أن تخضع لغير ما أردته أنا وما اهتممت به. وسأدع الكلام الذي كتبته جانبا لأنه في الحقيقة لا يستحق أن يقرأ فضلا عن أن يسمع على ملأ من العلماء والفضلاء كانوا يتوقعون مني شيئا، ويطلبون مني فائدة، ويظنون بي علما، وأنا لست من العلم في شيء. بل أنا كما يقول ابو العلاء:

من يبغ عندي نحوا أو يرد لغة   فما يساعف من هذا ولا هذى
يكفيك شرا من الدنيا ومنقصة   الا يبين لك الهادي من الهاذي

فأرجو وقد جئت من بلاد بعيدة اتوكأ على عصا بيميني وأعتمد على ابنتي بشمالي - ولكن بين ضلوعي نار لم تنطفىء بعد من بقية شباب ذهب - وسأختصر كلامي وأقصره على رجال ممن عرفتهم في مجال المخطوطات. وهم جميعا يشتركون في صفة واحدة يعرفها صلاح المنجد وحمد الجاسر- يعرفونها في أنفسهم. ولأن طول مصاحبتي لهؤلاء الرجال لم تكن رغبة في الاستفادة من علمهم في المخطوطات ولكن كانت رغبتى في مراقبتهم: كيف يتعبون وكيف يعملون.

فمن هؤلاء هذا الذي ذكرته لكم والذى نشأت على يديه، وهو أمين أفندي الخانجي. وقد حدثني أنه من حي بحلب، وكان قد شدا شيئا من العلم ـ قليلا جدا من العلم. وكانت له رغبة في أن يكون عالما، ولكنه كان صغيرا جدا، وعلى قدر بسيط جدا من المعرفة. ففي تجواله في المنطقة التي يسكنها رأى النساء يوقدن المواقد بأوراق الكتب ـ بل ببعض الكتب المجلدة. وفجأة استيقظت نفسه، فأراد منعهم من أن يفعلوا ذلك، فاستحطب لهم حطبا يوقدون به مواقدهم، وأخذ منهم هذه الأوراق أو هذه الكتب التي كان بعضها مجلدا. واستمر على هذا دهرا، وإذا عاد إلى بيته بهذه الأوراق كان يقرؤها، وهو لا يستطيع أن يفك رموزها لكنه بالإصرار وبالحب وبالجذوة التي تتوهج في قلبه ظل يزداد حرصا على هذه الأشياء ويجمعها.

ثم بعد أن شب عن الطوق، رأى نفسه مغرما بحيازة هذه المخطوطات وبقراءتها دون أن يكون قاصدا للعلم، وإنما هي محبة خالصة لهذا الذي يقرأه. فانتهى به الأمر بعد ذلك إلى أن أصبح أخبر الناس بالمخطوطات عندئذ قرر أن يكون كتبيا أو وراقا. وأنا أشهدكم أن الجيل الذي نشأت فيه، قد اعتمد اعتمادا

كاملا في كل فن على ما نشره أمين أفندي الخانجي. كل الكتب القديمة التي نشرها أصول لا يستغنى عنها طالب علم. فكانت صناعته في البحث عن المخطوطات، هي أن يأخذها وينشرها. وفي ذلك الوقت كانت ثروته لا تحتمل أن ينفق على طباعة هذه الكتب، فكان كلما طبع بضعة كتب أفلس . ثم تردد ذاهبا إلى تركيا، إلى أن جاء إلى مصر. وبقيت أنا مع أمين أفندي الخانجي في جو أشعر أن هناك ضوءا في قلب هذا الرجل يضيء لى الطريق ـ لا طريق المخطوطات: بل أضاء لي طريق العلم.

ولي معه تجارب كثيرة، منها تجربتي في كتاب طبقات فحول الشعراء. كان عندنا في مصر جماع للكتب ثرى تركي لا يقرأ ولا يكتب اسمه طلعت باشا ـ كان يحب أن تكون له مكتبة كما لفاضل مكتبة، ولأحمد تيمور مكتبة. أنفق على أمين الخانجي ما يشاء، فجال في البلاد العربية، وجاء إلى مصر ومعه كتب كثيرة أودعت الآن في دار الكتب المصرية. فحدث أن كان يوم من الأيام، كان معه صندوق فيه ورق دشت فأعطاني منه ورقة. وكنت حديث عهد بالعلم، ولكني كنت أيضا حديث عهد بكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام، فأخذت الورقة. قال لي : "إية الكتاب ده؟" قرأتها،ثم قلت له :"هذه طبقات ابن سلام". وبدأنا نفرز هذا الورق إلى أن استخرجنا النسخة التي آلت فيما بعد إلى تشستربيتي، لأن أمين أفندى الخانجي باعها ليهودي كان يشتري منه الكتب، فباعها هو الآخر لمكتبة تشستربيتي.

ولي معه قصص كثيرة ولكن هذه قصة تخصني، لأني نشرت هذا الكتاب فيما بعد ـ بذلت فيه جهدي، وأنا لا أحب أن أسمى محققا لأسباب كثيرة، وإنما أنا قارىء كتب ولذلك لا أكتب على كتبي "حققه" فلان بل أكتب "قرأه" فلان، لأن المطلوب من نشر الكتب هو أن يكون الكتاب مقروءا حسب موضوعه ، يهتدي الإنسان في قراءته إلى المعنى الذي أراده مؤلفه. أما طبقات فحول الشعراء فأنا في الحقيقة قرأته ثم شرحته شرحا وافيا. لأن هذا الكتاب عمدة لا يستغنى عنه طالب علم. وهو أول كتاب ألف في الإسلام في طبقات الشعراء وفي النقد أيضا.

ثم ذهب أمين أفندي الخانجي رحمه الله، وشببت عن الطوق، وعرفت رجلا آخر كان عالما متمكنا من علوم لا يعرف أحد أنه متمكن فيها، وهو أحمد تيمور باشا. كان فيما عرفته متمكنا من علم النحو تمكنا كاملا ولكنه لا يكتب فيه شيئا. لم يكتب فيه كلمة واحدة. فأحمد تيمور باشا كما وصفته ـ وهو عالم ناهيك من عالم ـ كان أحرص الناس على اقتناء المخطوطات، يبذل في سبيلها

مالا كثيرا، لكن الذي لاحظته ـ ليس جمع الكتب - الذي لاحظته شي أخر وهو أنه إذا أخذ الكتاب بين يديه، تغيرت أسارير وجهه واستضاءت، وكأن نورا قد سطع بمجرد إمساكه المخطوط، إذا جاءه أمين أفندي بمخطوط جديد. شيء هائل، تحس أن هذا الرجل ليس إنسانا ـ تتغير صورته من إنسان جالس يتكلم، إلى إنسان مأخوذ ومضيء في وقت واحد، وتبرق عيناه وكأنها لؤلؤة مضيئة أو درة يتيمة.

والرجل الثاني الذي عرفته ولقيته لماما هو أحمد زكي باشا شيخ العروبة. ولم يكن في مثل علم تيمور باشا. ولكنه كان أيضا محبا للكتب، فالصورة التي أراها في تيمور أراها في أحمد زكي وكانا في حلبة المخطوطات يتسابقان، كلاهما يتتبع عمل الآخر وما اقتناه ويريد أن يفوقه. ولكن يختلف الخلقان: تيمور باشا كان سخيا لا يضن على أحد بشيء. أما أحمد زكي فكان ضنينا بالطبع - لا أريد المذمة ـ كان ضنينا وكان لا يتورع عن سرقة الكتاب. ومن الطرائف أنه في آخر حياته أوقف مكتبه ونقلت إلى مدرسة الغوري القريبة من الأزهر، وعين لها صديق لنا كان أيضا محبا للكتب هو الشيخ محمود زناتي، فأخبرته عن خلق زكي باشا أنه يسرق الكتب فحاذر. فقال: "كيف يعني؟ كيف يسرق الكتب؟" قلت : "طيب يا شيخ محمود، جرب بنفسك". فحدثني أن أحمد زكي باشا غافله في يوم من الأيام وأخذ كتابا ووضعه تحت إبطه أخفاه - فقال له الشيخ محمود عند انصرافه: "تعالى يا باشا ـ طلع الكتاب". يسرق نفسه! كانت أخلاقا ظريفة.

ولقيت رجالا كثيرين ممن يحبون المخطوطات بشغف زائد ولكن كان أغربهم رجل طويل القامة مستقيم. هذا لم يكن متعلما تعلما كافيا لكنه كان يجالس العلماء. وممن جالسهم طويلا وأحبهم الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله وكان علامة خبيرا بالكتب ـ حافظا أسماءها ومواقعها، فاكتسب منه رشاد، لأنه كان أيضا محبا للكتب ـ كان رشاد فقيرا فكان يدور على المطابع كلما رأى كتابا يطبع أخذ منه ملزمة، فأخيرا انتهى إلى حب الكتاب المطبوع ـ وكان أيضا له ذاكرة قابضة باسطة لا تترك شيئا أبدا ولذلك كان يمشي بيننا وكأنه فهرس كامل لمطبوعات العالم. وصحبناه طويلا إلى أن قضى نحبه رحمه الله.

هكذا كان ينبغي أن أقدم رجلا عظيما أيضا وهو الشيخ محمد عبد الرسول. كان مديرا للمخطوطات في دار الكتب. وكان رجلا صامتا لا يتكلم. فإذا تكلم - إذا سألته سؤالا - تفجر بعلم واسع يستغرق كل هذه الكتب . لا يوجد في دار الكتب كتاب مطبوع لا يعرفه، ولا مخطوط لا يعرفه. وكان محبا أيضا

للمخطوطات وحريصا عليها أشد الحرص، وأنا إلى الآن لا أمسك مخطوطا حتى أذكر هذا الرجل، لأنه علمني شيئا كثيرا جدا ـ أدناه أنه علمني فروق الخطوط وأزمنتها سواء كانت مشرقية أو مغربية، لم يكن هذا همي، ولكن أحببت هذه المعرفة بحبي للشيخ عبد الرسول. تعلمت منه كيف أحكم على هذا المخطوط ـ كتب في القرن الكذا أو الكذا، خطوط متنوعة، خطوط البغداديين غير خطوط المصريين. وكل هذا يعرفه الشيخ عبد الرسول. تعلمت منه شيئا كثيرا أدناه هذا العلم: علم معرفة الخطوط وأزمانها، وشغلت به. ولكني كنت أيضا في شيء أخر، ولقد وصفت نفسي، ولا أحب أن أعيد ما كتبت، وصفت نفسي: ماذا كنت أريد أنا من هذه الدنيا أو من هذا العمل؟ فكان للشيخ عبد الرسول أثر عظيم في نفسي. في معرفتي بالكتب وحبي للمخطوطات. لا حب جمع ولا شراء ولا اقتناء - مكتبتي من أكبر المكاتب الخاصة في مصر ولكن ليس فيها كتاب مخطوط - الأشياء التي أريدها أصورها من دار الكتب أو الجامعة العربية - والشيخ حمد أكرمني كثيرا بصور من مخطوطات ودلني عليها ولم أكن أعرفها، لاني فعلا غير متتبع لشأن المخطوطات ولكن قرأت تراجم الأمة والعلماء وأعرف هذا كله ـ منها كتاب هنا في دار المتحف البريطاني.

الشيخ حمد جاءني بهذه النسخة لأحققها، وطبعت منها جزءا واحدا من "أنساب قريش" ـ وهي نسخة فريدة - مع أن صاحب فتح البارى، الإمام ابن حجر، رأيت في شرحه للبخاري أنه راجع ست نسخ من "جمهرة نسب قريش" ليقف على نسب جاء في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - ست نسخ في القاهرة في القرن السابع؟ أين ذهبت هذه؟

هذه خطرات مفككة، ولكني عرفت هذه الأشياء كلها عن طريق رجال صحبتهم وعرفتهم ـ منهم الشيخ حمد ـ ومنهم علامتنا صلاح المنجد. عظام لم يبق منهم إلا هذه البقية. كان من أغرب الناس أيضا الشاعر الشيخ عبد المطلب الأستاذ بدار العلوم ـ كان له اهتمام غريب - وهو شاعر ـ سموه "الشاعر البدوي" من تقليده لشعر القدماء ـ ولكنى حين زرته في بيته وجدت عنده صوانا كاملا من مخطوطات فى علم القراءات فقط، مع أنه شاعر، وكان لا يعرف عنه هذا - لا يعرفه عنه غيري. كان أكبر جزء من مكتبته في علم القراءات القرآنية وحده.

ثم الفضل الأكبر للرجل الثاني فقد كان شيخي وأستاذي الذي علمني العربية وهو الشيخ سيد بن علي المرصفي. مات منذ دهر طويل، أكثر من خمسة وخمسين سنة. كان عالما لا يبارى، وكان في حالة فقر شديدة في أول

أمره وهو عالم من علماء الأزهر . وكان في أول أمره فقيرا شديد الفقر وكرهه الأزهريون لأنه كان لا يدرس إلا الأدب ، كتاب "الكامل" للمبرد و"الحماسة" لأبي تمام، فأغفلوه إلى أن جاء والدي وكيلا للأزهر، وكان يعرف فضل الشيخ المرصفي فبحث عنه. وأقص عليكم قصته كما رواها والدي: في غرفه أو غرفتين في حواري الأزهر العتيقة عرف بيته وذهب إليه فوجده جالسا وحوله الكتب ومحيطا نفسه بدائرة من العسل حتى لا يزحف البق اليه. فعينه والدي مدرسا للأدب، وانا ادركت الشيخ عندما كنت طالبا في المدارس الثانوية وصاحبته، وهو الذي علمني العربية وقرأت عليه كتاب "الكامل" للمبرد و"الحماسة" لأبى تمام وفصولا من " أمالى" أبي علي القالي . هذا الرجل اشتغل أول أمره مصححا في دار الكتب. وقد نشر كتابا واحدا وهو الجزء الأول من كتاب "الخصائص" لابن جني، وهي الطبعة الأولى، قبل أن يطبعه كاملا الشيخ النجار في ثلاثة أجزاء. فهذا الرجل بقي في دار الكتب سنين يشتغل مصححا وكانت له خبرة بجميع كتب الأدب التي كانت في دار الكتب، وكان أيضا لا يحب أن يبوح بعلمه - أشياء معينه لا يخبر أحدا بها. مما قرأته عليه في شرح كتاب الكامل أنه رجع إلى مخطوطة في دار الكتب من ديوان ابن مقبل. لما توفي الشيخ، بحثت عن هذه النسخة في دار الكتب فلم اهتد إليها إلى هذا اليوم .

عندي كلمة أقولها علانية أمامكم جميعا: أن هذه المخطوطات التي يراد فهرستها في مثل هذه الدول ـ الدول التي نحن فيها الآن ـ يصح أن تسترد. فأنا عرفت من والدي ـ الذى جاء من الصعيد إلى القاهرة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري - أن مكتبة السلطان حسن كانت أكبر المكاتب في مصر، وكان الأمين الذي يحرسها واحد تاجر قصب، له دكان تحت درج المسجد، وكانت الأعاجم تأتيه في لباسهم وزيهم يعطون له ملاليم، فيدخل المسجد ويأتيهم بالكتب، إلى أن بقيت مكتبة السلطان حسن خاوية على عروشها. كنت أحب أن نبدأ فعلا في حركة لاسترداد هذه المخطوطات. لابد من استردادها اليوم أو غدا. قال شوقي لكارنافون الذي سرق نصف ما أخرجه من قبور الملك توت عنخ أمون -:

فمن سرق الخليفة وهو حي   يعف عن الملوك مكفنينا؟

أهميـــة المخطوطـــات الإسلاميـــة

سيد حسين نصر

بسم الله الرحمن الرحيم

"ن والقلم وما يسطرون "
صدق الله العظيم
(سورة القلم : الآية الأولى)

"قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا"
صدق الله العظيم
(سورة الكهف : الآية ١٠٩)

إن الأمة التي كان قدرها أن تتلقى الوحي المشتمل على الآيات السابقة ما كان يمكن لها إلا أن تتأثر - على الصعيد البشري - سواء بالمعنى الجوهري للقلم الذي يقسم به الخالق في الآية السابقة، أو بالمعين الذي لا ينضب لكلمات الله.

إن الأمة التي أبدعت الحضارة الإسلامية ما كان يمكن لها إلا أن تسمو بالقلم وثماره في شكل الكلمة المكتوبة، وما كان يمكن لها أن تتوقف عن إنتاج عدد كبير من الأعمال المكتوبة، أولا: باللغة العربية، وفي المقام الثاني : باللغة الفارسية، ثم ببقية اللغات المحلية للعالم الإسلامي، من اللغة التركية إلى لغة الملايو، ومن اللغة البنغالية إلى اللغة البربرية.

إن الحضارة التي تلقت الوحي القرآني قد أنتجت مادة كتابية هائلة ولم يكن لها مضارع من ناحية الكمية في إنتاج أية حضارة أخرى سابقة على اكتشاف الطباعة، قد أنتجت سجلا كتابيا لا يحتوي على الأفكار والمشاعر، والفنون التي تميز ذلك القطاع النابه من البشرية- الذي يتمثل في الشعوب الإسلامية - فحسب، وإنما يحتوي أيضا الكنوز الفكرية للحضارات القديمة التي آل إرثها للإسلام، ذلك الإرث الذي حافظ عليه الإسلام بما يتواءم مع رسالته - بوصفه آخر الديانات البشرية الشاملة - علاوة على هذا فقد كتب المسلمون، والأقليات - التي كانت تقطن في العالم الإسلامي - المخطوطات الحاوية لمعارف الحضارات، والشعوب الأخرى.

إن المخطوطات التي دونت على مر العصور، والتي بقيت حتى اليوم تغطي - على التقريب - كل جانب من جوانب الفكر الإسلامي وثقافته، فيما يختص بالتراث الإسلامى، ورغم ذلك يجب ألا ننسى أهمية التراث الشفهي الذي يعد مكملا للنصوص المكتوبة في الكثير من المجالات، ومع أنه لا يجدر بنا أن نجزم بأي شيء في مجال المخطوطات الإسلامية عامة بسبب نقص وضعنا المعرفي الراهن، إلا أننا ما زلنا بمأمن من الخطء حين نزعم : أن القسم الأعظم من هذه المخطوطات، يندرج تحت راية العلوم الدينية - التي تتراوح ما بين الشروحات القرآنية، وكتب تعليم الصلاة والدعاء - مع أن الكثير من المخطوطات قد درس وطبع خلال القرن ونصف القرن الماضيين، حيث تفاوتت موضوعاتها من التفاسير الكبرى، ومجاميع الأحاديث النبوية إلى أعمال تناولت الفقه وأصوله، والاقتصاد الإسلامي وفكره السياسي، إضافة إلى علم الكلام، والعبادات اليومية، إلا أننا لا نغالي في القول إذا قلنا : إن غالبية الأعمال الموجودة - حتى في حدود هذا المجال المركزي - ما زالت في هيئتها المخطوطة، لم تحقق، وهو ما يبدو واضحا في مجال علم الكلام المتأخر- السني منه والشيعي - وبالإضافة إلى هذا فإن الكثير من الأعمال التي طبعت - بما فيه عدد من الشروح المعروفة - لم تحقق تحقيقا نقديا، وما زال يتعين على الباحث الجاد أن يرجع إلى المخطوطات ذاتها لفحص محتواها، ولا نبالغ إذا قلنا: إن مثل هذه المخطوطات لا غنى عنها في تلقين - الأجيال المعاصرة، والمقبلة من المسلمين - الفهم الصحيح لتراثهم الديني ، بل وفي فهمهم لانفسهم كمسلمين، فكل جيل يعرف ذاته ويراها في ضوء فهمه لتراثه، فمثل التراث كمثل جذع شجرة يصل الغصن بالجذر الذي هو التنزيل ذاته.

ويأتي في المرتبة الثانية - بعد الأعمال المكرسة للعلوم الدينية من حيث وفرة المخطوطات - القسم الذي يتناول اللغة والأدب، وهنا نجد (على الرغم من الجهود الفائقة التي بذلها عدد من الباحثين خلال القرن ونصف القرن الماضيين - منذ دخول الطباعة الحديثة إلى العالم الإسلامي - والتي أثمرت نشر العديد من الأعمال النثرية، ودواوين الشعراء المبرزين) أن مادة غزيرة لاتزال باقية على هيئتها المخطوطة، فعلى حين أن أعمال الكثير من الكتاب الصغار تبقى غير محققة، فإن كتابات بعض الكتاب الكبار كثيرا ما طبعت على نحو قاصر، ولا زالت الحاجة ماسة للرجوع إلى نسخ المخطوطات من أجل التوصل إلى نص صحيح لها، وإذا كان لي أن أستقي مثالا من لغتي الأم - الفارسية - فإن ديوان حافظ - الذي ربما هو أعظم شعراء الفارسية - قد تم تنقيحه خلال الجيل الماضي، عقب اكتشاف مخطوطات جديدة، في حين أن الطبعة النهائية لمثنوي جلال الدين الرومي هي الآن بصدد الإعداد للنشر فقط، ولا يزال هناك من يأمل اكتشاف مخطوطة ديوان رودكي، أبو الشعر الفارسي، في مكتبة نائية بالهند.

تلعب المخطوطات دورا بالغ الأهمية في بعض اللغات المحلية مثل لغة الملايو، حيث أنها لم تحقق تحقيقا نقديا حتى اليوم، إلا أقل القليل من الأعمال التي تمثل عيون الأدب الملايوي باعتباره أدبا إسلاميا، وهناك اللغات الأفريقية - ذات الأدب الإسلامي الثري - كاللغة الصومالية، واللغة الفلانية حيث بقي القسم الأكبر من آدابها يتناقل شفاها، وإن بعضه قد حفظ في مخطوطات، وفي مثل هذه الحالات، فإن الوثائق المكتوبة تكون ذات أهمية خاصة في الحفاظ على سجل الحياة الأدبية لأمة بأكملها، أمة تتعرض لخطر فقدان تراثها الأدبي، وهناك مخطوطات إسلامية لم تتم دراستها دراسة وافية بعد، أو لم تعرف على نطاق واسع، وهي تحتوي على واحد من أثرى الكنوز الأدبية في العالم، ما يعكس الروح الفكرية، والأخلاقية لشعوب يفصل بينها ما يفصل بين الأندلس والفليبين، ولغات تختلف بقدر اختلاف البربرية عن الصينية، وتلك المخطوطات تضم تراثا إسلاميا هاما لم يدرس منه إلا القليل، وخاصة في اللغتين العربية والفارسية أثرى لغات العالم من الناحية الأدبية، وخاصة الشعرية.

إن المسلمين في تاريخهم الطويل، قد اقتدوا بالنموذج القرآني الذي تشابكت فيه الأوامر الأخلاقية بأحداث التاريخ المقدس، فكانوا دائما يولون اهتمامهم للكتابة التأريخية، والحق يقال:إن الإسلام ينبغي أن يعد جنبا إلى

جنب مع الحضارة الصينية أكثر الحضارات القديمة وعيا بالتاريخ، وليس المقصود بهذا تفسيرا لاهوتيا للتاريخ تتجسد بمقتضاه الحقيقة في التاريخ بما ينتج عنه في النهاية نوع من الحتمية التاريخية ، وانما المقصود الوعي بالتاريخ، والشغف بتدوينه، وتقصي أهميته في حياة الجماعة، وغني عن القول إن الكثير من التواريخ التي دونها المسلمون لم تكن إلا سجلا للحوادث، إلا أنه كان أيضا ثمة تواريخ تتمتع برؤيا في معنى التاريخ - من حيث هو مجاوز للوقائع التاريخية - على كل حال فقد ألف المسلمون عددا كبيرا من المؤلفات التاريخية، أغلبها بالعربية، والفارسية، وإن شملت التركية وغيرها من اللغات، وأنتجوا بذلك كما غزيرا من الأعمال التي تعد مصدرنا المعرفي الوحيد، ليس لحياة الأمم المسلمة الماضية فحسب وإنما لنشاط شعوب أخرى كثيرة، من المغول إلى الأفارقة أيضا. وإن أغلب كتب التاريخ مثل تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي قد طبعت، إلا أن كثيرا من كتب التاريخ المحلية لا تزال مخطوطة، وعلاوة على هذا فإن بعضا من أشهر الأعمال التاريخية لا تزال في حاجة إلى طباعة محققة تحقيقا علميا جيدا، تعتمد على أصح المخطوطات الموجودة، ولا تستبعد من هذه الأعمال مقدمة ابن خلدون، التي تفتقر - على الرغم من شهرتها العظيمة - إلى نص محقق تحقيقا نقديا.

كان المسلمون أقل إنتاجا في مجالات الفلسفة، والعلوم الطبيعية، والرياضية من إنتاجهم في العلوم الدينية والأدب، إلا أنهم - على الرغم من ذلك - قد أخرجوا عددا كبيرا من المؤلفات التى ما زالت مخطوطة، وما أحرانا أن نقول : إن ثمة عوالم بأكملها في هذه المجالات ، بانتظار من يكتشفها. ومما يلفت النظر في مجال الفلسفة، أنه ما من فيلسوف إسلامي كبير واحد قد حققت جميع أعماله تحقيقا نقديا وطبعت. (ولو أن جميع مخطوطات أعمال كانط أو هيغل ضاعت لسبب من الأسباب ، فإن النصوص النهائية لكتاباتهم سوف تبقى، على الرغم من ذلك ،من خلال طبعات أعمالهم العديدة) ولكن ماذا يحدث إن فقدت ـ حاشا لله ـ كل مخطوطات أعمال ابن سينا، أشهر فلاسفة الإسلام قاطبة؟ بوسع المرء أن يتكهن بالاجابة إذا ما تذكرنا أن أكبر أعماله وأذيعها صيتا، ألا وهو كتاب الشفاء، الذي طبع في القاهرة تباعا على مدى ثلاثين سنة يحوي من الأخطاء - في بعض مجلداته - ما يجعل الرجوع إلى المخطوطة ضروريا في كثير من الأحيان لفهم بعض أجزاء النص، فإذا كان هذا هو الحال مع ابن سينا، فكيف يكون الأمر مع الفلاسفة الذين هم أدنى منه طبقة، مثل: غياث الدين منصور دشتكي الذي تبقى جل أعماله على هيئة مخطوطات؟

وكيف يكون الحال مع غير هؤلاء من الكتاب : الذين يمثلون سبعة قرون من تاريخ الفلسفة الإسلامية، في العالم العثماني، أو الهند، حيث ينتظر في كليهما عدد كبير من المخطوطات دوره في الدراسة التي بدونها لا سبيل للتعرف على التاريخ الفكري لتلك الديار، وذلك التاريخ الذي يمتزج بعلم الكلام الذي لا يزال متواريا - بالكامل تقريبا - داخل صفحات تلك المخطوطات التي تحيق الأخطار بكثير منها، والتي ما زالت ضمن المكتبات العامة والخاصة.

أما بالنسبة للعلم، فلسنا في حاجة إلى التذكير بأن أغلب الدراسات حول تاريخ العلم الإسلامي قد اضطلع بها مؤرخو العلم الغربيون الذين شغفوا بالفترات المبكرة من تاريخ العلم الإسلامي خاصة، ومن ثم ركزوا جل جهودهم عليها حتى عهد قريب، وبالتالي فإن عددا كبيرا من الأعمال المبكرة قد حقق وطبع ودرس، إلا أنه على الرغم من الجهد البحثي المرموق - الذي بذله الباحثون حتى الآن - فإن مساحات شاسعة بقيت غير مرتادة، فخلال العقود القليلة الأخيرة وحدها اكتشف أ.س. كندي فصلا جديدا تماما في تاريخ علم الفلك الإسلامي يرتبط بمدرسة مراغة نتيجة لدراسته مخطوطة واحدة لقطب الدين الشيرازي في المكتبة البريطانية، في حين فتح دافيد كينج أبوابا جديدة في دراسة علم الفلك الإسلامي باكتشافه مخطوطات لم تكن معروفة من قبل في علم الفلك عند المماليك واليمنيين، وكذلك عما يمكن أن يسمى بعلم الفلك الشعبي المرتبط بتحديد اتجاه القبلة، ومواقيت الصلاة، الخ...

لا يزال هناك الكثير بانتظار من يكتشفه - في مجال العلم الإسلامي - عن طريق فحص العديد من المخطوطات التي لم تدرس بعد، وكشف النقاب عن الأعمال التي ما زال الباحثون على جهل بها، ويصدق هذا القول بصفة خاصة على العلم في غضون القرون السبعة، أو الثمانيةالسالفة، وخاصة الطب الذي ازدهر في فترة متأخرة في بلاد فارس، والهند من القرن العاشر/السادس عشر فصاعدا، وجدير بنا أن لا ننسى مجال العلم العثماني والذي ابتدأ مؤخرا يجتذب انتباه الدارسين بفضل جهود البحاثة الأتراك - في المقام الأول - وفي صدارتهم أكمل الدين إحسان أوغلى، بالإضافة إلى هذا ينبغي أن نؤكد هنا مرة أخرى أهمية التراث المخطوط في تأسيس النصوص النهائية للعلم الإسلامي، بما فيه ما هو معروف منها، إذ أن الكثير منها قد طبع إلا أنه لم يحقق تحقيقا نقديا، ولا نستثني من هذا بعض أعمال البيروني الكبرى، ومن ناحية أخرى فإن بعض الأعمال الأخرى الهامة معروفة جيدا إلا أنها لم تحظ بالتحقيق، أو الطبع على الإطلاق، ولدينا مثال بارز على هذا في كتاب «التحفة الشاهية» لقطب الدين الشيرازي.

هنالك مجال هام آخر للمخطوطات - سواء في العربية أو الفارسية أو غيرهما من اللغات الإسلامية - ونعني به المخطوطات التي تتناول التصوف، والروحانيات الإسلامية، فبالإضافة إلى الشعر الصوفي - الذي قد يدرجه البعض تحت عنوان "الأدب" - فهناك الكثير من الأعمال النثرية بحاجة إلى التحقيق والنشر، وأن مجموعات المخطوطات غير المحققة تحفل بالمادة الدسمة ، وليس من المستبعد - من ناحية أخرى - حدوث اكتشافات مفاجئة في المجموعات التي لم تتم دراستها بأكملها حتى الآن. وحتى في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي - حيث تركز جل اهتمام الباحثين - ما زالت الاكتشافات الجديدة تتابع، ومثال ذلك : الدراسات الحديثة لأعمال أبي منصور الإصفهاني التي كشفت - للمرة الأولى - عن فرع كامل من الصوفية الحنبلية المبكرة لم يعرفه المختصون حتى اليوم، أما فيما يتعلق بالقرون المتأخرة، فإن ما تم التعريف به علميا من المخطوطات المتعلقة بالتصوف لا يتجاوز مقدارا ضئيلا، ناهيك عن تحقيقه أو طبعه، وتعتبر مكتبات الهند نموذجا جيدا لهذا الأمر،وإن أية دراسة عابرة لأي من المخطوطات الرئيسية سواء أكانت في رامبور أو بتنا أو حيدرآباد سوف تكشف عن رسائل صوفية هامة لم تحظ بالالتفات أو الدراسة حتى يومنا هذا، وحتى أعمال الأساطين العظام - مثل ابن عربي - تبقى إلى حد كبير على هيئة مخطوطات، بل إن عمله الكبير «الفتوحات المكية» يجري تحقيقه تحقيقا نقديا الآن فقط بفضل الجهد الطويل الذي بذله عثمان يحيى.

تحتاج الأعمال المطبوعة في مجال الصوفية - كما هو الحال في أغلب مجالات البحث الإسلامي الأخرى - إلى إعادة تحقيقها تحقيقا نقديا، وذلك بالعودة إلى المخطوطات الموجودة، إذ أن الكثير من الأعمال الصوفية التي طبعت في العالم الإسلامي تعتمد على مخطوطة واحدة، أو مخطوطتين، وقلما يكون اعتمادها على تقويم كل ما هو موجود من المخطوطات. ولا يستثنى من ذلك الأعمال الواسعة الانتشار، مثل مؤلفات الغزالي الذي يحتاج الكثير من كتبه - بما في ذلك كتابه الشهير "إحياء علوم الدين" والذي هو متوفر في طبعة بولاق المتقنة - إلى أن يحقق تحقيقا نقديا على ضوء المخطوطات الهامة المتيسرة.

إن التقاليد الروحية والصوفية الإسلامية مكتوبة في المحل الأول على ألواح قلوب الرجال والنساء الذين ينتهجون سبيل الله، إلا أن الكثير منها مكتوب أيضا في المخطوطات المنتشرة في كل أرجاء العالم الإسلامي، والتي مازالت غير متاحة لعلماء الأمة الإسلامية ككل.

إن التراث المخطوط للحضارة الإسلامية يحوي أيضا بين طيات صفحاته غير المدروسة معتنقات المتصوفة وممارساتهم، وتاريخهم وكل تشعباتهم في التاريخ الإسلامي، وياله من كنز معرفي يبقى مجهولا لجمهرة العلماء!

إن جزءا كبيرا من الفن الإسلامي - الذى يتراوح من الخط إلى الموسيقى - قد نقل شفاها من المعلم إلى التلميذ، ولعله من غير المقدر لنا أن نكتشف نصا يصف كيف صنع بلاط "الكوبالت" الأزرق الخاص بالعصر التيموري والمستخدم في التشكيلات الهندسية بالمساجد القاهرية. إلا أنه لا يزال هناك أمل، بل احتمال أن نعثر على نصوص تكشف لنا سر الأساليب التي بواسطتها أنشأ المعماريون المسلمون تلك الصروح التي تنهض شامخة وسط أعظم منجزات الحضارة الإسلامية، وثمة مجالات في الفن الإسلامي مثل الخط، الذي ألفت فيه العديد من الرسائل، ولم يطبع منها إلا النزر اليسير، وتبقى الأكثرية مخطوطة.

رغم توفرمخطوطات في بعض الفنون، أو عدم توفرها، يبقى رصيد المخطوطات الإسلامية مصدرا ثمينا - لا غنى عنه - من أجل فهم أفضل، ليس لتاريخ شتى الفنون الإسلامية فحسب، وإنما لأساليب تلك الفنون، ورموزها، ولغتها، ومعانيها أيضا، وإن هذا المجال لم يبدأ البحث فيه إلا من عهد قريب، ولا يزال باب الإنجاز فيه مفتوحا على مصراعيه، ومن الشائق أن نلاحظ أن ضربا من المخطوطات المتصلة بالفن قد حظي بالاهتمام المبكر منذ القرن الثالث عشر/التاسع عشر فصاعدا، وأن كثيرا من مخطوطاته قد نقلت - من العالم الإسلامي - لتنضم إلى مجموعات غربية، ونقصد بذلك تلك المخطوطات التي تحوي نصوصا مصورة، وخاصة مخطوطات القرون المتأخرة التي شهدت تطورا في فن المنمنمات في بلاد فارس، ومن بعدها في تركيا والهند، وإنه لمن المشغف أن نسجل: أن الموجود - من المخطوطات الإسلامية المزدانة بالمنمنمات الفارسية الدقيقة - في دائرة حول لندن لا يعدو قطرها خمسين ميلا لهو أكثر مما يوجد في إيران كلها، ومع ذلك ، وحتى في هذا المجال الذي درس من غير كلل لما يربو على مائة عام، فلا تزال توجد مجموعات هامة من المخطوطات - غير المدروسة - تحوي في طياتها فصولا كثيرة تتناول تاريخ الفنون التصويرية في الإسلام.

لا بد من كلمة بصدد الحرف، وما يعرف بالعلوم الغريبة والصناعة وهي كلها أمور متصلة ببعضها البعض، وإن كانت تتفرع من العلوم الغريبة فروع تتصل بعلوم أخرى، فالمخطوطات الإسلامية التي تتناول الأجهزة الميكانيكية

(علم الحيل) قد درست إلى حد ما، كما درس عدد من الرسائل التي تتناول الكيمياء، وخواص الأشياء، إلا أنه في هذا المجال كما في غيره ما زالت أغلب المادة باقية في شكل مخطوطات، وثمة أعمال كثيرة لم تدرس بعد، أو لم يعثر عليها، بمقدورها أن توفر إجابات على الأسئلة المتعلقة بالري، وعلم المعادن، والأصباغ، وغير ذلك من الصناعات والأساليب المستخدمة في التعامل مع شتى أشكال المادة، والتي تزين ثمارها متاحفنا، بينما تبقى المعارف الكامنة فيها محجوبة عن أفهامنا.

بإمكاننا أن نستمر في تسمية المجالات الأخرى - من الفكر والثقافة الإسلاميين - التي تنمي معرفتنا بها مجموعات المخطوطات الموجودة في العالم الإسلامي، ولكن المجالات الرئيسية التي أشرنا اليها تكفي للتنبيه على أهمية المخطوطات في كل ما يمكن أن ينعت بالإسلام، وإن معرفة الأمة الإسلامية بذاتها - بوصفها أمة حية - والمحافظة على أربعة عشر قرنا من التاريخ الديني والفكري والفني الإسلامي وإحيائه، وكل هذا يعتمد على تلك الذخيرة الهائلة من الوثائق المكتوبة بخط اليد، والمشتتة في أرجاء العالم الإسلامي، بل في أركان المعمورة.

إن أهمية المخطوطات الإسلامية لا تنحصر في العالم الإسلامي وحده، وإنما يمتد نفعها، وتتيح لنا تفهم عدة ثقافات أخرى، كما أنها تتصل بمجالات دراسية كثيرة خارج النطاق الإسلامي، فالمخطوطات (خاصة العربية منها) تحوي معارف قيمة عن الحضارة المصرية القديمة، وحضارة ما بين النهرين، والحضارة البيزنطية، وكذلك مجتمعات شرق المتوسط قبل الإسلام، مثل الأقوام التي عرفت بصابئة حران، وإن العربية لا تقتصر أهميتها على إثراء معرفتنا باللغات السامية، ولكنها أيضا اللغة التي تحتوي على قدر هائل من المعلومات فيما يتعلق بالكنائس المسيحية الشرقية، والطوائف الغنوصية، والمذاهب اليهودية الشرقية، إلى جانب عناصر معينة من الفكر الديني، والعلمي للمصريين القدماء، ولحضارة ما بين النهرين.

أضحت اللغة العربية مستودعا للفكر اليوناني الإغريقي سواء في المجالات العلمية، أو الميتافيزيقية، ولا نظننا بحاجة إلى التنويه بأهمية المؤلفات العربية، التي ما زال الكثير منها مخطوطا، لفهم كل من الأفلاطونية الشرقية المحدثه، والأرسطية المصطبغة بالأفلاطونية المحدثه، والهرمسية، والفيثاغورثية المحدثة، والفكر الطبي الإغريقي المتأخر المرتبط باسم جالينوس، وكثير من العلوم المرتبطة بمدرسة الإسكندرية، والحق أن كثيرا من

الباحثين الغربيين انجذبوا إلى المخطوطات الإسلامية، وخاصة العربية منها بينما كانوا يسعون وراء الآثار الإغريقية القديمة، وبسبب من تأثير الفكر الإسلامي (في حد ذاته من ناحية وفي حفظه للتراث الإغريقي - الإسكندري من ناحية أخرى) في تكوين الفلسفة، والعلم، والأدب، وحتى الدراسات اللاهوتية نفسها في أوروبا - في العصور الوسطى وإلى حد ما في عصر النهضة - بسبب من هذا التأثير يمكن القول: إن المخطوطات الإسلامية لا تخلو من أهمية بالنسبة لتاريخ الفكر الغربي، والأمر كذلك خاصة لأنه على الرغم من الجهود الطويلة للباحثين الغربيين فإن كثيرا من المؤلفات العربية المتصلة بالتراث الإغريقي القديم ما زالت مخطوطة، كما أن بعضا من النصوص التي نشرت يلزمها إعادة التحقيق - في صورة نقدية مضبوطة - وذلك بالرجوع إلى الأصول المخطوطة المتوفرة.

إن المخطوطات الإسلامية، وخاصة العربية منها، وبدرجة أقل الفارسية - تعتبر مصادر هامة لفهم الديانات والثقافات الفارسية قبل الإسلام، من الزرادشتية إلى المانوية، فلقد ترجم الكثير من المؤلفات الساسانية إلى العربية على حين فقدت أصولها البهلوية، وخاصة الرسائل المتعلقة بإدارة الدولة، وإن المخطوطات الإسلامية لا غنى عنها - في الواقع - لفهم العديد من جوانب الفكر الزرادشتي المتأخر، والمعتقدات والممارسات الخاصة ببعض الجماعات المانوية أيضا. وبالمثل فإن هذه المخطوطات ذات أهمية في فهم التاريخ الفارسي القديم، الذي انعكس فيما بعد ليس في المؤلفات الفارسية المنتمية إلى الفترة الإسلامية - مثل الشاهنامه للفردوسي - فحسب، وإنما في الكثير من المؤلفات العربية التى تناولت التاريخ العام أيضا، وإن المخطوطات الإسلامية ما زال بإمكانها أن تكشف الكثير عن التاريخ الساساني، والديانات الإيرانية، مثل الزرادشتية، والمانوية التي لعبت أدوارا هامة في الحياة الدينية لكثير من الشعوب فيما وراء الحدود الفارسية، وبإمكاننا أن نرى موقفا مشابها لذلك في الهند فيما يتعلق بالناحية التاريخية، فمن الصحيح أنه على النقيض مما حدث في بلاد فارس - حيث لم يبق إلا القليل من النصوص البهلوية - فإن الكثير من المؤلفات السنسكريتية والبالية قد بقيت حافظة بين طياتها ذخائر الحكمة الهندوسية والبوذية، إلا أن العجيب حقا أن أغلب تاريخ الهند مدون باللغة الفارسية، وأن المخطوطات الإسلامية (وخاصة المكتوب منها بالفارسية) لا غنى عنها لمعرفة التاريخ الهندي خلال الألف سنة الماضية، وتشهد على ذلك المحاولة الواسعة النطاق التي جرت خلال العقود الأربعة الأخيرة لترجمة

مصادر التاريخ الهندي إلى اللغة الهندية، ولكن حتى مع تلك المحاولات، تبقى المخطوطات الإسلامية مصدرا هاما للمؤرخين الهنود، سواء الهندوس منهم أو المسلمين، وكذلك لأولئك الدارسين المهتمين بالتفاعلات المختلفة التي جرت على المستويين الروحي، والديني بين الإسلام والهندوسية، وحتى بالنسبة للهندوسية القروسطية فإن المصادر الإسلامية - الباقي أغلبها حتى اليوم على شكل مخطوطات - تشكل منبعا لا غنى عنه، ولا يمكن بدونه أن نفهم تيارات كثيرة - من تيارات الفكر الديني الهندوسي وممارساته - فهما صحيحا، وفي هذا المجال تلعب اللغات الأخرى التي يتكلم بها المسلمون مثل الأوردية والبنغالية والبنجابية دورا متميزا.

إن المعروف عن المخطوطات الإسلامية الصينية هو أقل مما هو معروف عن أي مجموعة رئيسية أخرى، إلا أننا نعرف ما فيه الكفاية، بحيث نستطيع أن نؤكد وجود مخطوطات قيمة كتبها المسلمون باللغة الصينية، وبلغات تركية شتى كانت تستخدم خاصة فيما كان الجغرافيون المسلمون يطلقون عليه اسم : تركستان الشرقية، والتي تضم اليوم إقليم صن كيانج في الصين الغربية، وهنا أيضا تشتمل المخطوطات الإسلامية على معارف ثمينة، ليس فقط بخصوص عقائد مسلمي الصين، وممارساتهم، وثقافتهم، وتاريخهم، وإنما على علاقات العالم الإسلامي مع الصين، منذ بداية العصر الإسلامي. وليس من سبيل للكشف عن محتويات مجموعة المخطوطات الثمينة هذه إلا بدراستها دراسة وافية، وهذه المخطوطات التي تمتد في عمق الماضي إلى القرنين الثاني/الثامن، والثالث/التاسع ذات أهمية بالغة كمصدر لدراسة جوانب بعينها من تاريخ الصين وثقافتها.

بالنسبة لجنوب شرق آسيا، فالمخطوطات الإسلامية تعتبر أهم مصدر معرفي لتاريخ تلك المنطقة الشاسعة، وذلك إبان تحولها من ممالك بوذية، وهندوسية إلى واحدة من أكثف المناطق الإسلامية سكانا، حيث تسيطر الثقافة الإسلامية اليوم على إندونيسيا، وماليزيا، وجنوب الفلبين، وبروناي، وبعض مناطق تايلاند، وكثير من هذه المؤلفات، ومن ضمنها المؤلفات المشهورة لا تزال مخطوطة، وهي تمثل أهم مصدر معرفي مكتوب ليس في بلاد الملايو الإسلامية فحسب، ولكن في تلك المناطق كلها في الفترة السابقة على نشأة الإسلام، وانتشاره، والتداعيات التي صارت بها المنطقة جزءا من دار الإسلام ايضا.

إن المخطوطات الإسلامية هي أهم مصدر مدون لتاريخ أفريقيا السوداء، وإن المكتبات القائمة في المدن، كمدينة تمبكتو لتحتوي على ثروة ليس فقط من المؤلفات التي تتناول الإسلام في أفريقيا، وإنما أيضا لأفريقيا غير المسلمة التي كان المسلمون على صلة وثيقة بها، سواء قبل فترة الاستيطان الأوروبي، أو في غضونها. وهذه المخطوطات لا تقتصر على المخطوطات المدونة بالعربية والتي تتناول موضوعات التاريخ، والدين، والرحلات، ولكنها تضم أيضا مخطوطات مدونة باللغات المحلية يغطي بعضها بضعة قرون من التاريخ المكتوب، وفي مثل هذه القارة - التي يبقى التراث الشفهي فيها قويا، والتي تعرض فيها الكثير للتلف، نتيجة للكوارث الطبيعية، والبشرية - تصبح المعارف المحفوظة في المخطوطات المرتبطة باللغات الإسلامية المختلفة ذات قيمة كبرى، وما لم تحفظ تلك المخطوطات، ويعكف على دراستها فإن تاريخ أفريقيا وثقافتها، والكثير من نشاطاتها الشعبية - بما فيها الطب - سيبقى مجهولا إلى الأبد.

وأخيرا فإنه لا ينبغي أن ننسى أن المخطوطات الإسلامية تنطوي على أهمية كبرى لمعرفتنا بجوانب عديدة من التاريخ الأوروبي سواء أكان ذلك يتعلق بتاريخ يهود، ومسيحيي أسبانيا، وثقافتهما، أو بالروس القاطنين في أعالي الفولجا، فالتراث الإسلامي ينطوي على مصادر ذات قيمة عظمى لم يدرس الكثير منها بعد، وما زال مخطوطا، وعلاوة على هذا فإن المخطوطات الإسلامية تلعب دورا خاصا فيما يتصل بتاريخ أوروبا الشرقية البيزنطية، وثقافتها التي كانت أجزاء منها تشكل قسما لا ينفصم من العالم العثماني لفترة خمسمائة عام، وأن الكثير من المعلومات المتعلقة بتاريخ تلك البلاد يبحث عنه في الوثائق التركية، وفي المؤلفات المكتوبة ليس بالتركية وحسب وإنما بالعربية والفارسية أيضا، وهي وثائق ينبغي أن نضم إليها تلك الوثائق الخاصة بالبوسنة وألبانيا بما لهما من تراث إسلامي طويل خاص بهما، ولا بد في هذا الموضع من التنويه بدور الإسلام البوسنوي حيث أن هذا المجتمع الإسلامي الذي يبلغ عمره خمسة قرون، والذي يرجع إلى أصول عرقية سلافية يقع في قلب البلقان، وكان يتمتع على مدار التاريخ بعلاقات تربطه بكل من الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، وبالعالمين الأوروبي والعثماني، ولا جدال في أن حالة المخطوطات في البوسنة التي احتفظ بها هي أفضل نوعا ما مما في المناطق الأخرى، وبمقدورها أن تسهم إسهاما كبيرا في معرفتنا بتاريخ الإسلام في أوروبا من جهة، وفي معرفتنا بخمسمائة عام من تاريخ البلقان من جهة أخرى.

وإلى جانب الأهمية العظمى للمخطوطات الإسلامية بالنسبة إلى الحضارة الإسلامية، والعديد من الحضارات غير الإسلامية مما بيناه سابقا، فإنها تنطوي على أهمية كبيرة بالنسبة إلى الفن الإسلامي أيضا، ليس من حيث محتوياتها فقط، وإنما من حيث كونها أعمالا فنية أيضا، فهي تحتوي على أغلب روائع ذلك الفن الإسلامي السامي، ألا وهو فن الخط، وأن بعض أعظم الأعمال الفنية الإسلامية مثل المصاحف المملوكية هي في شكل مخطوطات، وفضلا عن ذلك، فهي تحتوي - كما أسلفنا - على كل الإبداعات الصورية للحضارة الإسلامية على هيئة زخارف، ورسومات، ومنمنمات بالغة الإتقان. ناهيك عن فن تجليد الكتب بمنجزاته الرائعة التي تزدان بها الكثير من المخطوطات بمكتبات العالم ، أما من الناحية التقنية فهناك فن صناعة الورق الذي يقوم الدليل عليه في أنواع المخطوطات التي دونت على مر القرون، ولا ننسى في هذا المقام صناعة الحبر، وزراعة القصب التي تتصل كلها بتاريخ التقنية والزراعة والفن، وبصفة عامة يمكن القول : إنه ليس هناك من حضارة كبرى غير الحضارة الإسلامية، حيث يرتبط هذا القدر من إبداعاتها الفنية بفن صناعة الكتاب، ولكي نفهم أهمية المخطوطات الإسلامية بالنسبة للفن الإسلامي إجمالا فليس علينا إلا أن نتساءل : ما الذي يبقى من الفن الإسلامي لو أن كارثة ما قضت على المخطوطات الإسلامية برمتها؟ سيكون المتبقي أقل بكثير مما لو أن المأساة حلت بحضارة الغرب، أو الهند، أو الشرق الأقصى، وحين يتأمل المرء في أهمية المخطوطات الإسلامية فلا ينبغي أن يقتصر التأمل على محتواها الفكري والأدبي، وإنما عليه أن يدرك أيضا أهميتها الفنية، والدور الذي لعبته على مر القرون في الحياة الفنية لحضارة لم يغب عن بالها أبدا الحديث النبوي الشريف القائل "إن الله جميل يحب الجمال".

تكالبت عوامل معقدة - ليس من شأننا بسط القول فيها هنا - كان من جرائها أن تناثر هذا الكنز الإسلامي المخطوط اليوم ليس في شتى مناطق العالم الإسلامي نفسه فقط، وإنما في مكتبات تمتد على رقعة العالم الغربي أيضا، وفي بعض البلدان الأخرى التي هي ليست بإسلامية ولا غربية، وبعض هذه المجموعات محفوظة في أماكن آمنة، بينما بعضها الآخر إما في خطر قائم أو خطر وشيك، وثمة أسباب داخلية، وأخرى خارجية تتهدد الكثير من هذه المجموعات، سواء في داخل العالم الإسلامي، أو في تلك المناطق التي يشكل الإسلام فيها أقلية، كما في الهند والصين، على حين أن الأمر لم يعد كذلك ـ ويالَلمفارقة! ـ في الغرب، وفي بعض البلاد تسببت العوامل السياسية،

والاجتماعية، والاقتصادية خلال العقود الأربعة الأخيرة - كما حدث في الهند - في القضاء على بعض من أثمن المجموعات، أو في حفظها في أمكنة غير مناسبة على الإطلاق، وفي أماكن أخرى تسببت الثورات الداخلية، أو الحروب الخارجية في تعريض المخطوطات للخطر، أو في تدمير بعض منها كما أظهرت الأحداث في كل من الصين، والعراق خلال العام الفائت وحده.

أينما وقعت حرب أهلية، أو ثورة، أو غير ذلك من ضروب الانقلابات، سواء أكان ذلك في أثيوبيا، أو اليمن، أو نيجيريا خلال العقود القليلة الماضية، أو في انهيار الإتحاد السوفيتي، ويوغوسلافيا الحاصل اليوم، فهناك خوف دائم من أن يحل الدمار بجزء من ذلك التراث الذي لا يقدر بثمن، والذي تشتمل عليه المخطوطات الإسلامية، وحتى في ظروف عصر الدمار الثقافي التي نعيشها اليوم، فإن المخطوطات الإسلامية تبدو عرضة أكثرمن غيرها للتلف، أما الأماكن التي تحظى فيها المخطوطات برعاية جيدة كما في أكسفورد، والفاتيكان فإن الفهارس تبقى في أحسن الظروف ناقصة كما تبقى هوية الكثير من المؤلفات مجهولة.

في ضوء هذا الوضع تبرز أهمية الجهود التي تبذلها "مؤسسة الفرقان" في مسح المجموعات الموجودة، وفي فهرسة المخطوطات التي بقيت حتى اليوم بدون فهرسة، وفي المساعدة قدر الإمكان في المحافظة على المخطوطات المهددة بالتلف، وأخيرا في بذل العون في نشر محتويات تلك المجموعات الهائلة التي تترامى فوق جهات الأرض الأربع. وبصفتي باحثا متواضعا في مجال الدراسات الإسلامية أنفق عمره في تناول الكتب، والمخطوطات الإسلامية، وبصفتي أيضا واحدا كان له دور صغير في إنشاء هذه المؤسسة قبل أن تجاوز حيز التصور، فإني أتوجه أولا: بالحمد والشكر لله العلي القدير الذى منّ علينا بهذا اليوم، وثانيا: فإني أود أن أتوجه بالشكر أمام حضرات العلماء المبرزين المجتمعين هنا إلى معالي الشيخ أحمد زكي يماني الذي فكر في هذه المؤسسة، وخطط لها ببصيرة قل أن يوجد لها مثيل في العالم الإسلامي اليوم، ثم راح يواليها بتأييده ماليا وذهنيا وروحيا عند كل منعطف على الطريق.

لقد قال نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) "يوزن مداد العلماء - يوم القيامة - بدم الشهداء فيرجح مدادهم على دمائهم أضعافا مضاعفة"، وعلى هذا يمكن القول : إن المخطوطات الإسلامية تشتمل في معنى من المعاني على شيء أثمن من دماء أولئك الذين وعدوا بالجنة. وبالمثل فإن أولئك الذين يحافظون على المعارف في بطون تلك المؤلفات، ويعملون على نشرها يحق لهم أن ينعموا

بقسط من ذلك الثواب العظيم الذي وعد به أولئك الذين فضل النبي حبرهم على دم الشهداء.

وإنني إذ أشكر أصالة عن نفسي كل من شارك في إقامة «مؤسسة الفرقان» فإني أتضرع إلى الله العلي القدير أن تحتل هذه المؤسسة مكانها باعتبارها مركزا رئيسيا للثقافة الإسلامية، وأن يعيننا المولى على تحقيق سائر نواحي النشاطات التي تصورها معالي الشيخ يماني للمؤسسة، ذلك أن هذه النشاطات لا يمكن إلا أن تعود على العالم الإسلامي بأعظم النفع، وهو نفع لا يقتصر على الباحثين المهتمين بالدراسات الإسلامية، بل يشمل الإنسانية جمعاء التي هي اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى لتلك المعارف التي يزخر بها التراث الإسلامي الفكري والأدبي.

المخطوطات في الأبحاث التاريخية

ولفرد مادلنج

يبدأ التاريخ البشري حسب بعض التعريفات الشائعة بالكلمة المكتوبة، فقبل عصر الكتابة كان هناك عصر ما قبل التاريخ، ولا شك أن علماء الآثار القديمة، وخبراء عصور ما قبل التاريخ قد خطوا خطوات واسعة في الكشف عن بعض الجوانب الهامة في التطور الجماعي المبكر للجنس البشري. ومع ذلك يبقى نقاب لا يمكن النفاذ منه يخفي سريرة إنسان ما قبل التاريخ، إذ لا سبيل إلا الكلمة المكتوبة يمكن من خلالها للمؤرخ أن يطمح إلى اكتشاف سرائر البشر الذين عاشوا في الماضي، وأفكارهم، ومشاعرهم، سواء أكانوا من مجهولي الهوية، أو من المعروفين بالإسم، فمن خلال الكلمة المكتوبة وحدها يستطيع المؤرخ أن يتعاطف معهم كأفراد ، تماما كما نتعاطف نحن مع معاصرينا من خلال الكلمة، منطوقة كانت أو مكتوبة، ومهما كانت المصادر الإضافية التي قد يجد المؤرخ فيها عونا على تقدير الظروف المادية للأجيال البشرية الماضية، فمن المحتم أن تبقى أهم مصادره ما دوّن من كلمات حول الحياة الماضية.

لقد عرفت الحضارة الإسلامية القراءة والكتابة على نطاق واسع في مرحلة مبكرة من وجودها، وبينما أخذ يتكون عند المسلمين الأوائل إحساس جاد بتاريخهم، باعتبارهم الأمة الدينية المختارة، بدؤوا يدونونه على نطاق واسع بجوانبه الروحية والمادية معا، وامتد فضولهم واهتمامهم - لحد ما - إلى ما وراء حدود ماضيهم الإسلامي، وبدؤوا يدونون بعض التراث الأدبي الخاص بالعرب قبل الإسلام، والذي كان حتى ذلك التاريخ يتداول شفهيا فقط، ومثال ذلك الشعر الجاهلي، وقصص الحروب بين القبائل المعروفة بـ «أيام العرب»

وسرعان ما امتد اهتمامهم على نحو انتقائي إلى التراث الثقافي ، والفكري للشعوب الخاضعة لهم، فسجلوا بعضا منه في ترجمات عربية، ونشأت بين ظهرانيهم مدارس فكرية مختلفة ومتنافسة، حرصت كل منها على تطوير تراثها الأدبي الخاص والمحافظة عليه.

إن النمو الفائق للأدب العربي وما اتسم به من تنوع في القرون الأولى للإسلام ينعكس في كتاب «الفهرست» المعروف، الذي صنفه ابن النديم الذي كان وراقا (تاجر كتب) في بغداد، وازدهرت تجارته في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولقد فقد الشيء الكثير من الكنوز الأدبية المسجلة بذلك الكتاب، بسبب غوائل الدهر من ناحية، والإهمال الذي حل بالأعمال المبكرة نتيجة لإيثار العلماء من الأجيال التالية المؤلفات الأحدث عهدا لأغراضهم التعليمية، والمرجعية من ناحية أخرى، وبالإضافة إلى هذا فثمة أعمال أخرى عديدة ترجع إلى تلك الفترة المبكرة لم يذكرها ابن النديم، وإن كانت ما زالت متاحة لنا، أو نعرف أنها قد وجدت ذات يوم عن طريق مقتطفات منها، أو إشارات إلى عناوينها في أعمال أخرى، ولا نملك في تفسير ذلك إلا افتراض أنها كانت غير هامة في سوق تجارة الكتب، في بغداد آنذاك، أو أنها لم تكن معروفة هناك على الإطلاق بسبب انتمائها إلى مدرسة محلية مختلفة.

في العصور التالية لم يضعف النشاط التأليفي في العالم الإسلامي بصفة عامة، رغم سيادة التحجر المذهبي (الإسكولاستيكي)، وفقدان الأصالة - في بعض مجالات المعرفة - مع نزوع إلى التلخيصات الموسوعية للمؤلفات الكبرى من العصور السابقة، وإلى جانب اللغة العربية اكتسبت لغات أخرى مكانتها باعتبارها أدوات هامة للتعبير الأدبي، خاصة الفارسية، ثم التركية العثمانية - في فترة لاحقة - مع أن بعض المجالات الدراسية - وخاصة علوم الدين - ظلت تحت سيادة اللغة العربية في كل أنحاء العالم الإسلامي.

لقد استمر عصر الكتاب المخطوط - في العالم الإسلامي - أطول كثيرا من استمراره في أوروبا، إذ لم تكتسب طباعة الكتب أهمية حتى مجيء القرن التاسع عشر، وفي بعض أجزاء العالم الإسلامي - وخاصة في نطاق المجتمعات الصغيرة - ظلت الكتب تستنسخ خطيا حتى عهد قريب. ولذلك فإن حفظ المخطوطات بواسطة المعاهد التعليمية الخاصة ما زال منتشرا انتشارا واسعا في العالم الإسلامي كله، هذا إضافة إلى المجموعات الأيسر منالا، والموجودة في المكتبات، والمتاحف العامة.

إن المؤرخ لأي جانب من جوانب الحضارة الإسلامية لا يملك في كثير من الأحيان إلا أن يتأمل حظه في شيء غير قليل من الإحباط، ذلك أنه يعلم أن المخطوطات تختزن بين طواياها مصادر معرفية هائلة، إلا أنه يعلم أيضا أن هذه المصادر مبعثرة في أرجاء واسعة وهي غالبا بعيدة المنال . وما أكثر ما يضطر المؤرخ إلى الإقرار بالصفة المبدئية لبحثه، وبقصور اكتشافاته التي تبقى دائما عرضة للتغيير الجوهري، وذلك حينما تتيسر للباحثين المصادر التي لم تكن متاحة من قبل.

إن مؤرخي الإسلام هم أكثر الفئات إحساسا بضرورة بذل الجهود الدائمة، والتنسيق بينها للمحافظة على ثروة المخطوطات الإسلامية، وغربلتها، وتيسير إيصالها الي الدارسين، والمحققين المؤهلين، ونشر النصوص الأكثر أهمية في طبعات نقدية. وهذا الباب الأخير، أي التحقيق النقدي للنصوص هو الباب الذي ينطوي على أكبر المنافع، وأبعدها مدى للبحث التاريخي، وهو أيضا المجال الذي يستطيع المؤرخون - ذوو الميول إلى علم فقه اللغة - أن يسهموا فيه إسهاما جليلا. إلا أن التحقيق النقدي يعتمد بدوره على سهولة الوصول إلى كل المخطوطات الموجودة لنص ما وفحصها. إن الكثير من النصوص التي حققت مبكرا، والتي اعتبرت وقت نشرها وافية، تحتاج اليوم إلى إعادة تحقيقها بسبب ظهور مخطوطات أفضل.

إن الهدف الأول لتحقيق نص ما ينبغي - بدون شك - أن يتمثل بقدر الإمكان في استعادة النص الأصلي للمؤلف على نحو تسهل قراءته، بحيث يستطيع القارىء الحديث أن يطلع اطلاعا أمينا على فكره، حول هذا الغرض الأساسي تتلاقى التحقيقات النقدية التي يقوم بها الدارسون المختصون، وغيرها من التحقيقات التي تخدم مصالح عامة القراء، وهذا الهدف يسهل تحقيقه في حال وجود مخطوطة مدونة بخط يد المؤلف، وهو ما يندر حدوثه بالنسبة للنصوص المبكرة، وإن التحقيقات النقدية ينتظر منها أن تقدم ما لا يقدمه غيرها، إذ عليها أن تقدم قراءات بديلة، وإضافات، وتوضيحات، ووصف للمخطوطات الموجودة، لتمكين القارىء من الحكم على وجاهة اختيارات المحقق النصية، وأن تستفيد من الإضافات الخارجية، وأن تكون تصورا عن عملية تناقل النص، ومن الناحية المثلى ينبغي للتحقيق النقدي أن يضم تحقيقا دقيقا لكل المخطوطات الموجودة، بالإضافة إلى تفضيله لنص ما بعينه. على أن هذا يعتبر - من الناحية العملية - هدفا مجانبا للواقع خاصة في حال وجود عشرات وربما مئات من المخطوطات المتوفرة - قد يكون الكثير منها مستنسخا

من بعضه، ومع ذلك فلكي يمكن للمحقق أن يتخذ قرارا حصيفا بشأن ما يجب تضمينه في تحقيقه النقدي، لا بد له من الرجوع إلى كل المخطوطات الموجودة.

في حال عدم وجود نسخة مكتوبة بخط المؤلف تصبح الحاجة إلى الرجوع إلى أغلب المخطوطات الموجودة ـ إن لم يكن إليها كلها ـ أمر لا محيص عنه من أجل التحقق من صحة النص، وليس ثمة أمل للمحقق في استعادة النص الأصلي للمؤلف استعادة أمينة إلا عن طريق تحليل العلاقة بين المخطوطات المختلفة، وإعادة لمّ أجزاء التاريخ الخاص بتناقل النص، وفي النهاية لن يكون من المقبول أن يتم على نحو آلي تفضيل القراءات الخاصة بإحدى المخطوطات على غيرها، إذ أن تعاطف المحقق مع فكر المؤلف وأسلوبه قد يقوده إلى تصويب النص بما يتعارض مع كل البدائل التي تقدمها المخطوطات، على أن هذا الإجراء لا يجب اعتماده إلا كملجأ أخير.

إن قدرتنا في بعض الأحيان على استعادة بعض الأعمال المخطوطة – التي تبدو للوهلة الأولى في حال ميؤوس منها – إنما ترجع إلى مزيج من إعادة تركيب التراث النصي بعناية، والصبر على محاولة النفاذ إلى الأنماط الفكرية، والأسلوبية للمؤلف، ولتسمحوا لي أن أذكر هنا بإيجاز، وعلى سبيل المثال قصة عملين اشتغلت بتحقيقهما لبعض الوقت، وأعني بهما رسالتين من وضع مؤلفين لامعين، هما الشهرستاني، العالم (المتكلم)، ومؤرخ المعتقدات الدينية من القرن الثاني عشر الميلادي ، ونصير الدين الطوسي، الفيلسوف الشيعي وعالم الفلك من القرن الثالث عشرالميلادي. يتصدى الشهرستاني في رسالته المعروفة بـ«مصارعة الفلاسفة» لدحض الآراء "الأنطولوجية والميتافيزيقية" للفيلسوف ابن سينا، على أساس مما يصفه بعلم اللاهوت (الكلام) التنبؤي، وقد دحضت رسالة الشهرستاني بدورها في الرسالة التي كتبها نصير الدين الطوسي بعنوان «مصارع المصارع» والتي يدافع فيها عن آراء ابن سينا الفلسفية، ويشبه هذا الجدل جدلا شهيرا آخر، ونعني به ذلك الذي ثار بين الغزالي، وابن رشد والذي ابتدأه الغزالي بكتابته في «تهافت الفلاسفة» دحضا للآراء اللاهوتية للفلاسفة المسلمين، ثم جاء ابن رشد بعد ذلك فدافع عنهم (بكتابة«تهافت التهافت») إلا أن المجادلة بين الشهرستاني والطوسي بقيت في الأغلب غير معروفة لسبب كون رسالتيهما قد وصلتا إلينا عن طريق مخطوطات في حالة من الفساد التام.

لقد عانى الكتابان من ظروف الحرب، حتى في وقت كتابتهما الأولى، إذ يصارح الشهرستاني قراءه أنه قد عجز عن إتمام كتابه – الذي كانت نيته أن

يناقش فيه موضوعات خلافية - بسبب «فتن الزمان وطوارق الحدثان» التي وقعت إبان كتابته، فاضطر لدمج الفصلين الأخيرين في استعراض موجز للمشكلات دون أن يقدم لها حلولا، ولما كان الكتاب مهدى إلى أحد أعيان بلدة «ترمذ» قرب حدود خراسان، وبلاد ما وراء النهر، فالمرجح أن الكتاب قد دون هناك. أما «الفتن والطوارق» فالمظنون أنها إشارة إلى الهزيمة القاسية التي أوقعها أتراك «قره خطاي» بالسلطان سنجر السلجوقي في ٥٣٦هـ/١١٤١م والتي أجبرت الشهرستاني على الفرار سريعا، وطلب الأمان في إيران الغربية، حيث لم يسعفه الفراغ هناك على إنجاز الكتاب في صورته التي خطط لها أصلا.

أتم الشهرستاني مسودة كتابه في عجلة ظاهرة، والأرجح أنه لم يخلف للنساخ نسخة نظيفة مدونة بعناية، وبخط واضح. ولعل هذا ما يفسر بعض التحريفات الشائعة في المخطوطات، والتي يسهل ردها إلى أخطاء القراءة من قبل الناسخين، وتكشف المخطوطة - الأقدم عهدا من بين المخطوطتين المعروفتين لهذا النص، والتي كتبت في غضون خمسين عاما بعد وفاة المؤلف- عن أخطاء كثيرة في الكتابة، ومن سوء الحظ أن عددا من أوراق هذه المخطوطة قد فقد فنشأ عنه فجوتان كبيرتان في النص، كما أن بعض الأوراق الباقية تعاني من الاضطراب، وثمة تحقيق لكتاب الشهرستاني ينهض على هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة "غوته" في ألمانيا، وقد نشر التحقيق في مصر في سنة ١٩٧٦م. وقد تمكنت المحققة من استعادة التسلسل الصحيح للأوراق، ومن سد الفجوتين عن طريق اللجوء إلى المخطوطة الخاصة بـ«مصارعة» الطوسي، حيث أن هذا الأخير يكاد يقتطف نص الشهرستاني كاملا، إلا أنها لم تستمر على مقارنة النص الذي اقتطفه الطوسي بنص مخطوطة "غوته" وبذلك ضيعت على نفسها فرصة سهلة للتوصل إلى نص أفضل لكتاب الشهرستاني، إذ لا شك أن المخطوطة التي استعان بها الطوسي كانت في حال أفضل بكثير من نسخة "غوته"، وإن كان من الثابت أن تلك أيضا كانت فيها بعض الكتابات الخاطئة التي استغلقت على الطوسي في بعض الأحيان.

هناك مخطوطة أخرى لرسالة الشهرستاني تفصل بينها وبين سابقتها عدة قرون، وهي الموجودة في قازان في الجمهورية التترية، وهذه تتميز بكونها كاملة إلا أنها تحفل بأخطاء من النوع الذي يميز النصوص التي تناقلها النساخ الذين لا علم لهم بالمادة التي ينسخونها، فالواضح أن بعض الصفحات قد وضعت في غير ترتيبها عند موضع ما خلال عملية النقل، ومع ذلك فإن

الانقطاع المفاجىء في استمرارية النص قد غاب عن ملاحظة النساخ اللاحقين، أو أنهم تجاهلوه. على أية حال فإن هذه المخطوطة بالاشتراك مع مخطوطة «غوته» ومقتطفات الطوسي تساعد مساعدة كبيرة على استعادة النص الأصلي للرسالة، خاصة وأنها تمثل نسخة أخرى مستقلة.

من الثابت أن رد الطوسي لكتاب الشهرستاني قد كتب أيضا في خضم حرب، إذ يذكر في أحد المواضع أنه كان يود أن يدعم حججه بمقتطفات من كتب الفلاسفة، غير أنه لم يتمكن من ذلك بسبب عدم توفر الكتب، ويعد بإضافة المقتطفات متى ما تيسرت له الكتب. ولا شك أن هذا قد تزامن مع مصاحبته هولاكو وجيش المغول في غزوة إيران والعراق، بعد سقوط قلعة «ألموت». وقد تمكن بعد استكماله المسودة من إضافة المقتطفات ، ويظهر ذلك في مخطوطات كتبه الموجودة في إيران.

وعلى أساس المخطوطات الإيرانية نشر تحقيق لكتاب الطوسي في إيران في سنة ١٩٨٥م، ويعكس التحقيق الحالة المؤسفة لمخطوطات هذا النص، ويظهر جليا أن هذه الطبعة قد اعتمدت على مخطوطة واحدة لا غير تشوبها الأخطاء، وأن جزئين كبيرين موضوعين في غير موضعيهما، ولعل هذا نتيجة لاختلاط صفحات المخطوطة، وفي موضع آخر سقطت إحدى الصفحات، واستعيض عن فقدانها عن طريق الاقتطاف الإضافي من كتاب الشهرستاني، وتظهر واضحة في ثنايا النص محاولات غير موفقة لإضفاء طابع الاستمرارية على مخطوطة الطوسي - والتي كانت قد أفسدت في مرحلة سابقة - و"لتحسين" النص عن طريق الإضافات والتعديلات. وحقيقة الأمر أن طروحات الطوسي تبقى في كثير من المواضع مستغلقة على الفهم، وأنه لمن شبه المستحيل استخراج نص سليم من هذه المخطوطة.

مع أن الموقف قد تغير - بشكل جذري - بفضل اكتشاف مخطوطة في استانبول تنتمي إلى رواية مختلفة، وينبغي أن نلاحظ أن الطوسي غير مذكور في هذه المخطوطة، وأنه قد أمكن الآن فقط تمييز انتساب النص إليه بصورة قاطعة، عن طريق التطابق الأساسي للنص مع نص الرواية الإيرانية، وفي هذه النسخة لا نعثر- أيضا - على المقتطفات المأخوذة من كتب الفلاسفة، والتي أضافهاالطوسي في وقت لاحق لإكمال مسودته الأولى، ويمكننا استقراء ذلك أن نقول: إن الطوسي نشر كتابه، أو صرح باستنساخه على مرحلتين، وأنه قد عمد إلى إخفاء حقيقة كونه مؤلف الكتاب في المرحلة الأولى، ولا يظهر في مخطوطة إستانبول خلط الصفحات الحاصل في المخطوطة الإيرانية، كما

تمتلىء الفجوة الناجمة عن سقوط إحدى الصفحات، ويبين التمعن في مخطوطة إستانبول أنها تحتوي على نص أفضل إلى درجة بعيدة، كما أن قراءات المقتطفات المأخوذة من كتاب الشهرستاني تتطابق تطابقا أوثق مع أفضل القراءات في نسخ ذلك الكتاب، ويحتوي النص الإيراني على بعض التعديلات في مادته، والأرجح أنها من عمل الطوسي نفسه، والتي قد يكون قام بها لدى إضافته للمقتطفات المأخوذة من كتب الفلاسفة، على أنه لم ينقح المسودة كلها تنقيحا شاملا، ولم يخرج نسخة نهائية نظيفة، وهكذا فإن كلتا النسختين الإيرانية والإستانبولية تشتملان على نفس الهفوات في طرح الحجج، والتي تبدو وكأنها نتجت عن العجلة التي كتب بها الكتاب، كما تحتويان على نفس الأخطاء التي يظن أنها نشأت عن مصاعب قراءة المسودة، ومن الواضح أن أغلب الفروق الموجودة بالمخطوط الإيراني - من حيث مقارنته بالمخطوط الإستانبولي - إنما هي تعديلات وإضافات لطرف آخر.

ولا تخلو مخطوطة إستانبول من الأخطاء والمشاكل، ولسوف يكون النفع أعم لو ظهرت مخطوطة واحدة على الأقل لذلك النص الأقدم عهدا، وبناء على كافة ما هو متاح من النصوص المخطوطة حاليا نستطيع القول: إن العثور على مثل تلك المخطوطة سيجعلنا أقدر على تقييم فكر كل من الشهرستاني والطوسي، وأسلوبيهما.

ويطيب لي في الختام أن أتمنى لمؤسسة الفرقان النجاح الكامل في سعيها الحميد للمحافظة على المخطوطات الإسلامية، وفهرستها، ونشرها، وأن أعرب عن أملي أن يتحمس الباحثون الشبان لمواكبة الجهود المبذولة لإخراج التحقيقات النقدية للنصوص التي بدونها لا سبيل إلى تقدم معرفتنا بتاريخ العالم الإسلامي.

الجزء الثاني

تقدير تاريخي مع اقتراحات حول المخطوطات الفارسية

ارج افشار

طلب مني منظمو هذا الاجتماع الكريم أن أدلي بملاحظات حول المخطوطات الفارسية، وبما أنني إيراني فيمكنني أن أعطي فكرة شاملة حول المخطوطات الموجودة في إيران بصفة عامة دون الاقتصار على لغة من اللغات. لذلك ما تمكنت في هذا التقرير أن أقيّد نفسي بمقاييس ومعايير لسانية محدودة ومعروفة، خاصة أن كل الأعمال التي كتبت حول المخطوطات الفارسية في إيران - سواء كانت تتعلق بحصر جميع النسخ، أو تنظيم المخطوطات الفارسية والعربية والتركية في المكتبات المختلفة - لم تصنف هذه المخطوطات على أساس اللغات التي كتبت بها. وفهارس المخطوطات عموما تشمل كل هذه اللغات مجتمعة، وتعدد اللغات لا يجعل المفهرس قادرا على فرز مخطوطات كل لغة على حدة.

فإذا أردنا أن ندرس الأدب الإيراني، وتصانيفه و تياراته دراسة محققة فيجب أن ندرس كل المؤلفات التي دوّنت في هذه اللغات، ولذلك فإن المنسقين والمفهرسين في هذا البلد ما كان بإمكانهم أن يفصلوا بين المخطوطات على أساس اختلاف لغاتها من فارسية أو عربية أو تركية. وكما أشرنا فإن أكثر فهارس المخطوطات التي دونت في إيران لم تكن مبنية على اللغة، وإنما على موضوع المخطوطة، أو رقم المخطوطة في الرف Call Number (ولا يستثنى من ذلك إلا حالات نادرة مثل «فهرس مكتبة ملك»). فمفهرسي المكتبات عامة قد فهرسوا المجاميع بها على أساس رقم المخطوطة وليس على أساس اللغة التي كتبت بها.

ولمعرفة المخطوطات الفارسية يجب أن نلفت الاهتمام إلى جانبين:
أولا: الأعمال التي تناولت هذه المخطوطات
ثانيا: الأماكن التي تحتفظ بهذه المخطوطات

أما مكان استنساخ المخطوطات الفارسية فيمكن التعرف عليه حين نصل إلى العبارة الأخيرة في المخطوط. وإذا تمكنا من معرفة نوع الخط نعلم أن المخطوطات الفارسية قد كتبت خلال ستة أو سبعة قرون في جميع البلدان التي كانت شعوبها تتكلم بالفارسية، أو لها معرفة بالأدب الفارسي، كم من مخطوطات فارسية كتبت في البلدان العربية، مثل الشام والعراق ومصر والبلاد التى كانت تحت الحكم العثماني، مثل البلقان، وما زال يوجد عدد من المخطوطات الفارسية في تلك البلاد. إن وجود مخطوطات فارسية في مكتبات عامة وخاصة في الهند وباكستان وتركيا يدل على قدم وجود المخطوطات هناك، وهو دليل واضح على انتشار اللغة الفارسية في البلاط، والتجمعات الأدبية في تلك الأماكن، بل إن كيفية تزيين الكتب دليل آخر على أن الكتاب إنما جاء من بلد بعينه.

إن دائرة انتشار المخطوطات الفارسية هي البلاد التي تتكلم شعوبها باللغةالفارسية، أي: إيران وأفغانستان وطاجيكستان، إلا أنها قد تجاوزت هذه الدائرة وعبرت إلى الدول المجاورة لها، ووصلت إلى الهند وباكستان وتركيا. بل إن كثيرا من المخطوطات الفارسية قد وصلت إلى المكتبات العامة والخاصة، ومتاحف العالم بشتى الطرق وبذلك انتشرت في كافة أنحاء العالم، ومع الأسف ليس لدينا أي إحصاءات صحيحة عنها في حين أن عددا منها لم يفهرس حتى اليوم. والمخطوطات الفارسية وغير الفارسية انتقلت على مدى أحد عشر قرنا عن طريق التجارة أو السرقة أو الإهداء، من مكان إلى آخر، وانتشرت في أنحاء العالم كله، ونذكر هذا البيت السخيف الذي نشاهده في نهاية بعض المخطوطات:

مى رود اين كتاب البته تابه بغداد ومصر وكلكته
(هذا الكتاب سوف يذهب بالتأكيد إلى بغداد ومصر وكلكته)

وما زال عدد كبير من المخطوطات الفارسية باقيا في الأماكن التي كتبت وصنفت فيها هذه المخطوطات. وفي الحقيقة أنها مخطوطات ذات طابع محلي - إقليمي، مثل مصنفات العلماء والكتاب الذين يجيدون اللغة الفارسية في الهند وباكستان، وخاصة الكتب التي صنفت بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر الهجريين في تلك الديار الواسعة، وكثير من تلك الكتب ما زال يوجد في تلك البلاد إلى يومنا هذا.

إن المحققين الذين لهم رغبة جادة في دراسة تاريخ الهند، ومعرفة العلوم الهندية التي كتبت باللغة الفارسية، وكذلك كتب التراجم وكتابات الطرق الصوفية في شبه القارة مثل الچشتية، والقادرية، والنوربخشيتية، والسهروردية، لا بد لهم من التدقيق في خزائن ومكتبات الهند وباكستان، وكذلك الحال بالنسبة للراغبين بالثقافة الصوفية في آسيا الصغرى، والطرق الصوفية أمثال الخواجكانية والنقشبندية فلابد لهم من مشاهدة مكتبات جمهوريتي طاجيكستان وأزبكستان لأنها ضرورية جدا. وللحصول على المخطوطات التي كتبت في مدن سيحون وجيحون لابد من مراجعة مكتبات طشقند ودوشنبه وسمرقند وبخارى، ولكن عددا من مخطوطات تلك البلاد قد انتقلت خلال المئتي سنة الأخيرة إلى المدن الأوروبية، وقليل منها وجد سبيله إلى إيران. ومن حسن الحظ أن المخطوطات التي كتبت خلال المئتي سنة الأخيرة في إيران لا تزال محفوظة في المكتبات العامة والخاصة لهذا البلد، وللحصول على المخطوطات التي ترجع إلى عصر ملوك القاجار لابد قبل كل شيء من مراجعة المكتبات الهامة في إيران مثل ملي گلستان[١] و كتابخانه دانشگاه طهران[٢] وملك[٣] وأستان قدس[٤] وتبريز[٥] وشيراز[٦] وإصفهان.[٧]

إن نظرة عابرة إلى المخطوطات الفارسية من الناحية الكمية والكيفية في مكتبات العالم تبين أنها مبنية على تقسيمات، وكل تعميم بهذا الشأن لا يخلو من فائدة. ومن هذه التقسيمات على سبيل المثال ما يلي:

١) إيران والهند وباكستان وتركيا والاتحاد السوفيتي (السابق المنهار).

٢) إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ويوغسلافيا (المنهارة).

٣) السويد ورومانيا والدانمارك وهولندة وسويسرا.

هذا التبعثر والتشتت الجغرافي الراهن قد زاد من صعوبة الحصول على المخطوطات، وجعل الإخصائيين يواجهون صعوبات كثيرة، ولحصر عدد المخطوطات المتشتتة والمتفرقة في العالم والأعمال التي يلزم أن تتخذ للحفاظ على المخطوطات يقتضي الأمر عقد مثل هذه الاجتماعات لتبادل الأفكار.

ولحسن الحظ قام المعهد الفرنسي للدراسات «الأناضولية» بتأسيس مجمع تنظيم وتنسيق قواعد دراسة المخطوطات، ودراسة الخطوط القديمة في إستانبول، كما أن اجتماعنا هذا، والذي يشارك فيه إخصائيون، يبعث الأمل في فتح الطريق أمام إمكانية تبادل الأفكار وتداولها ولتنمية العمل المشترك، لذلك أغتنم الفرصة المناسبة هنا لأحدد بعض الخطوط العريضة.

التعليم الفني للمخطوطات:

لا شك أن أول ما نحتاجه في مجال المخطوطات الشرقية، ودراستها هم الخبراء المتخصصون فى هذا الفن المتمرسين في قواعد وأصول تصنيف المخطوطات وفهرستها، ويلزم أن يتدرب هؤلاء الأشخاص تدريبا جيدا، بحيث يمكن أن يستفاد من تجاربهم الطويلة التي اكتسبوها في هذا المضمار، عن طريق الممارسة ومشاهدة المخطوطات الكثيرة، والمتنوعة وما توارثوه من خبرة السابقين. أي كل ما انتقل من جيل إلى آخر عن طريق الكلام الشفوي. فمنسق المكتبات وخبير المصادر ما كان يملك كتابا أو دفترا يضم في صفحاته ما تعلمه خلال سنوات عمله، وبما أن الأشخاص الذين لهم معرفة بهذا الفن في مراحل مختلفة من الزمن كانوا قلة ولكن معرفتهم كانت عميقة، فقد كانوا معروفين (عند أدباء إيران) بخبراء الكتب Connoisseur de livres لا بالكتبيين bibliographe. وهذا النوع من الخبراء كان لديه خبرة واسعة في المصادر، وكان على علم باسم المؤلف، وموضوع النسخة ونوعية الورق والخط والتجليد والتزيين، وكان بإمكانه أن يقدر أهمية الكتاب من جوانب عدة.

فإذا كانت النسخة تفتقر إلى اسم المؤلف، أو كانت فيها سقطات، ينظر الخبير إلى الأبواب، أو الفصول كي يعرف الكتاب، وتاريخ التأليف، أو النسخ. وحاليا كل ما يوجد من مخطوطات يتطلب وجود خبير للمخطوطات للكشف عنها، ولكن كثرة وجود الكتب المطبوعة وسهولة الحصول عليها وزيادة إقبال الجماهير عليها قد حوّل الاهتمام الأكبر نحو فن التنسيق، وفهرسة الكتب المطبوعة، وبالتدريج قلّت الاستفادة من المخطوطات إلى أن بقيت في إطار محدود، وبذلك قل عدد الأشخاص المهتمين بفن المصادر الكلاسيكية في إيران.

وفي الستين أو السبعين سنة الأخيرة كان هناك عدد من الرجال ذوي الخبرة الواسعة في المصادر القديمة، والذين نقلوا الخبرة من شيوخهم إلى محبي هذا الفن في عصرنا، وممن يجب ذكرهم في هذا الصدد: محمد القزويني ومحمد علي التربيت ومحمد النخجواني وحسين النخجواني ومحمد المشكوة ومجتبى المينوي ومدرس الرضوي وجعفر سلطان القرائي ومهدي البياني.

في أول مرحلة من مراحل تدوين فهارس المخطوطات في إيران قام«قاان ميرزا اوكتائى» بفهرسة مكتبة «الرضوي» أبو القاسم اعتصام الملك بمكتبة المجلس، وحدائق الشيرازي لمكتبة سپهسالار، وعبد العزيز جواهر الكلام لمكتبة المعارف، وهؤلاء لا يمكن نسيانهم، إذ سعوا في جمع كل ما حصّلوه في هذا الفن من أساتذتهم، علاوة على استفادتهم من الأساليب المعمول بها في الفهارس التي

نشرت من قبل المستشرقين. وعلى هذا الأساس فإن أول فهارس نشرت في إيران كانت ثمرة جهود هؤلاء الرواد الذين فتحوا الطريق أمام الجيل القادم.

وفي المرحلة الثانية من تدوين الفهارس، وعلى رأس رجال هذه المرحلة يأتي العالم المدقق المثابر دون كلل أو ملل محمد تقي دانش پژوه، وبعده علي نقي منزوي وأحمد منزوي ومهدي الولائي وأحمد گلچين معاني وعبد الحسين الحائري وعبد الله الأنواري، وغيرهم من هؤلاء الذين نشروا هذا الفن وأذاعوه.

أما المرحلة الثالثة من تدوين الفهارس والتي تشمل العشرين سنة الأخيرة فتميزت بجهود عدد من رجال المكتبات بالإضافة إلى المصنفين، وساعد على ذلك الإنتشار الواسع للمخطوطات في البلاد، واهتمام دانش پژوه بفهرسة تلك المخطوطات مما فتح طريقا أمام أبناء الجيل الحاضر كي يقوموا بفهرسة المخطوطات، وهذا العمل الجبار ربما كان بحاجة إلى إيجاد دراسة جامعية على مستوى الماجستير، رغم وجود مواد دراسية حول المخطوطات في مراحل مختلفة من قسم تنسيق المكتبات الذي يدرس في الجامعات، وفي مرحلة الماجستير، ولكن لم تكن ثمة رغبة جادة لطلاب هذا القسم الدراسي للتخصص فى علم المخطوطات القديمة، لأنهم يفضلون العمل في الأقسام الأخرى بالمكتبات، والتعامل مع الكتب المطبوعة فحسب.

ولحسن الحظ في هذه السنة، وبناء على اقتراح محمد تقي دانش پژوه للمكتبة المركزية لجامعة طهران، تم فتح قسم دراسي خاص لدراسة المخطوطات، وكذلك الاستفادة من الإخصائيين في هذا الفن، على أمل أن يتم في المستقبل القريب تدريب عشرة أشخاص في هذا المجال، وقد بدأ هذا القسم أعماله في الجامعة (والمواد الدراسية التي تدرس فيه قد ذكرناها في هذا التقرير).

قواعد وأصول تصنيف الفهارس:

إن الفهارس التي نشرت في إيران تضم عناوين المخطوطات، ولكنها لم تكن مبنية على قواعد وأصول منسقة، وبشكل عام هناك اختلاف بين فهارس المخطوطات الفارسية الموجودة في إيران، لأن كل مصنف وضع فهرسه بناء على علمه الذي اكتسبه، وربما على ذوقه الشخصي، وأحيانا بناء على تفاصيل المعلومات التي وردت في سجلات حفظ المخطوطات Register.

كذلك نجد أن المفهرسين الأوربيين يتبعون قواعدهم الخاصة بهم، وليس لديهم تلك الخبرة الخاصة أو الإحساس بالخصائص المحددة للمخطوطات الإسلامية خصوصا في ترجمة المصطلحات القديمة وتطبيقها على المصطلحات

الجديدة، وقد يفعلون ذلك دون توثيق، ومن أمثلة ذلك المصطلح الفارسي «دندان موشى» والمقصود بهذا المصطلح أن يقع خط بين سطرين بشكل غير متوازن، ولكن متناسب، بحيث يشبه أسنان الفأر لتجميل ورق الكتاب. فكيف يترجم مثل هذا المصطلح؟

وهناك كتاب للدكتور مهدي البياني عنوانه «كتابشناسى كتابهاى خطى»[٨] (طهران ١٤٥٢هـ) وهو في الحقيقة عبارة عن دروس، كان يدرسها في الجامعة، وبعد وفاته نشرت في كتاب مستقل وهناك أيضا كتاب ألفه رضا مايل هروي بعنوان «لغات واصطلاحات فن كتابسازى همراه با اصطلاحات جلد سازى تذهيب ـ نقاشى»[٩] (طهران ١٤٥٤هـ). ولكن هذين الكتابين لا يحلان مشكلات تدوين الفهارس، وللأسف لا يشملان جميع المعلومات الضرورية لتعليم هذا الفن، لذا بات من الضروري تدوين كتاب يشمل جميع القواعد والمصطلحات الخاصة بالمخطوطات الفارسية القديمة الغير معمول بها في بقية الدول الإسلامية، على أن تنشر هذه المصطلحات مع ما يعادلها من كلمات في اللغة الإنجليزية.

وأقترح أن يدون كتاب يشمل جميع القواعد والضوابط وكذلك المصطلحات الخاصة، بفن المصادر دون أن تختلط بالمصطلحات الدارجة في الدول العربية، والهند، وأفغانستان، وتركيا. ومن فوائد الفصل بين المصطلحات لكل بلد أن يصبح بإمكان المفهرس أن يستفيد بالمصطلحات الخاصة ببلده. والمشكلة أنه لم يتم حتى الآن توحيد القواعد أو المصطلحات الخاصة بالنسخ أو الخطوط أو تزيين المخطوطات أو التذهيب أوالتجليد. ليس ذلك فحسب بل إننا اليوم لا نعرف معنى كثير من المصطلحات القديمة، وسوف أعطي مثالا لتوضيح ما أقول: فقد جمعت من المصادر والفهارس القديمة أسماء واحد وثلاثين نوعا من أنواع الورق ولكن لم أعرف كيف يمكن التعرف على هذه الأنواع المختلفة بمطابقتها بالمخطوطات القديمة بغية تحديد نوع الورق المستخدم في كل منها. وأهم الوسائل الازمة للتغلب على هذه العقبات هي نشر سلسلة تشمل جميع الكتب والرسائل الفارسية التي تتناول موضوعات تتعلق بفنون الخط وتزيين الكتب وتجليدها لمؤلفين من أمثال: الصيرفي ورفيقي وسبزواري وميرعلي وصادقي أفشار. وعلى الرغم من أن بعض هذه الأعمال قد نشر وترجم مثل «گلستان هنر» الذي نشره «فلاديمير مينورسكي» ورسالة «رنك كاغذ سيمي نيشابوري» التي نشرتها لويز هارلو Louise Harlow مع تعليقات بقلم إيف بورتر Yves Porter، إلا أن الحاجة ما زالت قائمة لتوفير

مجموعة الكتب المذكورة والتى منها يمكننا استخلاص المصطلحات القديمة، والقواعد القياسية التي نحتاجها، بما يسهل عمل المفهرس. لا شك أن ترجمة كتاب «گلستان هنر» كان عملا مفيدا ولكن الفائدة الحقيقية جاءت بعد أن حقق الكتاب سهيلي الخوانساري.

أما اقتراحي الآخر بالنسبة لوضع سجل موثّق للمصطلحات الأصلية وإيجاد أسلوب لاستنباط الحصول على قواعد دقيقة متعلقة بإعادة اكتشاف الدقائق الفنية للمخطوطات، فيقوم على جمع ما يعرف بالعروض وهي تلك العبارات التي كانت ترد في خاتمة المخطوطات الفارسية، ونشر هذه العروض. كما يمكن عن طريق المخطوطات ذاتها تكوين قائمة بالمجلدات والكتب التي وردت أسماؤها بشكل مستقل أو في نهاية كل مخطوط، ومثال ذلك الفهرس الرائع الذي أعّد عن مخطوطات آستان صفي في مدينة أردبيل، والذي كتب سنة ١١٧٢هـ ونشر بعنوان «گنجينه صفى» بعناية سيد يونسي في سنة ١٣٤٨هـ في مدينة تبريز، ولهذا الكتاب أثر رائع ومفيد في مجال المصطلحات القديمة، التي شاع استعمالها بين خازني كنوز المخطوطات.

الإحصاء التقريبي للمخطوطات الفارسية:

إذا كان الحصر الدقيق لعدد المخطوطات في إيران أمرا مستحيلا، فأنّى لنا أن نحدد عدد المخطوطات الفارسية في العالم. إن تبعثر المخطوطات في المكتبات العامة، والجامعية، ومؤسسات الدولة، والمساجد، والمزارات الدينية، علاوة على نقص المعلومات عن كثير من المخطوطات وجهلنا بأماكن تواجدها واختفاء بعض المخطوطات في المكتبات الخاصة، كل هذه الأسباب تعوق الوصول إلى حصر العدد الحقيقي للمخطوطات. والعدد التقريبي للمخطوطات الموجودة في إيران لا يقل عن مئتي ألف مخطوطة، ويحتمل أن تشكّل المخطوطات العربية نصف هذا العدد. وبشكل تقريبي يمكن القول إن نحو ستين ألف مخطوطة مذكورة في الفهارس المطبوعة والدوريات، وفي مقدمات المصادر والكتب المطبوعة. أما الباقي وعددها قرابة مئة وأربعين ألف مخطوطة، فهي غير مفهرسة وموجودة في جميع أنحاء إيران، ومن بينها يوجد سبعة آلاف مخطوط في كتابخانه ملي (المكتبة الوطنية)، ومثل هذا العدد أو ما يزيد في بقية المكتبات العامة. وجدير بالذكر هنا أن حوالي نصف مخطوطات إيران غير المفهرسة توجد في مكتبات خاصة. وفي الوقت الحالي تضيف بعض المكتبات في إيران إلى مقتنياتها من المخطوطات، ومن هذه المكتبات المجلس

وكتابخانه مركزى دانشكاه تهران ومرعشي زخفي وملي وكتابخانه ومركز دائره المعارف الإسلامية، فتنمو مجموعاتها عن طريق شراء المخطوطات التي تعرض للبيع وأحيانا عن طريق ما يهدى إليها من مخطوطات، وكل هذه الإضافات الجديدة يجب فهرستها كذلك. وأقرب الأمثلة على ذلك مجموعة «سلطانية بهبهاني» التي أهديت مؤخرا لمكتبة دائرة المعارف الإسلامية.

فهرسة الكتب بشكل انتقائي وفاحص:

لما كان عدد المخطوطات المطلوب فهرستها عظيما، ما نعلمه منها وما نجهل وجوده، فقد تعين علينا العمل طبقا لأولويات محددة خدمة للباحثين الذين يحتاجون بشكل حيوي لهذه المخطوطات في أبحاثهم. فعلى كل مكتبة أن تفهرس ما تملك من مخطوطات ثم تنشر قائمة بها، ولكن لتحقيق هذا الهدف يلزم للمكتبة أن تنفق سنوات طويلة مع توفر الأشخاص الأكفاء، وكذلك الإمكانيات المادية المناسبة، ولذلك فإن الطريق الوحيد للاطلاع على المخطوطات قد يكون بفهرسة الكتب بشكل انتقائي، بحيث يلبي حوائج المحققين. ولتحقيق هذا الهدف يستشار الخبراء المتخصصون في فن المصادر والمخطوطات وفهرستها لاختيار قائمة بأهم المخطوطات ، ثم القيام بطبعها. وتوضيحا لهذه النقطة سوف أشير إلى بعض الأعمال التاريخية. وبادىء ذي بدء يتعين على أن أذكر أن حديثي سوف يكون منصبا على المخطوطات الفارسية لهذه المصادر التاريخية فحسب.

يوجد عدد من كتب التاريخ العام المهمة في اللغة الفارسية التي لا نعرف حتى اليوم عدد نسخها الخطية المختلفة، وما نشر منها، سواء كان نصها الكامل أو جزء منه، لم يكن دقيقا الدقة الكاملة ومن الواجب أن يعاد نشرها مرة أخرى. ولإصدار طبعة أفضل ينبغي دراسة كافة النسخ المتوفرة التي لم تستخدم في الطبعات السابقة. من جملة هذه الكتب المعنية كتاب «جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله الهمداني، وكتاب «زبدة التواريخ» لحافظ أبرو، وكتاب «حبيب السير» لخواند مير، وكتاب «روضة الصفا» لمير خواند، وكتاب «خلد برين» لمحمد صفي القزويني. ومن كتب تواريخ الأسر الحاكمة، التي سوف يؤدي إصدار نشرات منها، مأخوذة من أصول يعتمد عليها، إلى فهم أحداث العالم والتاريخ المحلي فهما أفضل. من هذه الكتب نذكر كتاب «ظفرنامة» لشرف الدين علي اليزدي، وكتاب «عالم آراى عباسى» لأسكندر بيك منشى. وبالنسبة للتواريخ المتعلقة بالدول المجاورة لإيران كتاب مثل «تاج المآثر » لتاج

الدين حسن نظامي النيشابوري الذي يعد مرجعا طيبا لتاريخ الهند، وكتاب «هشت بهشت» في تاريخ الدولة العثمانية، بالإضافة إلى كتب كثيرة أخرى يمكن إدراجها في هذا النوع.

أما بالنسبة لتراجم كبار الرجال فأفضل مثال لذلك ما كتبه في هذا المجال رشيد الدين فضل الله الوزير الهمداني، الذي لا تزال أكثر آثاره العلمية لم تطبع بعد، ولم تقيّم مخطوطاتها. وتشمل أعماله ما يلي: «تقريظات»، و«أسئلة وأجوبة» و «مجموعة الرشيدية»، ومن حسن الحظ توجد منها مخطوطات ممتازة في تركيا وإيران، يمكن إصدارها على شكل ملازم. وبالنسبة لمعرفة تراجم علماء الشيعة فهناك كتاب ممتاز مثل «أحسن الكبار في معرفة الأئمة الأطهار» لمحمد بن أبي زيد بن عربشاه العلوي الوراميني من القرن الثامن، وبالرغم من النسخ المتعددة لمخطوطات هذا الكتاب إلا أنه لم يطبع حتى الآن، وكتاب «مجالس المؤمنين» للقاضي نور الله الشوشتري وهو أفضل كتاب في تراجم علماء الشيعة في القرن الحادي عشرالهجري، لم تصدر له طبعة جيدة بعد محققة ومبنية على مخطوطات سليمة يمكن الاعتماد عليها. وكذلك فهناك كتاب «روضة الشهداء» لملا حسين الكاشفي الذي نشره عدة مرات من دون مراجعة مخطوطات الكتاب.وكما أشرنا فإن عددا كبيرا من هذه الكتب تعتبر من المصادر وحتى نتمكن من اختيار أهم وأوثق نسخ مخطوطاتها، فإننا نحتاج إلى فهرس زمني يرتب النسخ على أساس قدمها تاريخيا بما يتيح لنا التعرف على أقرب النسخ لعهد المؤلف، وبهذه الطريقة سوف نتغلب على كثير المشاكل التي تصادفنا عند نشر أمهات الأعمال الأدبية مثل ديوان حافظ [١٠] وشا هنامة الفردوسي وكليات سعدي.

لابد من فهرسة الكتب بشكل انتقائي في جميع الفروع العلمية، لكي نتعرف على المصادر والمراجع الهامة في كل الفروع العلمية، مثل كتاب «جوهرنامة» لنظامي من القرن السادس وهو كتاب في معرفة الأحجار الكريمة، وقد استفاد الخواجة نصير الدين الطوسي من هذا الكتاب في تأليف كتاب «تنسوخ نامه»، وإن لم يشر إلى مؤلفه. وكذلك كتاب «سعادت نامه» لعلاء الطبري من القرن السابع الهجري وهو كتاب في علم المحاسبات. وعند فهرسة الكتب القديمة من الضروري الانتباه إلى مسألتين قد أهملتا حتى الآن إما بسبب عدم الاهتمام، أو لأن الباحثين نظروا إليهما نظرة عابرة وسطحية:

أ) من الناحية المادية: نوع الورق والجلد وطريقة التزيين من خطوط وتصوير. إن الإخصائيين قاموا بتقسيم هذه الفنون، ولكن من المفروض أن

يقوم الإخصائيون كذلك بتحديد زمن كتابة المخطوطة، والمكان الذي كتبت فيه، مع التنسيق والتنظيم في الفنون المشار اليها، وأن يضعوا التعاريف الواضحة لتلافي التعارض في الآراء. هناك فهارس مصورة، مثل الفهرس الوصفي للصور الموجودة بمكتبة بودلين لروبنسون(١١) والفهرس الوصفي للمخطوطات الفارسية المزينة بالصور والمحفوظة بدار الكتب المصرية من تأليف نصر الله مبشر الطرازي، ومؤلفات بازيل كري وإرنست كروبه، ولكن لا يزال في الأمور الاجتماعية والشعبية والدينية أشياء ليست معروفة المعرفة الكافية. وفي مجال التجليد والوراقة فمن المطلوب أن يؤلف كتاب جديد حول التجليد في إيران.

ب) رسم الخط المستخدم في النسخ: من ناحية ضبط الكلمات وليس من الناحية الفنية والتجميلية في مخطوطات القرون القديمة - أي أواخر القرن الثامن - لابد من توجيه العناية الكافية إلى هذه المسألة من جانبين:

أولا: كيفية تلفظ الكلمات بناء على قواعد الإعراب ومما يدل على لهجة الكاتب أو الناسخ . وبإمكان المحقق أن يطلع على التغييرات الحاصلة في اللغة الفارسية ولهجاتها القديمة بحيث يمكن أن يطرح بحث دقيق في هذا الشأن.

ثانيا: كيفية ضبط الكلمات، من حيث الاتصال والانفصال في الكلمات المركبة والمفردة، يمكن القول إنه في كل عصر وفي كل منطقة، وعند كل كاتب قواعد خاصة ولا بد من معرفة القواعد والأصول المتعلقة بالأزمنة القديمة حتى يمكن حل مشكلات رسم الخط. لذلك النسخ التي يمكن أن تفيدنا في هذين الجانبين لابد أن تعرّف بشكل دقيق كما يجب تحديد النسخ الموجودة في طبعات تصويرية طبق الأصل.

نظرة إجمالية في تاريخ فهرسة المخطوطات في إيران:

في سنة ١٣٠٥هـ نشر أول فهرس مخطوطات في إيران، وكان خاص بمكتبات آستان قدس في مشهد ومجلس الشورى الملي في طهران، ومنذ ذلك الحين لم يتوقف النشاط في ميدان تصنيف الفهارس. وأحيانا كانت الحركة بطيئة نتيجة للمشاكل المادية التي واجهت المكتبات أو نتيجة بعض الأحداث السياسية. بالنسبة للمكتبات الصغيرة والتي لا تملك إلا عددا قليلا من المخطوطات، لا يوجد لديها برنامج معيّن لمعرفة عدد هذه المخطوطات، كما أن فهرسة تلك المكتبات لم تكن مرضية.

ولكن في المكتبات الكبرى مثل كتابخانه ملى يقوم علي نقي منزوي بفهرسة هذه المكتبة، في حين يفهرس عبد الحسين الحائري مكتبة المجلس، وأحمد حسين الأشكوري مكتبة المرعشي النجفي، ومحمد تقي دانش پژوه المكتبة المركزية لجامعة طهران، وأحمد منزوي مكتبة مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ويقوم هؤلاء المتخصصون بفهرسة مخطوطات تلك المكتبات بشكل منظم. وبصدور المجلد التاسع من فهرس مكتبة ملك في طهران في هذه السنة تكتمل فهرسة هذه المكتبة الكبيرة. وباعتقادي أن عدد فهارس المخطوطات الفارسية التي نشرت في العالم حتى الآن بلغت نحو الألف (بما في ذلك ما كان منها على هيئة مقال)

أما كتاب « كتابشناسى فهرست هاى نسخ خطى فارسى دركتابخانه هاى دنيا »[١٢]، الذي كتبه صاحب هذه السطور بناء على توصية هيئة اليونسكو في سنة ١٣٣٧هـ /١٩٥٨م فقد أصبح غير كاف وغير دقيق. ولا بد من تخطيط جديد لنشر هذا الكتاب ليشمل الأعمال (أي الفهارس) التي نشرت خلال هذه السنوات. ونحن نعلم أن J D Pearson (وبمساعدة هيئة اليونسكو) في كتاب *Oriental Manuscripts In Europe and North America* ، يشمل كل بلد من الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية بالإشارة إلى الفهارس الفارسية حسب حروف الهجاء، وكذلك يعرّف كل بلد وكل مكتبة صنف فيها ذلك الفهرس. ومع ذلك لابد اليوم أن يضاف إلى أعمال أفشار وبيرسون في مجال فهرسة المقالات التي تتناول المخطوطات لكي نحصل على عمل كامل منسق في هذا المجال.

كانت تنشر في إيران في فترات زمنية مختلفة مجلتان تعنيان بالمخطوطات، وكان لهما أثر كبير في التعريف بالمخطوطات المبعثرة والمتفرقة، والمكتبات الخاصة التي لا يمكن لأصحابهما أن ينشروا فهارس خاصة بها. إحدى هاتين المجلتين كانت «نشريه نسخه هاى خطى»[١٣] الصادرة عن المكتبة المركزية، ومركز الأسناد في جامعة طهران، والذي نشر أول عدد منها في سنة ١٣٣٩ هـ وحتى اليوم طبع اثني عشر عددا منها، والثانية كانت في قم دهى «آشنائى باچند نسخه خطى»[١٤] وقام بإصدارها حسين مدرسي الطباطبائي ورضا الأستادي من أساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم في سنة ١٣٥٥ هـ، ومع الأسف أن هاتين المجلتين قد توقفتا عن الإصدار.

لكي تكتمل عملية فهرسة المخطوطات، فيجب أن تخرق عن دائرة العمل الفردي لتكون عملا جماعيا، ولتحقيق هذا الهدف من المفروض أن يعقد اجتماع في إيران يشترك فيه رؤساء المكتبات الهامة، والمفهرسون الإخصائيون في

مجال المخطوطات، والهيئات التي تعني بالمخطوطات أو تقتنيها مثل «أوقاف»[١٥]، «وزارات فرهنگ وارشاد اسلامي»[١٦]، و«وزارات فرهنگ وأموزش عالى»، [١٧] وذلك لتبادل الأفكار في وضع أسلوب جماعي مشترك على المستوى القومي.

كان في إيران بعض محاولات للعمل الجماعي المشترك لفهرسة المخطوطات، وكانت لها نتائج إيجابية يحسن الإشارة اليها:

١ـ مكتبة سپهسالار، باهتمام محمد تقي دانش پژوه، وعلي نقي منزوي.

٢ـ فهرسة المكتبات الموجودة في المحافظات: كانت بداية هذا العمل اقتراح من محمد تقي دانش پژوة إلى «انجمن آثارملى».[١٨] قام الإخصائيون والأدباء في كل مدينة أو محافظة بفهرسة المخطوطات بها. وكان من النتائج المثمرة لهذا الاقتراح إعداد فهارس لست مكتبات في مشهد: « فهرست نسخه هاى خطى چهار كتابخانه مشهد»[١٩] الذي وضعه كاظم مدير شانه چى وعبد الله النوراني وتقي بينش، وكذلك «فهرست نسخه هاى خطى كتابخانه عمومى جمعيت نشر فرهنگ رشت» [٢٠] الذي وضعه محمد روشن. وقد اكتملت هذه الفهارس ونشرت في ثلاث مجلدات.

٣ـ «كتابخانه مجلس شوراى ملى»[٢١] من المجلد الحادي عشر حتى السادس عشر من ثمارعمل جماعي مشترك.

٤ـ «كتابخانه ملك» [٢٢] في تسعة مجلدات وهو حصيلة عمل مشترك لعشرة مفهرسين.

الفهرس الموحد:

بعد العمل الهام الذي صنفه G A Storey ، جاء أحمد منزوي ـ ذو الخبرة العملية الطويلة في فهرسة المخطوطات والذي ساعد في إعداد ونشر بعض مجلدات من عمل أبيه المسمى «الذريعة» ـ وقرر وضع فهرس موحد للمخطوطات الفارسية الموجودة في إيران. وهو لم يكتف بالاستعانة بالفهارس المطبوعة في إيران، وإنما ذكر في كتابه أيضا أسماء المخطوطات التي شاهدها بنفسه ولم تشر إليهما الفهارس المطبوعة، كما استفاد أيضا من المصادر التي ترجمت إلى الفارسية، ونقل عنها أسماء المخطوطات التي توجد في بعض مكتبات العالم. ولكن بعد ما نشر المجلد السادس توقف عمله بتوقف الناشر عن العمل، ثم سافر بعد ذلك إلى باكستان، ونال موافقة «مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان» [٢٣] في روالبندي، على نشر مجموعة جديدة من

الفهرس الموحد في السنوات (١٩٨٤ـ ١٩٩١م)، وكان عمله الإبداعي في المجلدات الأخيرة هو إلحاق فهارس تحليلية في آخر كل مجلد مرتبة حسب الموضوعات. وهذه الفهارس التحليلية تشتمل على بيانات عن المخطوطات الفارسية مرتبة على أساس اسم الكتاب مع الإحالة على المصادر. وهذا القسم من عمله لم يقتصر على المخطوطات من باكستان وحدها.

وعند كتابة هذا التقرير كان أحمد منزوي قد عاد من باكستان إلى إيران وبدأ عمله الجديد مع مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، وعمله الجديد بمساعدة عدد من الشبان العاملين في هذا المركز، من المنتظر أن يتم على مرحلتين:

المرحلة الأولى : عبارة عن استكمال فهرسه الموحد

المرحلة الثانية: تخطيط وتدوين فهرس موحد للكتب الفارسية، وما زالت هذه المرحلة قيد الدراسة.

وإلى جانب هذا العمل، أي الفهرس الموحد، يجب الإشارة إلى ثلاثة مشروعات أخرى:

أولا ـ فهرس موضوعي للمخطوطات العربية في إيران يقوم بإعداده محمد باقر الحجتي، مفهرس كلية الشريعة بجامعة طهران، والذي عكف على إصدار هذا العمل منذ عدة سنوات، وقد رتب محتوياته على أساس موضوعي، ثم تاريخ التحرير، واسم الكتاب وقام «مركز اسناد دومدارك وزارات فرهنگ وارشاد اسلامي»[٢٤] بنشر المجلد الأول منه.

ثانيا ـ المشروع الذي يرعاه «مركز انقلاب اسلامي»[٢٥] وهو يضع فهرسا مشتركا للكتب الفارسية والعربية في الفقه الحديث وآخرها مشروع تقدم به محمد تقي دانش پژوة إلى كلية الشريعة والعلوم الإسلامية لجامعة طهران، وهو يعتقد أننا لو أردنا أن نوسع مجال الدراسات الإيرانية، فمن الواجب علينا أن نجمع كتاب بروكلمان «تاريخ الأدب العربي»، وسزگين «تاريخ التراث العربي»، واستوري «تاريخ الأدب الفارسي»، بالإضافة إلى الفهارس المنشورة في إيران، ثم نصنع من هذه المجموعة، على سبيل المثال، قائمة موحدة تشمل كل المعلومات التي تتعلق بابن سينا بالفارسية والتركية والعربية، ليوضع بين يدي المحققين والباحثين، بيد أن هذا المشروع لم يتحقق بعد. ومن نافلة القول أن نؤكد أهمية إصدار فهرس موحد من الفهارس الفارسية حتى وإن كان ذلك في بلد واحد. وبهذه المناسبة لابد من الإشارة إلى الفهرس الذي صنفه أخيرا بيمونتيزي الذي أفاد بوجود ٤٣٦ مخطوط فارسي في مكتبات مختلفة من مدن إيطاليا، على أمل أن يصبح مثالا يلهم بنشر أعمال أخرى مماثلة.

فهرس المخطوطات المصورة:

كانت الخطوات الأولى لتصوير المخطوطات نتيجة اقتراح تقدم به محمد القزويني إلى الحكومة الإيرانية عام ١٩٥٢م. وقد أرسلته الحكومة بنفسه فيما بعد إلى أوروبا لتصوير المخطوطات الهامة المبعثرة بما أسهم في تقدم في مجال الدراسات التاريخية والأدبية في إيران، وكل ما صوره من المخطوطات محفوظ حاليا في المكتبة الوطنية. كذلك فإن البروفيسور هانري كوربن خلال رئاسته للمعهد الفرنسي للدراسات الإيرانية في طهران قام بتصوير المخطوطات الفلسفية والصوفية والتاريخية، وكان بعضها من مقتنيات المكتبات الخاصة. وبناء على طلب جامعة طهران ووزارة الثقافة، قام مجتبى مينوي عقب ذلك بالبحث عن المخطوطات في مكتبات تركيا وتصويرها، وقد أنفق في ذلك وقتا طويلا وجهدا كثيرا خلال ست سنوات، وكانت حصيلة هذه السفرة مجموعة من المصورات هي أهم المصورات الموجودة في مكتبة جامعة طهران. ثم قام الدكتور ذبيح الله صفا بتصوير المخطوطات الفارسية الهامة في المكتبات الكبرى، مثل المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية الفرنسية، وكل هذه المصورات توجد في المكتبة المركزية بجامعة طهران. وعلاوة على هذا، كانت مكتبة جامعة طهران تقوم بشكل منتظم بتصوير المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة في إيران والخارج، ويوجد حاليا حوالي ٧٥٠٠ مخطوطة مصورة (ميكروفيلم) وقام محمد تقي دانش پژوه بوضع فهرس للمخطوطات المصورة في تلك المكتبة، ونشره في ثلاثة مجلدات. والنقطة الهامة حول المصورات الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران هي أن عددا كثيرا منها مأخوذ من مخطوطات المكتبات الخاصة. وكذلك يوجد في مكتبة أستان قدس بمشهد، والمرعشي بقم، والمكتبة الوطنية بطهران عدد من المصورات. أما المكتبة الوطنية فالمصورات بها مأخوذة من مجموعة مخطوطاتها وذلك لكي تحفظ تلك المخطوطات من أن تتداولها أيدي الباحثين وذلك باطلاعهم على المصورات وحدها. ومكتبة المرعشي أصدرت المجلد الاول من فهرس مصوراتها ويشمل ٥٠٠ مصورة من مجموع ٢٠٠٠ مصورة، وأخيرا فهناك مكتبة مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى ولديها ١٠٠٧ مصورة من مخطوطات من الداخل والخارج.

طبعات المخطوطات المصورة:

من حسن الطالع أن الجهود في عملية إحياء النصوص التاريخية الفارسية اتخذت شكلين:

أولا: تصحيح وتحقيق النصوص من المخطوطات، وخلال الخمسين سنة الماضية نشر في إيران ما يقرب من ألفي نص من نصوص التراث.

ثانيا: إصدار طبعات مصورة من المخطوطات، وقد بدأ هذا النوع من النشر منذ حوالي عشرين سنة، وقام بهذا العمل لأول مرة جامعة طهران ومركز الآثار القومية. وقد أنشأت في الآونة الأخيرة مؤسسة خاصة باسم «مركز نشر المخطوطات» تحت إشراف دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، وقام المركز بطبع مخطوطات مصورة فريدة سواء لقيمتها الفنية، أو طريقة نسخها. وخلال سنتين من بداية عمله أصدر المركز خمسة نصوص، ومن جملة المخطوطات التي نشرت كتاب «مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار» لتاج الدين محمد الشهرستاني المكتوب في سنة ٦٦٧ من الهجرة.

ومنذ خمس وخمسين سنة قام محمد القزويني بناء على طلب الحكومة الإيرانية باقتراح أسماء تسعة عشر مخطوطا تمهيدا لنشرها. ومن جملة هذه المخطوطات كتاب «هفت اقليم» لأحمد الرازي، و«مجمل لفصيح الخوافي»، و«تاريخ جهان آرا»، و«زبدة التواريخ» لأبي القاسم الكاشاني، و«زبدة التواريخ» لحافظ أبرو، و«تاريخ راقم» لمير شريف السمرقندي، و«كيهان شناخت» لحسن القطان المروزي، وهذه الكتب المقترحة حتى الآن، إما أنها غير مطبوعة، أو كان المطبوع منها غير محققا تحقيقا علميا.

خلاصة القول:

أود في ختام مقالي أن أتقدم بالاقتراحات التالية من أجل الارتقاء بحال فهرسة المخطوطات:

أولا: يجب أن يشكل في الحال فريق من الخبراء لكي يختار من فهارس المخطوطات ـ في كل علم ـ مخطوطات جيدة وممتازة، تنشر في أقرب وقت إما بعد تحقيقها أو على هيئة طبعة مصورة. ومن الأفضل أن تتم هذه المرحلة خلال أقل من عشر سنوات، ثم يستمر العمل مرة أخرى لكتابة فهرس جديد.

ثانيا: فيما يتعلق باللغات الفارسية والعربية والتركية، يجب إقامة برنامج دراسي على مستوى الدراسات الجامعية العليا لدراسة فهرسة المخطوطات المكتوبة بهذه اللغات، ويكون ذلك داخل إحدى الجامعات الكبرى على

أن يولي البرنامج العناية الكافية لدراسة التقاليد المحلية الخاصة بتلك المخطوطات وكتابتها. ولخدمة هذا البرنامج يجب تأليف كتب في علم المخطوطات وكتابة الفهارس وطبعها باللغات الثلاث، إلى جانب اللغة الإنجليزية.

ثالثا: فيما يتعلق باللغة الفارسية فالمطلوب الآتي:

(١) يجب تصنيف فهرس موحد مرتب بشكل زمني chronological يضم جميع ما نشر من المخطوطات الفارسية المفهرسة في العالم.

(٢) وضع قائمة بالمخطوطات الفارسية الفريدة والمفقودة، تشمل كل ما جاء عن هذه المخطوطات في الكتب والفهارس المطبوعة والمقالات المنشورة في المجلات والدوريات.

(٣) تدوين فهرس منتخب وفوري عن المخطوطات الفارسية غير المفهرسة في كل بلد.

(٤) دراسة علمية للمخطوطات القديمة لاستنباط القواعد المتعلقة بالخط الفارسي، ونطق اللغة الفارسية في الفترات المبكرة وحتى القرن الثامن.

(٥) جمع وتدوين العروض الفارسية من الفهارس القديمة التي تحتوي على جميع المسائل المتعلقة بالمخطوطات، ولتحقيق هاتين المسألتين يمكن تحديد المصطلحات، واستخراج القواعد الازمة لفهرسة الكتب.

(٦) تدوين فهرس منتخب من التراث الفارسي الرائع، وتحديد المخطوطات التي لها أولوية في النشر.

الحواشي

(١) المكتبة الوطنية

(٢) المكتبة المركزية لجامعة طهران

(٣) مكتبة ملك

(٤) المكتبة الرضوية

(٥) المكتبة الوطنية في تبريز

(٦) المكتبة العامة في شيراز

(٧) المكتبة العامة في اصفهان

(٨) هنا يوجد اختلاف واضح فيقول الدكتور في رسالته أن كلمة المصادر مع الأخذ من مفهومها القديم لفهرسة المخطوطات هى description في حين أن الآخرين يستعملون كلمة bibliography للمصادر.

(٩) «لغات ومصطلحات فن التجليد مع مصطلحات التذهيب والرسم» طهران ١٣٥٣هـ

(١٠) ملحمة الفردوسي المشهورة

(١١) A *Description of the Persian Catalogues in the Bodleian Library*, by Robinson

(١٢) فهرس المخطوطات الفارسية في مكتبات العالم

(١٣) دورية المخطوطات

(١٤) المعرفة لبعض المخطوطات

(١٥) إدارة الأوقاف

(١٦) وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي

(١٧) وزارة التعليم العالي

(١٨) مركز الآثار القومي

(١٩) فهرس المخطوطات في مكتبات مشهد

(٢٠) فهرس مخطوطات المكتبة العامة والجمعية الثقافية في مدينة رشت

(٢١) مكتبة المجلس الشوري الوطني

(٢٢) مكتبة ملك

(٢٣) مركز الدراسات الفارسية في إيران وباكستان

(٢٤) مركز الإسناد لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي

(٢٥) مركز الثورة الإسلامية

المخطوطات الإسلامية في الغرب

انجيلو ميكيلي بيمونتيزي

تعتبر المخطوطة نصا - أي: وثيقة مكتوبة تنتمي لنوع أدبي بعينه، وهي عمل مكتوب بخط اليد، سواء أكان كتابا أو لوحة - وللمخطوطة بصفة عامة قيمة باقية على مر الدهور، ولذلك تحفظ في المكتبات ومراكز الوثائق والمتاحف، وتتوقف أهمية المخطوطات على ميزاتها الأساسية مثل الأصل والمحتوى، والتركيب والتاريخ، والملكية، وسلامة حالتها، كما تبرز أهمية المخطوطات إذا أشير إليها باعتبارها مهمة في أحد الكتب أو الفهارس، ولا تزال أساليب تعريف المخطوطات، وفهرستها تشكل عقبة منهجية.

إن هاتين الصفتين المتلازمتين في تكوين المخطوطة ـ أي كونها نصا، وعملا مخطوطا باليد في نفس الوقت ـ تستحقان أن نوليهما نفس القدر من الاهتمام، والحق أنهما من الأهمية بحيث أننا نحتاج لدراستهما على ضوء كل من علم دراسة الكتابات القديمة"الباليوغرافيا"، وعلم دراسة الكتب المخطوطة "الكوديكولوجيا". إذ يدرس علم الكوديكولوجيا الشكل الخارجي للمخطوطة من حيث السياق، والمجموعة التي تضمها وفهرستها، والواقع أن أفضل الطرق لدراسة تاريخ الإبداع الأدبي تتمثل في استخدام المعلومات التي تتوفر عن طريق الفحص "الباليوغرافي والكوديكولوجي".

إن الإحاطة بغوامض نص ما تستلزم دراسة العمليات المادية المحيطة به - من إنتاج ونقل وحفظ وفهرسة - وهي ما يمكن أن نطلق عليها "التاريخ العيني الخاص بالنص" أو "خصوصيته الثقافية". على أن هذه الدراسة تعد من التعقيد بمكان بسبب تعدد العناصر الداخلة فيها، لأن المناهج المتصلة بهذه الدراسة لا

تتيسر إلا عن خبرة طويلة تنطوي على الإلمام بفروع المعرفة المتعددة وأن نتائج مثل هذه العملية تبرر ما يبذل فيها من جهد، لأن تقدم المعرفة على مر التاريخ لم يحدث إلا بفضل اقتناء الكتب التي فتحت السبيل أمام دراسة المصادر، ومن ثم أمام حل رموز المخطوطات.

اتجه الاهتمام - فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية - نحو فهم النص أكثر من توجهه نحو فهرسة العمل المخطوط، في أغلب الأحيان.

يبدوا الباحثون مهتمين بمعنى النص لا بصيغة تحريره، ولا طريقة زخرفته حيث قضوا زمنا طويلا قبل أن يلتفتوا إلى أقوال الكتاب - العرب، والفرس والأتراك - حول المنزلة السامقة التي تحظى بها صناعة الكتب والفنون الخطية في العالم الإسلامي، ونستشهد بعبارة واحدة تنسب للمرزبان: "إن فن الكتابة فن هندسي صعب ينطوي على أسلوب حرفي دقيق".(١)

إن أوروبا لم تبدأ تقدير جمال المنمنمات الفارسية إلا في وقت متأخر - بدايات القرن العشرين - الأمر الذي يرجع إلى نضج الذوق الجمالي في ذلك الوقت، وقد اقتضى الأمر أن نصل إلى أواخرالقرن العشرين لكي يدرك الباحثون: أن الخط والزخرفة والتجليد والورق هي العناصر التي تجعل من الكتاب كتابا، وليس الكتاب إلا وثيقة تشهد على حضارة أدبية.

لما ابتدأت أوروبا دراسة الأدب العربي - خلال العصور الوسطى - ترجم الدارسون عدة مؤلفات علمية وفلسفية إلى اللغة اللاتينية دون أن يعرفوا المخطوطات الأصلية التي نقلوا عنها.

يمكننا القول: في حال ترجمة نص من لغة إلى أخرى، وفي حال نقل نص داخل اللغة نفسها، من أسلوب تقليدي في التعبير إلى أخر حديث ـ في الحالين على السواء - قلما كان الناقلون يعيرون اهتمامهم لشكل المخطوطة - المنقول عنها - الأصلي، وعلى سبيل المثال: فإن إحدى نقاط التحول في تاريخ الكتابة - في العالم الإسلامي - تمثلت بالانتقال من الخط الكوفي إلى خط النسخ، وكان معنى هذا التحول أن يعاد استنساخ النصوص القديمة. وهكذا فإن الكتب القديمة التي ربما كان قد سبق استخدامها - للترجمة عنها أو النسخ منها - استغنى عنها، أو تم التخلص منها نهائيا.

كان التقدير الذي حظيت به الكتب العربية الأصلية - وما تم من فهرستها للمرة الأولى - نتيجة لعصر النهضة الذي شهد تصاعدا في الاهتمام بالأنشطة والتقنيات الكتابية، والذي تعرضت فيه العلوم الكلاسيكية إلى تجديدات عميقة.

قبل اختراع الطباعة بوقت قصير قدمت إلى البابا يوجينيو الرابع في سنة١٤٤١م مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية المصرية الأصل، و كانت تشتمل على نصوص مسيحية وطبية وفلسفية ونسكية، وأصبحت فيما بعد جزءا من"مكتبة الفاتيكان" (أسست في عام ١٤٥٠م).

كتب جيوفاني بيكو - في رسالة إلى مارسيليو فيشينو سنة ١٤٨٦م : "إن دراسة الفلاسفة العرب من خلال الترجمات اللاتينية لا تعدو أن تكون تكرارا لمعارف القرون الوسطى ولذلك فإن الوقت قد حان لقراءة المؤلفات الأصلية،" وهو ما كان قد شرع فيه بالفعل.[٢] وبعد ذلك - بزمن وجيز- ابتدأ بعض الخطاطين، والمدققين، والباحثين الإيطاليين في تركيز اهتمامهم على الخط العربي بما فيه الخط المغربي.

لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا: أن هذا التغير الموقفي كان يرجع ضمنا إلى رغبة "الإنسانيين" Humanists في اقتفاء أثر النصوص اللاتينية، والإغريقية الكلاسيكية التي كانت - على ما يبدو - قد فقدت في الغرب. وكان القصد أن يتم ذلك من خلال النسخ العربية لتلك النصوص الكلاسيكية، والتي كانت محفوظة في الشرق، وهكذا فان العالم الرحالة ج ب فيشيتي وأخيه غيرولامو قاما بجلب بعض المخطوطات العربية من بلاد الشرق، بتكليف من دار الطباعة الميديتشية الشرقية (التي أنشئت في روما عام ١٥٨٤م) .

كتب الكاردينال الفرنسي جاك دافي دي بيرون (١٥٦٦ ـ ١٦١٨م) معبرا عن إعجابه على النحو التالي: "إن فيشيتي - وقد عاد حديثا من الإنديز (١٦٠٨م)- قد أتى بعدد من المؤلفات الإغريقية في الرياضيات مترجمة إلى العربية، وهي مؤلفات لم نرها من قبل، وفي (مكتبة) الفاتيكان يوجد عشرون مؤلفا إغريقيا مترجما إلى العربية، وهي مؤلفات مفقودة في اللغة الأصلية (اليونانية)، ... نحن مدينين للعرب بالنصوص الإغريقية القديمة التي صانوها من أجلنا." [٣]

يسر التقدم - الذي أحرز في مجال الدراسات اللغوية - السبل لتناول المادة الجديدة وكان إتقان العربية - وإلى حد ما التركية والفارسية - أحد المنجزات الثقافية لعصر النهضة الأوروبية خلال القرن السادس عشر، وحتى بدايات القرن السابع عشر.

وبدأ الاهتمام أنذاك بالبحث عن كتب تعليم النحو، والمعاجم العربية مثل «أجرومية» الصنهاجي و«القاموس» للفيروزابادي. ومن جراء نشر كتاب «النحو العربي» الذي لايزال صالحا حتى اليوم ـ من تأليف توماس إربينيوس

(ليدن سنة ١٦١٣م) والقاموس الضخم المعروف بـ «المعجم العربي ـ اللاتيني» لانطونيوس جيكيوس (ميلان سنة ١٦٣٢م) توفرت للباحثين الأدوات الأولية اللازمة لدراساتهم، وفي الوقت ذاته كان يجرى نشر وترجمة وشرح بعض المؤلفات العربية اللغوية والعلمية .

مثل القرن السابع عشر خطوة هامة إلى الأمام في الدراسة العلمية للغتين التركية والفارسية، و انفتح فيه السبيل أمام التوسع في دراسة الآداب الإسلامية باللغات الثلاث الكبرى. وتزايد الاهتمام بجمع المخطوطات التي كانت تعد أساس المعرفة، وارتحل العلماء إلى بلاد الشرق في طلب المخطوطات، وهكذا قام الرحالة والدبلوماسيون والدارسون أمثال جوليوس (من هولندا)، ون هوبرت (سنة ١٦٥٥م، من بريطانيا العظمى) وب نيدرشتاشن (سنة ١٦٧٢م، من المانيا) و ج ب ونسلبين (سنة١٦٧١ ـ ١٦٧٥م، من فرنسا)، و ل ف مارسيلي (سنة١٦٧٩ ـ ٨٦م، من إيطاليا) ـ باقتناء المزيد من مجموعات المخطوطات.

لم تكن دراسة المخطوطات بالأمرالسهل، لأن عملية الفحص المفصل الفعال للمخطوطات كانت تتطلب عدة قرون لتطويرها، وعلى وجه الخصوص كان التعرف على مخطوطة ما وفهرستها عملية من التعقيد بمكان، وتطلب الأمر أجيالا عديدة من المفهرسين لاتقانها. وطيلة الوقت كانت مجموعات المخطوطات تنمو نموا سريعا.

إن "سجل الكتب الشرقية الخاص بصاحب السمو الدوق الأعظم" (لمقاطعة تسكانيا) - والمشتمل على وصف مختصر للمخطوطات - والذي وضعه م. بارتليمي دي هربلوت، العالم الفرنسي النابه - في فلورنسا عام ١٦٦٦م (٤)، يمكن اعتباره واحدا من أوائل الفهارس العلمية للمخطوطات، وقد نشر جزء منه في «أمونيتاتس ليترارِيا» التي كان يحررها ج.س. شلهورن (فرانكو فورتي وليبساي ودانييل بارتولوماي، عام ١٧٢٥م، ثلاثة مجلدات). وينبغي أن نذكر أن "الوصف" المشار إليه آنفا - على الرغم من كونه وافيا لأجل التعرف على النصوص، إلا أنه لا يمكن اعتباره وصفا للمخطوطات في حال من الأحوال.

إن الفهارس الهائلة ذات القطع الكبير (فوليو) التي نشرت خلال القرن الثامن عشر لم تسهب في وصف المخطوطات بصفة عامة. ومن ناحية أخرى: لم يكن كل المفهرسين قد تمكنوا - في ذلك الوقت - من فن وصف مادة النصوص، وعلى سبيل المثال: فإن نسخة من الديوان الفارسي لـ م أ شوكت من بخارى

(المتوفى سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م)، - التي كانت ضمن مجموعة البندقية - قد عرفت على النحو التالي: "تاريخ شوكت، مدينة في بلاد ما بين النهرين، خط طول ٩٩ درجة ٣٠، خط طول ٤٧ درجة شمالا، والواقعة في المنطقة الخامسة لمؤلفه أبي الفداء"!

كان معجم «كشف الظنون» الموسوعي لحاجى خليفة الذي قام بتحقيقه ج فلوغل (ليبزج ١٨٣٥ ـ لندن ١٨٥٨م) يمثل قاعدة صلبة للتعامل مع هيكل المخطوطات، فبهذا العمل الشهير ابتدأ عصر احياء التراث على أساس علمي، ثم أصبح المفهرسون - بعد ذلك - أكثر اعتناء برصد العناصر "الباليوغرافية" في المخطوطات، واقتضى ذلك وصف العدد الأكبر من المجموعات العظمى بصورة منظمة، ومثال ذلك المجموعات الخاصة بأكاديمية العلوم (فى ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧٧م، بواسطة ب. دي يونغ وآخرين)، ومجموعة المتحف البريطاني (في لندن ١٨٤٦ ـ ١٨٩٥م، بواسطة و. كيورتن و س. ريو)، ومجموعة المكتبة الإمبراطورية (فى فيينا ١٨٦٥ ـ ١٨٦٧م، بواسطة ج. فلوغل)، ومجموعة المكتبة الملكية (في برلين ١٨٨٧ ـ ١٨٩٩م، بواسطة و. ألفرت)، ومجموعة المكتبة الوطنية (في باريس سنة ١٨٨٣م، بواسطة دي سلين، و سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٣٤م، بواسطة أ. بلوشيه). و يسري نفس الشيء على مجموعات أخرى، على المستويات القومية والإقليمية والجامعية في كل أنحاء أوروبا.

وفيما يخص مجموعات مكتبتى الفاتيكان القديمة والحديثة، فقد استغرق الأمر وقتا أطول - بكثير - من أجل وضع وصف للمجموعة، وهو ما يتضح من القوائم التي أخرجها ج. ليفي ديللا فيدا (سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٦٥م) و أ روسي (سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣م). وعلى صعيد آخر: فإن مجموعات المخطوطات واصلت انتقالها الجغرافي حتى وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

إن فهرسة المخطوطات تتطلب قسطا عظيما من المثابرة والمهارة، إلى جانب المراجعة الدائمة للأساليب المستخدمة، والتحديث المستمر لموارد المراحل التاريخية المختلفة، بالاضافة إلى ضرورة التحديث، والمراجعة حين امتلاك مقتنيات جديدة. وقد اتسع نطاق النشاط في هذا المجال بصورة كبيرة في العصورالحديثة بفضل فهارس مكتبات البلاد الإسلامية، حيث قام الباحثون - أمثال ب. هورن و هـ ريتر- باستكشاف بعض المجموعات، وأدى دخول المجموعات المحلية الميدان إلى إثراء مجال الدراسة، وزيادة المعلومات المتاحة، وفرص المقارنة والتنسيق بينها.

أدى الانكباب على كنوز التراث إلي فتح آفاق جديدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن بين المشروعات التي تعتبر مؤشرا على ذلك : إصدار «فريتسايخنيس در أورينتاليشن هاندشريفتين إن دويتشلاند» (دليل المخطوطات الشرقية في ألمانيا) ، واصدار فهرس المخطوطات لمكتبة جامعة ليدن، وغيرها من المجموعات في هولندا - الذي قام به ي.ي. ويتكام (سنة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٩م) - والفهرس الجديد للمصاحف المكتوبة بالخط الكوفي- الذي قام به دي روش (سنة ١٩٨٢م) - وفهرس مجموعات المخطوطات الفارسية - الذي قام به ريشار (سنة ١٩٨٩م) - والأخيران يخصان المخطوطات الموجودة بالمكتبة الوطنية في باريس وإنشاء مؤسسة دار الفرقان للتراث الإسلامي بلندن سنة ١٩٩١م.

ومع هذا فإن بعض المجموعات لم تفهرس على النحو المرتجى، ففي إيطاليا لايزال هناك الكثير من الأعمال التي تنتظر التنفيذ، وخاصة في مجالي المخطوطات العربية والتركية، وعلى سبيل المثال: فإن المعلومات المتوفرة حول مجموعة "ميديتشي" الهامة في فلورنسا، والتي تحتوي على عدة نصوص قرآنية، إلى جانب نصوص في اللغة والفلسفة والفلك والرياضيات والطب والميكانيكا، وأيضا بعض النصوص المسيحية، هذه المعلومات لاتزال تعتمد على الفهرس ذي الأخطاء-الذي وضعه س أ أسيمانوس في سنة ١٧٤٢م- والمعلومات المتاحة حول مجموعة "مارسيلي" الخاصة بجامعة بولونيا - والتي تحفل بالنصوص في مجالات : العبادات والتاريخ والجغرافيا وعلم النباتات - لاتزال عرضة لنفس القصورالذى تعاني منه القائمة القصيرة التي صنفها ف. روزن (سنة ١٨٨٥م).

يمكن رد هذا الوضع - في إيطاليا - إلى عدم وجود الفهارس الكافية لتغطية العدد الهائل من المجموعات القديمة - سواء أكانت كبيرة أم صغيرة - والمتناثرة في مكتبات كثيرة على نحو يسبب الحيرة والاضطراب، وعلى الرغم من إدراك أهمية هذا التراث الثقافي الموجود في كل جزء من أجزاء إيطاليا - وهو تراث يعد من بين أعظم ميزات هذا البلد - فإن الباحثين الإيطاليين لم ينجذبوا إليه ولم يتحمسوا لدراسته.

ولقد سدت الثغرة حديثا عن طريق هذه الأعمال: فهرس أ لفجرن و ر ترين (سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٨١م) الذي يتناول مجموعة المخطوطات العربية في مكتبة أمبروزيانا في ميلانو - (والتي أسسها الكاردينال ف. بوروميو في سنة ١٦٠٩م) - وتشمل المجموعة على نصوص في اللاهوت، والمعاجم والشعر

والعلوم، هذا إلى جانب الفهرس الذي وضعه أ. بيمونتيز (سنة ١٩٨٩م) والذي يصف المخطوطات الفارسية في المكتبات الإيطالية العامة، وأخيرا فهرس المخطوطات التركية الذي يقوم حاليا على تصنيفه أ غالوتا.

أن ما نحتاجه حقا هو : أن نقوم برحلة إلى إيطاليا لاستكشاف الأعداد الهائلة من المجموعات - التي أغلبها إما صغير الحجم او متوسطه - التي تنتشر بين ٨٠ مكتبة عامة، في ٥٠ مدينة مختلفة ـ وممن قام برحلة البحث العلمي هذه ذات مرة : ي. فان هامر بين عامي ١٨٢٦ و ١٨٣١م - ولا شك أن عبورالبلد جيئة وذهابا، مكتبة مكتبة، لا بد أن تنجم عنه بعض المفاجآت والاكتشافات الجذابة، وأما المجموعات الخاصة فتلك أرض بكر لم تطأها قدم باحث بعد.

لأجل الوفاء بمعايير الفهرسة الجيدة - خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات العربية - ينبغي مراعاة النقاط التالية:

(أ) أولا، يفحص فحصا مباشرا - في كل مكتبة - تلك المجموعات التي لم تستكشف بعد، أو التي فهرست فهرسة جزئية فقط. وهذا الكلام إنما يعني - في الواقع - فحص جميع المجموعات ما عدا الموجودة بمكتبة الفاتيكان ومكتبة الأمبروزيانا.

(ب) تراجع الفهارس الموجودة والمستخدمة على ضوء البيانات الحاصلة عن هذا المسح، وتعتبر هذه الخطوة إجراء رافدا ليمكن تصنيف فهرس عام يشمل كل المعلومات الخاصة بالأعمال المخطوطة وفهارسها.

تتمتع النصوص العربية والسريانية والعبرية والقبطية بأهمية خاصة بين المجموعات الإيطالية والأوروبية. فيما يتعلق بفهارس المخطوطات المكتوبة بالفارسية: تحتوي عادة على نصوص مسيحية، وفي الحقيقة، فإن الأعمال التي كتبها المبشرون هي تعبير عن نوع أدبي معين في الأدب الفارسي، واستخدمه - خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر- عدد من العلماء الأوروبيين الذين لم يكونوا كلهم مبشرين، وأن قسما كبيرا من هذه المخطوطات المسيحية قد كتبها نساخون محليون في فارس والهند، ومن العوامل التي تميز الأدب الفارسي التقليدي: أن مخطوطاته كتبت في بلاد شاسعة للغاية - تمتد من الهند إلى البلقان - ولذلك فإن الأدب الفارسي المسيحي يساعدنا على استكمال معلوماتنا عن "الكوديكولوجيا" الفارسية.

إن المطلوب فيما يخص المخطوطات العربية هو تحديد ما يدرج بالفهارس عادة، وعلى سبيل المثال: فإن المؤلفات المسيحية والمختلطة لا توضع

عادة ضمن القسم الإسلامي. وبالرغم من هذا التمييز، فليس هناك ما يبرر عدم وجود فهرس واحد - في مكتبة بأهمية مكتبة الفاتيكان - يتناول المخطوطات العربية المسيحية التي توجد منها عدة مئات، ومن ناحية أخرى يبدو أن النصوص العربية التي وضعها كتاب مسيحيون أو يهود، والتي تتناول موضوعات من قبيل الرياضيات والطب، والنحو وصناعة المعاجم، والشعر- بدرجة أقل - تلتزم الأساليب العلمية ذاتها في تأليفها، وطرق التعبيرالتي نلاحظها في المخطوطات العربية الإسلامية.

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أهمية "الكوديكولوجيا" المقارنة، وعلى سبيل المثال، فمن المفيد أن نتذكر: أن ثمة دلائل متوفرة على قيام الصلة - منذ العصور الوسطى - بين الأساليب اليونانية البيزنطية، والعربية الإسلامية، المتبعة في كتابة المخطوطات .

اكتسبت معرفتنا بالنصوص الإسلامية تفاصيل كثيرة بفضل التقدم الذى أحرز في مجال الدراسات الإسلامية، إلا أنه ليس بالإمكان الزعم بأن نفس الشيء قد تحقق من الوجهة "الباليوغرافية والكوديكولوجية" فيما يتصل بالنصوص ذاتها.

نستطيع أن نتحرى صحة هذا الكلام في كتاب كارل بروكلمان "«لأدب العربي»، وكتاب فؤاد سزكين «تاريخ التراث العربي»، وفي المسح الذي قام به س.أ. ستوري للأدب الفارسي، وفي المسح الآخر الذي قام به هـ.ف. هوفمان للأدب التركي - حيث يتركز الاهتمام في هذه الأعمال جميعها على تصنيف النصوص طبقا للفن الأدبي، والتسلسل الزمني، و"الببليوغرافيا"، ومن غير المحتمل أن نعثر في هذه الأعمال الموسوعية الهائلة على مقدمات، أو فصول مستقلة تتناول البنية الشكليةالمادية للمخطوطات المدروسة، أو أدوات الكتابة والمواد المستخدمة فيها، أو وصف الأساليب الخطية، أو الأشكال الزخرفية، أو تواريخ المكتبات، أو بعض المعالم الرئيسية للمجموعات الكبرى.

هذه هي عين الموضوعات التي شكلت كل الآداب الإسلامية من الداخل، ولدينا مثال على ذلك في البنية التقليدية للمصاحف الخطية القديمة، أي ما يعرف بالتكوين العمودى الشرقي (الآسيوي) للصحيفة، أومن ناحية أخرى الصحف الأفقية (الأفرو ـ أندلسية). إن هذا التمايز لا يعبر فقط عن اختلاف الأذواق الجمالية، ولكنه بالأحرى عنصر مميز يثبت وجود تباين - حسب المناطق - لأساليب الكتابة في العالم الإسلامي، وهو تباين يظهر فيه الشرق نقيضا للغرب. إن التمايز المشار إليه يمثل اختلافا ثابتا وجوهريا لا يقتصر

فقط على المواد المستخدمة وإنما يشمل أيضا المفاهيم الثقافية حول صناعة الكتب. وعلى الرغم من ذلك فإن المدخل الطويل المخصص لمادة القرآن في «الموسوعة الإسلامية الجديدة» (١٩٨٦م) لا يحوي حتى على سطر واحد يتناول القضايا "الباليوغرافية".

إذا كان فن الخط هو الفن الذي يعد من أهم الفنون في الحضارة الإسلامية - وإنه لكذلك - فإنه يجب أن يحتل المكان اللائق به، ليس فقط في المعارض الفنية وانما أيضا في تواريخ الأدب، والاتجاهات الأدبية.

إن الدراسات التي قام بها كل من ج. بيدرسن حول فن الكتاب العربي وج. فايدا حول نقل المؤلفات الإسلامية، وتوصيل المعارف، لتدل على أن هذه القضايا تستحق المزيد من الاهتمام اذا كنا نبغى أن نتوصل لفهم افضل للحضارة التي تنهض أساسا على فنون الكتابة، وعلى الكتب.(٥)

كان وما زال العلماء الأوروبيون - الذين يتعاملون مع المخطوطات الإسلامية - يواجهون صعوبات كثيرة من نوع خاص.

تنشأ الصعوبة الخاصة عن افتقارالمصادر الإسلامية المبكرة إلى معلومات "باليوغرافية" متسقة، غير منقطعة حول المواد المستخدمة، وحول المصطلح الخاص بفني "الباليوغرافيا والكوديكولوجيا". ومعنى هذا أن التناول "الباليوغرافي" للنصوص الإسلامية واساليبها التقنية تستمد المعلومات من التقاليد الأوروبية الراسخة في مجال الدراسات "الباليوغرافية"، ونتيجة لهذا فان تقدم الدراسات "الباليوغرافية"- من حيث تطبيقها على تلك النصوص - يتسم بالبطء الشديد.

يتمثل الكم الهائل من المخطوطات الإسلامية التي تزخر بها المكتبات الأوروبية الكبيرة، وإن كثرة هذه المخطوطات تتناقض تناقضا حادا مع العدد الضئيل للمكتبيين والباحثين المؤهلين، أو القادرين على فهرسة هذه المادة، ودراستها على النحو المطلوب، وهذه المخطوطات تعد بالآلاف فهناك: ٢ر٥٠٠ في مكتبة تشستربيتي في دبلن، و١٢ر٠٠٠ في المكتبةالوطنية في باريس (٧ر٠٠٠ بالعربية، ٣ر٠٠٠ بالفارسية، ٢ر٠٠٠ بالتركية)، وكذلك يوجد ما يزيد على عشرة آلاف مخطوطة عربية في المانيا، وأما في إيطاليا فيوجد ٤ر٧٠٠ مخطوطة عربية في مكتبة الفاتيكان، و ٢ر٠٠٠ مخطوطة في مكتبة أمبروزيا، وما يربو على ٢ر٤٠٠ مخطوطة متوزعة في مكتبات أخرى. وليس هناك فئة أخرى من المخطوطات تتفوق عدديا على المخطوطات الإسلامية، سوى تلك المكتوبة باللاتينية والإيطالية، وعلى سبيل المقارنة فإن جميع المخطوطات

العبرية الموجودة في كل المكتبات الإيطالية لا تتجاوز ۲٫۸۰۰ مخطوطة.

والسبب في وفرة المخطوطات الإسلامية - التى تتراكم فوق طاولات المفهرسين - يرجع في المحل الأول إلى كون البلاد الإسلامية عرفت إخراج الكتب المخطوطة قبل أوروبا بأربعة قرون، وقدر عدد المخطوطات العربية - المتناثرة في أرجاء المعمورة، في مؤتمر عقد حديثا، ونودي به باعتباره أول مؤتمر يكرس للاعتبارات "الباليوغرافية والكوديكولوجية" في النصوص الإسلامية - ببضعة ملايين! (٦)

وإذا كان لنا أن نوجز ما تقدم : فإن فهرسة مجموعات المخطوطات الإسلامية التي بدأت في أوروبا - في القرن السابع عشر، وتجددت خلال القرون التالية، وحتى الخمسين عاما الأخيرة - تركزت فقط على تصنيف النصوص في قوائم، وساهمت عملية الفهرسة مساهمة عظيمة في تطوير الدراسات الإسلامية، وخاصة في مجال التحقيقات النقدية للنصوص، وكذلك في مجال توسيع نطاق الدراسات، وتحديد اتجاهات البحث، على أن هذه القضايا لا يمكن أن نتعرض لها هنا لانها تتطلب دراسة مستقلة .

ذكرنا فيما سبق :إن أغلب الفهارس قلما تحتوي على إشارة إلى البنية المادية الشكلية للمخطوطات، ولكن ما هو أكثر اثارة للدهشة هو كونها أقل تعرضا ـ بل لعلها لا تتعرض إطلاقا ـ لتواريخ المجموعات، وخواصها المميزة، وهذا النوع من الإشارات لا تمليه الحماسة الزائدة، وانما تمثل هذه الإشارات العوامل المحددة التي تساعد على تمييز هيكل العملية التي بفضلها تعيش المخطوطات مفرقة كانت أم مجموعة .

بسبب ما تقدم يندر وجود مجموعات موصوفة طبقا لنشأتها التاريخية، وكافليها، وتكوينها الخاص، ومحيطها الثقافي، ومن المؤسف أن تاريخ جمع المخطوطات الإسلامية - في أوروبا - يبقى هدفا علميا مؤجلا إلى المستقبل غير المعلوم، وأن المعلومات العامة، والجداول الإحصائية المشتملة على مسح جم الفائدة - يتناول المجموعات والمكتبات في العالم أجمع - لا تعطينا سوى فكرة مبهمة عن المعلومات التاريخية الأساسية اللازمة لهذا الفرع من الدراسات.(٧)

إن بإمكاننا أن نقدم مثالا لفهرس يفي حقا بالمتطلبات العامة المذكورة أعلاه، يصف ذلك الفهرس النصوص والعناصر "الباليوغرافية" في المخطوطات فيشمل النص الكامل "للكولوفونات" (لبيانات إخراج المخطوطة المدونة في آخرها) - والتي تعتبر بمثابة البطاقة الشخصية للمخطوطة -، ويشمل هذا

الفهرس عرضا لتاريخ المجموعة المعنية إلى جانب تقييم شامل يراعى الآتي: محتوى النصوص، خصائص أهم النسخ، نوعية الخط، الزخارف والرسومات، ونبذة عن "نوع الورق ومصدره ونوع الألياف وحالتها".(٨)

من النادر حقا أن نجد معلومات محددة عن نوع الورق وما يتصل بذلك في الفهارس ، والسبب في هذا يرجع إلى أوجه القصور في معرفتنا بأساليب التحليل الفني "لباليوغرافية" المخطوطات الإسلامية.

إن الصورة المستمدة من المعلومات التي توفرها "الباليوغرافيا"، وأساليب الفهرسة المتصلة بها لكفيلة بالكشف عن الكثير، وينبغي أن تشمل المعلومات على: إحصائيات كاملة، كتب في تعليم المنهج، سلسلة من المخطوطات المدققة والمخرجة طبقا للأصل (فاكسيميلي)، عينات من أنواع الورق المستخدمة، نماذج للكتابة ولأنواع الخط، مجموعات تمثل صيغ "الكولوفونات"، نبذ عن أنماط الكتابة، والمواد المستخدمة في تجليد الكتب، وصف للنماذج المحلية، الأشكال التزينية، دراسة لرموز المنمنمات إلى جانب مقالات عن "الكوديكولوجيا" المقارنة، تواريخ المجموعات، ونبذ عن حياة الجامعين.

إن عملية إعادة تركيب حلقات السلسلة التاريخية، والجغرافية الطويلة - بما يحقق الربط بين المؤلفين والنساخ من ناحية، والجامعين والقراء من ناحية أخرى - قد ينتج عنها تاريخ ثقافي كامل الأبعاد. وهذا كله يتطلب معلومات "باليوغرافية" وتحليلا موثقا للمذكرات والمراسلات، ويشمل هذا - أيضا - على جمع القوائم القديمة، والتحليل المفصل للفهارس ، وخاصة لعمليات الجمع المبكرة التي تمت بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر.

علاوة على ما سبق فإن الجامعين المقتنين والمؤسسات، وموفري المعلومات، والرحالة ، والباحثين والمحققين، وتجار الكتب، جميعهم كان لهم دور في تطور صناعة الكتاب، وفي نشر المخطوطات.

أدت المشروعات الثقافية المتعلقة بمجال المخطوطات الشرقية - في فرنسا وغيرها من بلدان أوروبا - إلى نشوء شبكة واسعة من الصلات، والمصالح التي تمتد رقعتها من شمال أفريقيا إلى الشرق الأوسط، والهند، وهي شبكة ترجع بدايتها إلى القرن السابع عشر، وشارك المحققون والطابعون في تلك الشبكة منذ بداية القرن السادس عشر، وجاء الأمر نتيجة ظهورالطباعة الذى أعطى قوة دفع هائلة لعملية جمع المخطوطات الإسلامية في أوروبا في العصر الحديث .

إن تاريخ الاستشراق الأوروبي - سواء أكان جزئيا أم شاملا - لا بد له أن يبقى في طور جنيني طالما أن معلوماتنا ناقصة في جميع المجالات التي أحصيناها في هذا البحث.

الحواشي

1 Franz Rosenthal, Four Essays on Art and Literature in Islam, Leiden, 1971, p. 32.

2 Opera Omnia Ioannis Pici, Mirandulae, Basileae, by Heinricum Petri, 1557, Epistolae, p. 367.

3 Perroniana sive Excerpta ex ore Cardinalis Perronii Per FFPP, Geneva, Apud Petrum Columesium, 1669, pp 18–19.

4 Firenze, Biblioteca Nazionale, M.S. II.II.115, ff. 305-362; Paris Bibliothèque Nationale, M.S. Ital 80; partly published in vol. III of Amoenitates Literariae, ed. J. C. Shellhorn (Francofurti et Lipsiae, 1725).

5 Johannes Pedersen, The Arabic Book, trans. by G. French, ed. R. Hillenbrand, Princeton1984: Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam (VII–XVIII siècle), ed. N. Cottart, London, 1983.

6 François Déroche (ed.), Les Manuscrits du Moyen-Orient. Essais de codicologie et de paléographie. Actes du Colloque d'Istanbul. (Istanbul, 26–29 mai 1986), Istanbul–Paris,1989.

7 J. D. Pearson, Oriental Manuscripts in Europe and North America. A Survey, Switzerland,1971, chapter 'Arabic Persian Turkish', pp. 189–345. But see G. Roper (ed.), Worldwide Survey of Islamic Manuscripts, Inaugural Volume, London, 1991

8 P. Hitti, N. Amin Faris and B. Abd al-Malik, Descriptive Catalogue of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library, Princeton, 1938, introduction pp. iii–x.

مجموعات المخطوطات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (السابق) وفهارسها

انس باقي خالدوف

تمتعت مناطق شاسعة من الاتحاد السوفيتي - في ماضيها - بتاريخ إسلامي طويل أنتجت خلاله كما كبيرا من الكتابات المتنوعة. وكانت آلاف النصوص تستنسخ مرارا وتكرارا. وترجع بكريات النقوش، والوثائق المدونة بالعربية - في آسيا الوسطى وفي جنوب القوقاز- إلى بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وعلى ما يبدو فإنه لم يمض وقت طويل حتى ظهرت أوائل الكتب. وبدءا من ستينيات القرن نفسه أصبحت سمرقند تنتج الورق، فأمدت به سائر ديار الخلافة الإسلامية لما يقرب من ٢٠٠ عام. وفيما بين القرن العاشر، والقرن الثاني عشر الميلادي وجدت مكتبات تضم مئات المخطوطات العربية، في بخارى ومرو، وغيرهما من المدن، ثم انضمت إليها أيضا كتب مدونة بالفارسية الفصحى، وبالتركية. وكانت المكتبات تقام أينما قطن المسلمون. ومما يؤسف له أن التطورات السياسية والكوارث الطبيعية عبرالتاريخ لم تكن رحيمة بتراث بلادنا الأدبي الإسلامي، فأسهمت في تدميره. وهكذا ضاع الشيء الكثير من المخطوطات.

توجد مجموعات من المخطوطات الإسلامية في العديد من مدن الاتحاد السوفيتي، وخاصة في مؤسسات الدولة، ومكتباتها ومتاحفها، وأغلب هذه المجموعات تأسست في المراكز الاستشراقية في روسيا خلال القرن التاسع عشر، وكانت البداية في بطرس بورج (لينينجراد)، ثم في قازان، وكييف وموسكو وطرطو (دربت) وغيرها.

أما عن كمية المخطوطات الإسلامية فإن أكبر مجموعاتها موجودة بمعهد الدراسات الشرقية الذي يحمل اسم البيروني والتابع لأكاديمية علوم جمهورية أوزبكستان في طشقند. ويلي هذه المجموعة المجموعات الموجودة في لينينجراد، وباكو، وقازان ودوشامبه، ومهاشكالا، وسمرقند. على أن البيانات العددية المتعلقة بالكثير من مجموعات المخطوطات ليست كاملة، وتفتقر إلى الوضوح وذلك لأن المخطوطات تحصى بحسب المجلدات الحاوية لها، وهذه تتمايز تمايزا كبيرا في حجمها، وعدد أوراقها، أو أنها تحصى بحسب الأعمال المفردة، والعمل قد يشغل مجلدات عدة، أو صفحة واحدة، كما أن النصوص القصيرة (وهي غالبا شذرات وأحيانا ما تكون مدونة في لغتين أو ثلاثة) والتي تحتل المساحات الفارغة من الصفحات، أو الأوراق االمفردة، أو مجلد مفرد، يجري عدها بطريقة مختلفة أو أنها تهمل. وإلى هذا فإن عددا من مستودعات المخطوطات الإسلامية - في بلادنا - لم تنشر بعد معلومات مفصلة ودقيقة عما في حوزتها، بسبب افتقادها إلى قوائم وفهارس يعتمد عليها.

من الضروري أن نذكر أن مكتبات الاتحاد السوفيتي تحتوي - إلى جانب المخطوطات والوثائق (أي تراث الثقافة الإسلامية التقليدية المدون بلغات ثلاث، هي العربية والفارسية والتركية) - على تراث وفير يمثل العصر الجديد، وينتمي إلى الفترة التي حدث فيها التحول من الثقافة التقليدية إلى الثقافة الحديثة، وترجع آثار هذا التراث إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبواكير القرن العشرين، وهي فترة نهضة المجتمع، والتجدد السريع للأدب. وتتمثل هذه الآثار في مدونات للمحاضرات، أو للأدب الشعبي، أو مقتطفات طريفة، أو نسخ خطية لبعض الأعمال المعاصرة لكتاب، وصحافيين، وأساتذة، ورجال الدين، والتعليم، والثقافة الذين كانوا يكتبون إما بلغة حديثة، أو بلهجة محلية، جاعلين من هذه أو تلك أداة تعبير أدبي بفضل نشاطاتهم الإبداعية. وفي فترة "الثورة الثقافية" - في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن - حين كان العثور على شيء مدون بالأحرف العربية في حوزة المسلمين يستوجب إتلافه أو تحصيله كيفما اتفق، تم إيداع هذه المواد المتنوعة في مخازن وأراشيف المخطوطات . وعندما استبدلت الحروف العربية بالحروف اللاتينية (بعد ١٩٢٦) ثم إلى السيريلية (بعد ١٩٣٨)، أصبح كل شيء مدون بالعربية يبدو للمكتبيين والوثائقيين من الجيل الجديد كتلة هائلة، وغير متمايزة من التراث الإسلامي. واليوم فإن دراسة هذا التراث غالبا لا تكون إلا في نطاق التاريخ الثقافي المحلي للجمهوريات والشعوب ذات الصلة به، وبمعزل عن النطاق الأوسع للثقافة الإسلامية.

ما زالت توجد كمية غير معروفة من المخطوطات في مكتبات خاصة، وهي تمثل معينا لا تزال مؤسسات الدولة تنهل منه، فلنتوجه باديء ذي بدء بملاحظاتنا إلى القسم الآسيوي الجنوبي من الاتحاد السوفيتي، والذي يعرف عادة بآسيا الوسطى، أو تركستان.

تتوفر المعلومات حول مجموعات المخطوطات الخاصة بهذه المنطقة الشاسعة في عدد من تقارير الرحالة، والمقالات العائدة إلى القرن التاسع عشر، أو بواكير القرن العشرين، ولكن منذ ذلك الحين قد انتقلت الغالبية العظمى من المخطوطات والمكتبات من مكان إلى آخر، أو غابت عن الأنظار كلية.

يوجد العدد الأكبر من المخطوطات الإسلامية في جمهورية أوزبكستان لما تتمتع به من مراكز علمية إسلامية قديمة - مثل بخارى وسمرقند وأورجنش وخيفا وشهرساب وخوقند - إلا أن المخطوطات تتمركز الآن في العاصمة طشقند.

وكما أسلفنا فإن أولى مجموعات المخطوطات الإسلامية في طشقند، وأكثرها أهمية هي تلك التي يشتمل عليها معهد الدراسات الشرقية - الذي يحمل اسم البيروني - والذي تمثل المخطوطات العربية فيه، كما في كل مكان آخر على التقريب، ملكا عاما يتنامى باستمرار نتيجة لجهود الشراء من الأشخاص، وحملات التنقيب عن المخطوطات. ويبلغ عدد المجلدات ١٨ر٥٩٤، يشتمل نصفها على أعمال باللغة العربية بينما تبلغ الأعمال المكتوبة بالتركية نسبة تتراوح من ١٠-١٥ ٪ وتتوزع البقية بين الفارسية، وغيرها من اللغات. وبالإضافة إلى ذلك يضم المعهد ما يربو على ٣٠٠٠ من الوثائق، واللوائح وما يزيد على ٣٠ر٨٠٠ من الطبعات الأولى للكتب المطبوعة بالليثوغراف (على الحجر).

وضعت هذه المجموعة في البداية في المكتبة العامة بتركستان التي تأسست عام ١٨٧٠م، وفي سنة ١٩٤٣م نقلت إلى معهد دراسة المخطوطات الذي أعيد تنظيمه في سنة ١٩٥٠م بحيث أصبح يعرف باسم معهد الدراسات الشرقية، التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية أوزبكستان . وطبقا للفهرس المنشور سنة ١٨٨٩م فإن المكتبة العامة التي كانت تضم ١٢٦ عنوانا، كانت تشتمل على ٨٧ مخطوطة . ولم يلبث رصيدها أن تعاظم في سنة ١٨٩٨م بمصادرة مكتبة محمد علي - خلفة سبيروف (١٩٤ مخطوطة)، ثم بالمخطوطات التي آلت إليها من مجموعات الجنرال يورابك، والقاضي محيي الدين، و ن.ف. بتروفسكي، وفي سنة ١٩١٢م بلغ عدد المخطوطات المسجلة ٣١٨. ولقد نشر

ف.ف. برتولد - بعد زيارته في سنة ١٩٢٥م - تقريرا عن بعض مخطوطات هذه المكتبة. وحسب قائمة سنة ١٩٣٠ـ١٩٣١م بلغ عدد المخطوطات ١٠٢٥، ولم تلبث مجموعة ف.ل. فياتكين (١٩٠ مجلدا) أن أضيفت إليها في سنة ١٩٣٢م .

بعد عام ١٩٣٣م أخذت مقتنيات المكتبة العامة في طشقند من المخطوطات في التزايد حين ضمت إليها مخطوطات من مكتبات أخرى في الجمهورية بأمر السلطات. ومن بين تلك المخطوطات كانت المجموعات الخاصة بالأشخاص الذين عانوا من الاضطهاد السياسي في الثلاثينيات من هذا القرن. ونذكر على سبيل المثال المجموعات الخاصة برحمانوف، و أ. فترات، و هـ زاريفوف التي أضيفت في سنة ١٩٣٤م (١٤٨ ثم ٤٠ مجلدا على التوالي)، ومجموعة شريفيان مخدوم ضياء في سنة ١٩٣٦م (نحو ٣٠٠ مجلد)، وعددا كبيرا من الكتب والمخطوطات التي نقلت من سمرقند في سنة ١٩٣٨م. وتلك كانت بدورها جزءا من مكتبة بخارى المركزية وفي السنة ذاتها وصلت المجموعة الخاصة لطبيب من سمرقند يدعى ج.م. سميونوف (حوالي ١٣٠ وحدة). وبصفة إجمالية ففي السنوات ١٩٣٣- ١٩٣٨م أضيف لمقتنيات هذه المكتبة نحو ٣٣٠٠ مخطوطة ونظمت فيما بعد عملية البحث عن المخطوطات، واقتنائها من المواطنين الأفراد، كما تمت مركزة المقتنيات الخاصة بالعديد من المؤسسات.

أما عن تصنيف المخطوطات، فقد بدأ على يد جماعة من الإخصائيين الذي كانوا يعملون في البداية بالمكتبة العامة، ثم بعد ذلك في المعاهد المذكورة آنفا تحت إشراف أ.أ. سميونوف، ولم تلبث هذه العملية أن تقدمت تقدما محسوسا في سنة ١٩٤٤/١٩٥٤م بفضل إسهامات مستشرقي لينينجراد (ف. بليايف، و ن. ميكلو خوماكلاي، و أ. كونونوف وغيرهم) الذين استضافتهم طشقند حين أجلوا عن لينينجراد في فترة الحرب. وفيما بعد استأنف باحثو معهد الدراسات الشرقية العمل تحت إشراف (أ.أ. سميونوف) أيضا. وأخيرا وفي عام ١٩٥٢م تم نشر المجلد الأول من الفهرس. ومنذ ذلك التاريخ نشرت ١٠ مجلدات أخرى، حتى أصبح هذا الفهرس واحدا من أعمدة الفهارس في مجال الدراسات الشرقية السوفيتية.

وخلال السنوات الطويلة التي استغرقها إعداد هذا الفهرس، ونشره فقد توالى عليه المصنفون، والمدققون، كما تعرضت مبادىء الفهرسة التي يجري عليها العمل لبعض التغييرات، وقد وضح من أول مجلد أن الفهرس مرتب حسب الموضوع، وأنه يشتمل على مخطوطات باللغات العربية، والطاجكستانية، والتركية، وفي داخل التصنيف الموضوعي رتبت المداخل

ترتيبا زمنيا حسب تاريخ المخطوطات وتم تصنيف المخطوطات (سواء الأصلي منها أو المقتنى حديثا) حسب لغاتها ومواضيعها وصفاتها وتواريخها، وبنشر ما كان يتم تجهيزه من الفهرس أصبح من المتعين على مصنفي المجلدات التالية أن يعودوا إلى رؤوس الموضوعات، والأعمال التي تم إيضاحها في المجلدات السابقة مع أن الخطة العامة للفهرس قد تعرضت للتغييرات أيضا، فالمجلد السابع قد خصص للمخطوطات التركية المذكورة في المجلدات ١-٧، وعلى مثل هذا النحو رتب المجلد الثامن الذي خصص للمخطوطات الفارسية - الطاجكستانية، أما المجلدان ٩-١٠ فيشملان الفارسية - الطاجكستانية فقط، وكذلك القسم الأعظم من المجلد الحادي عشر، وثمة مجلد "عربي" جاهز للنشر، وقد خصصت عدة دراسات لمجموعة المخطوطات في معهد الدراسات الشرقية في طشقند، وكذلك تناولت بعض المقالات أهم الأقسام التي يتكون منها .

وتوجد مجموعة مستقلة من المخطوطات في جامعة طشقند - وكانت تعرف سابقا بجامعة آسيا الوسطى - وتشتمل هذه المجموعة على المجموعات الخاصة بما كان يسمى "معهد الاستشراق التركستاني"، وعلى جزء من مجموعة يورابك. ويبلغ العدد الإجمالي للمخطوطات نحو ٩٠٠. وفي قسمين من أقسام الفهرس الذي وضعه أ.أ. سميونوف يوجد وصف ١٠٠ مخطوطة عربية و ١٧٧ مخطوطة فارسية و ٦٢ مخطوطة تركية.

تشكلت حديثا مجموعة للمخطوطات في متحف الدولة الأدبي الذي يحمل اسم "اليشيرنافاي". وفي البدء تم جمع نسخ من أعمال نافاي وحدها، وبالتدريج ابتدأ الاهتمام بأعمال كل الكتاب الأوزبكيين، والأتراك ثم لم يلبث أن امتد ليشمل سائر المخطوطات الإسلامية أيا كان موضوعها، وفي السبعينات أعيد تنظيم هذا المتحف بحيث تحول إلى "معهد للمخطوطات" بأكاديمية العلوم في جمهورية أوزبكستان الذي سمي باسم أول مديريه الأستاذ حامد سليمانوف، ويبلغ عدد المخطوطات به سبعة آلاف ونيف. وتم نشر فهرس لمخطوطات أعمال نافاي كما أعلن عن ظهور أول مجلدين من فهرس المخطوطات التركية.

تحتوي "مكتبة آسيا الوسطى وكازخستان ديني إداريت" (الإدارة الدينية لمكتبة آسيا الوسطى وكازختان) على نحو ٣٠٠٠ مخطوطة أغلبها بالعربية، إلا أنه لم تنشر بعد أية معلومات عنها سوى بعض الاستثناءات القليلة. وثمة نسخة قديمة من القرآن الكريم مكتوبة على الجلد لعلها ترجع إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي أو الثالث الهجري/التاسع الميلادي وإن كان المعتقد

الشعبي يرجعها إلى أبعد من ذلك مؤكدا انتمائها إلى زمن الخليفة عثمان، وأنها كانت بين يديه وقت مقتله في المدينة عام ٣٦هـ/٦٥٦م. وكانت هذه النسخة سابقا محفوظة في سمرقند إلى أن استولى عليها وأخذت إلى "المكتبة الإمبراطورية العامة" في بطرس بورج حيث قام أ.ف. شيبونين بدراستها دراسة شاملة، وحيث طبعت منها نسخة طبق الأصل (كانت هذه طبعة محدودة توزع على المشتركين). وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ أعيدت للمسلمين، وتنقلت بين أماكن عديدة حتى أضيفت إلى هذه المكتبة.

وفي مركز وثائق الدولة المركزي في أوزبكستان توجد آلاف الوثائق باللغتين التركية والطاجكستانية التي بقيت من مقتنيات المراكز الرسمية السابقة (إمارات بخارى وخيفا وخوقند). وكانت أغلب هذه الوثائق محفوظة في بطرس بورج/ليننجراد حتى سنة ١٩٦٢م وقد أتم المستشرقون تعريفها جزئيا.

يوجد في مكتبة الدولة بأوزبكستان - التي تحمل اسم عليشير نافاي - ما يزيد على ٩٠ مخطوطة باللغات العربية والفارسية والتركية. ويشمل متحف الدولة للفنون في أوزبكستان على كتابين مخطوطين، وأربع لفائف و ٢٤٦ ورقة باللغتين العربية والفارسية.

توجد أيضا مجموعات خاصة في طشقند تضم إحداها ما يتجاوز ١٠٠ مخطوطة، وحوالي ٢٠٠ وثيقة، وقد وصفت حديثا في فهرس . وعلى الرغم من أن طشقند قد أصبحت مركزا يجتذب المخطوطات الإسلامية من داخل أوزبكستان وخارجها (إذ امتدت دائرة الاقتناء لتشمل مناطق ضفاف الفولغا) فقد تنامت مجموعات المخطوطات في مدن أخرى من الجمهورية أيضا.

يوجد في حوزة جامعة سمرقند نيف أربعة آلاف مخطوطة إسلامية ترجع معرفتنا ببعضها إلى نشرة متواضعة. ويوجد في متحف الدولة التاريخي المعماري في بخارى حوالي ٥٠٠ مخطوطة باللغات العربية والفارسية والتركية، و ٢٫٥٨٠ وثيقة، وأكثر من ٥٠٠ مطبوعة ليثوغرافية (بالطريقة الحجرية) كما توجد مجموعة صغيرة من المخطوطات الإسلامية في "مكتبة بخارى الإقليمية" التي تحمل اسم ابن سينا، وقد تم نشر قائمة بذلك الجزء من المجموعة الذي يتناول علم الرياضيات. وتتوافر المعلومات عن وجود ١٤ مخطوطة إسلامية في متحف سورخندريا الإقليمي، إلى جانب ١٦ كتابا مخطوطا، و ٨ كراسات، و ٦٤ لفافة، و ١٣٩ ورقة مستقلة باللغتين العربية، والتركية موجودة في متحف خيفا إيكونكالا، كما توجد مخطوطات تركية لا

يعرف عددها الحقيقي في مكتبة أنديجان الاقليمية التي تحمل اسم "بابور"، وفي مكتبة فرع مرقلبك من أكاديمية العلوم بأوزبكستان.

قدم س. سوتفاديف تقريرا إلى مؤتمر الدراسات الأثرية الذي انعقد في طشقند بتاريخ ١٩-٢٢ مارس ١٩٩٠م عن نشاط المتحف الأدبي في مدينة فرغانا منذ عام ١٩٦٤م حيث يوجد به حوالي ٢ر٥٠٠ مخطوطة، كما قدم ي. صديقون تقريرا عن متحف الأدب والفن بانديجان حيث يوجد به ٨٦٢ مخطوطة ومطبوعة حجرية، أما س. جليلوف فقد قدم تقريرا عن جمع وحفظ الأعمال المكتوبة بخط اليد في معهد أنديجان التربوي.

فيما يتعلق بطاجكستان ليس لدينا إلا بعض المعلومات البسيطة عن مجموعات المخطوطات الشرقية الخاصة بأكاديمية العلوم بطاجكستان في سنة ١٩٥٣م بصفتها جزء من معهد اللغات والآداب، وقد حولت إليه مخطوطات من مؤسسات أخرى، وفي سنة ١٩٥٧م وصلت مقتنياته إلى ٢ر٣١٤ مجلدا، وحوالي ٢٠٠ وثيقة، ومنذ سنة ١٩٥٨م الحقت هذه المجموعة بمعهد الدراسات الشرقية التابع للأكاديمية ذاتها، وقد وصل عدد المخطوطات العربية، والفارسية، والطاجكستانية، والبشتوية، والتركية حاليا إلى ٥ر٣٠٠، وقد ابتدأت فهرسة هذه المخطوطات على يد جماعة من الباحثين بإشراف أ.ن. بولديريف (الأستاذ بجامعة لييننجراد) و أ.م. مرزوييف، واستمرت في السنوات الأخيرة تحت إشراف أ. عليمردونوف، وقد تم نشر ٦ مجلدات من الفهارس.

وتغير طاقم المصنفين، والمشرفين (المدققين) القائم على هذا الفهرس من مجلد إلى مجلد، ورتب الفهرس حسب الموضوع، وهو يشتمل على المخطوطات الفارسية، والطاجكستانية، والأزبكية، وغيرها من اللغات التركية، والمجلدات من ٧ إلى١١ هي الآن جاهزة للنشر، إلى جانب فهرس مختصر خاص بالمخطوطات العربية، وتم وصف المخطوطات المنمنمة في فهرس مستقل، وتضم هذه المجموعة صورا فوتوغرافية وميكروفيلمات لما يزيد على ٣٠٠ مخطوطة إسماعيلية، أما الأصول فيحتفظ بها أصحابها في منطقة بدخشان الجبلية المستقلة، وقد نشر فهرس مختصر (وغير كامل) لهذه المخطوطات في موسكو سنة ١٩٦٧، وقام على نشره أ. برتلز و لم يتطلع عليه م. باكوييف.

تضم المكتبة الجمهورية التي تحمل اسم "الفردوسي" ٢.٢.٧ مخطوطة غير مفهرسة إلاّ أن إحدى المقالات قد وصفتها وصفا موجزا.

كذلك توجد مجموعات من المخطوطات الإسلامية في كل من: "مكتبة المعهد التاريخي" الذي يحمل اسم أحمد دنيش، و "أكاديمية العلوم" في

طاجكستان (حوالي ٢٠٠ وحدة من مجموعة الأستاذ أ.أ. سميونوف السابقة) حيث توجد حركة نشطة في مجال جمع المخطوطات، والبحث في المواد الوثائقية، والزخرفية (الأبيغرافية) ويقوم بهذا العمل أ. مختاروف وآخرون، و"جامي كابينت"ويوجد في جامعة طاجك (حوالي ٨٠ مجلدا)، و "الشقة - المتحف" الخاصة ب- أ.أ. سميونوف (حوالي ٥٠ مجلدا)، و "مكتبة معهد دوشامب التربوي" (حوالي ٢٠٠ مجلد)، ومحتويات المكتبة العلمية لجامعة طاجك والتي تحمل اسم "ف. لينين" (غير معروفة العدد).

وفي عشق أباد عاصمة تركمانستان تحفظ المخطوطات الإسلامية في معهد اللغة والأدب الذي يحمل اسم محتومكولي، والذي أصبح اسمه: "أكاديمية العلوم بالجمهورية التركمانية" (منذ ١٩٥١م). وفي بداية الأمر (من ١٩٢٨م) حفظت المخطوطات في ما كان يعرف سابقا بمعهد الثقافة التركمانية، ثم أضيفت إليه المجموعات الخاصة بعدد من العلماء التركمان الدينيين، وعلى سبيل المثال: المجموعة الخاصة بالملا "طورمراد رحمن كولي" الذي كانت لديه مكتبة "أوقاف" في قرية كونغور بالقرب من ماري، والذي توفي في سنة ١٨٨٥م وقد حدد أمين المكتبة أ. أشيروف عدد المخطوطات بما يزيد عن ٦٠٠٠ (وذلك في تقريره بتاريخ مارس ١٩٩٠م طشقند)، وأغلب الظن أنه شمل في إحصائه المواد المكتوبة يدويا من قبل الأدباء وعلماء اللغة التركمان. وقد نشر حديثا فهرس للقسم العربي من هذه المجموعة.

هناك معلومات عن وجود حوالي ٤٠٠ مخطوطة في مكتبة الدولة بالجمهورية التركمانية، والتي تحمل اسم كارل ماركس، إلى جانب ٣٤ غيرها في مركز وثائق الدولة المركزي للجمهورية التركمانية.

تعتبر المخطوطات الإسلامية نادرة الوجود في جمهورية قرغيز، وقد تيقنت من ذلك بنفسي حين اشتركت في بعثة المعهد التاريخي التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية قرغيز في سنة ١٩٧٤م، وهذا المعهد ذاته في بشكيك (سابقا: فرونز) قد قام بجمع مجموعتين من المواد المدونة بخط اليد.

وفي آلما آتا عاصمة جمهورية كازاخستان يوجد في "مكتبة الدولة" التي تحمل اسم أ.س. بوشكين ٣١٠ مخطوطات إسلامية (١٣٩ عربية، ٦٠ فارسية، ١١١ تركية)، كما تحتفظ المكتبة المركزية لأكاديمية العلوم بحوالي ٥٠ مخطوطا، بينما يوجد بالمتحف الجمهوري للكتب حوالي ١٠ مخطوطات، ومن ناحية أخرى يقتني "معهد التاريخ والآثار والدراسات العرقية" الذي يحمل اسم ش. فاليخانوف، والتابع لأكاديمية العلوم في كازاخستان - مجموعة تتكون من بضع

مئات من الوثائق التي يرجع تاريخها إلى القرون ١٦-٢٠م والمدونة باللغة التركية واللغة الفارسية (وقد جاء أغلبها من ضريح أحمد يسافي)، وثمة مادة أدبية كثيرة (مدونات للأدب الشعبي وكتابات أدبية) مكتوبة باللغة الكازاخستانية وغيرها من اللغات التركية في "معهد الأدب والفنون" الذي يحمل اسم مختار أويزوف، والتابع لأكاديمية العلوم في كازاخستان. هناك معلومات عن ٦ مخطوطات مدونة بالأحرف العربية، وموجودة في المتحف التاريخي للتراث المحلي في بافلودار.

إن أغنى الجمهوريات القوقازية بالمخطوطات الإسلامية هي بالطبع أذربيجان حيث يقع المركز الرئيسي، وهو معهد المخطوطات التابع لأكاديمية العلوم بأذربيجان في باكو، وفي الفترة ما بين ١٩٥٠-١٩٨٧م كان المعهد موجودا بصفته "مركز المخطوطات الجمهوري"، حينما ابتدأ جمع تلك المخطوطات في سنة ١٩٢٨م بواسطة متحف الدولة التاريخي بأذربيجان ، وتقدر كمية المخطوطات في هذا المعهد على النحو التالي: ٧٠٠٠ مخطوطة بالعربية (وبعض المصادر يذكر ١٢٠٠٠) و ٥٠٠٠ بالفارسية وحوالي ٣٠٠٠ بالتركية، هذا إلى جانب وثائق من بينها المواد التي كتبها علماء أذربيجان، وكتابها في القرنين التاسع عشر، والعشرين (مواد منسوبة إلى ٣٢ أو ٣٦ شخصا).

جرى نشر ثلاثة مجلدات من فهرس المخطوطات وكذلك دليل للمادة الخاصة بأحد الأدباء، ويوجد تعريف بالكتب المنسوخة، ومجموعات المخطوطات في عدة مقالات، وإحصاءات (كما نشر في *Trudi Respublikanskogo Fonda* وغيرها من الدوريات المحلية)، وكذلك في بحث قدم إلى المؤتمر الخامس والعشرين للمستشرقين. نذكر من بين المخطوطات العربية القيمة مجلدين لكتاب ابن سينا «القانون في الطب» يرجعان إلى القرن السادس هـ/الثاني عشرم، وفصل عن أدوات الجراحة من كتاب الطب الذي وضعه أبو القاسم الزهراوي الأندلسي (المتوفى سنة ١٠٣٦م)، ومجلدين من «صحاح الجوهري» منسوخين ومصححين في بغداد في سنة ٥١٠هـ/١١١٧م، وثمة أعمال بخط اليد لعدد من شعراء أذربيجان وإيران وتركيا ترجع إلى القرون ١٦-١٩م، ومنهم زين العابدين عبدي، وعلاء الدين ثابت، وأحمد نديم، وحيران خانوم، وخورشيد بنو نتوان، وغيرهم.

وكانت توجد مجموعة صغيرة من المخطوطات الإسلامية في مكتبة جامعة أذربيجان، حيث أحصيت ٢٤ وحدة في سنة ١٩٢٥م من بينها ١٦ مدونة بالعربية، والفارسية ذكرها ف. برتولد في مقالة له، ولا نعلم اليوم ما آلت إليه هذه المجموعة (ولعلها قد حولت إلى معهد المخطوطات).

تتوفر المعلومات عن وجود ١٢٦ مخطوطة عربية وفارسية (وبالتأكيد تركية) في متحف الدولة للأدب الاذربيجاني الذي يحمل اسم "نظامي". وكذلك توجد معلومات عن وجود ٦٥٠ مخطوطة أغلبها عربية في زكتالي خارج باكو، وكذلك عن وجود ١٠ مخطوطات عربية وفارسية في متحف نخجوان الأدبي.

أما المخطوطات الإسلامية في جمهورية أرمينيا فتوجد في يريفان، وخاصة في متندران التي تحمل اسم "مسروب مشتوتس"، وإلى حد ما في "المكتبة الأصولية بجامعة يريفان". ولم تنشر أية معلومات واضحة مفصلة عن هذه المخطوطات، وعلى سبيل المثال فمنذ ثلاثين عاما ذكر في أحد الإحصاءات وجود ٣٥٠ مخطوطة فارسية، و ١٫٥٠٠ وثيقة فارسية في مستندران، وعرف في أواسط السبعينات وجود ٦٠٠ مخطوطة إسلامية وتتناقل التقارير الشفهية أنه قد أضيف إليها عدة مجموعات تضم مئات من المخطوطات الإسلامية.

كل المخطوطات والوثائق الإسلامية الخاصة بجمهورية جورجيا موجودة على حسب علمي في معهد المخطوطات الذي يحمل اسم ك.س. كيكيليدز التابع لأكاديمية العلوم بجمهورية جورجيا في تبليس. وتنقسم هذه إلى ثلاث مجموعات: كاجريان، ومحلي، ووسط أسيوي، ويبلغ مجموعها ١٫٥٠٠ مخطوطة عربية، و٧٥٢ فارسية، و ٢٤٦ تركية، وتوجد كذلك بضع مئات من الوثائق الإسلامية، منها ٣٢٠ ما بين عربية وداغستانية (مثال ذلك المخطوطات التابعة للمجموعة "المحلية")، ويشمل الفهرس المطبوع الغالبية العظمى لهذه المخطوطات.

في عموم منطقة القوقاز إلى الشمال من سلسلة الجبال الرئيسية، حيث بدأ اعتناق الإسلام في دربند (باب الأبواب) في القرن السابع الميلادي، يمكن العثور على مجموعات من المخطوطات على جانب كبير من الأهمية، إلا أن هذا لا يكون إلا في داغستان وحدها، وطبقا للمعلومات التي وفرها لنا ف. ليبيديف المنتسب إلى مكتبة الدولة العامة في لينينجراد، فانه يوجد في المتحف الجمهوري للتراث المحلي في (ششن - أنجوش) ٢٧ مخطوطة عربية، بينما تحتوي مؤسسة البحوث التاريخية واللغوية والأدبية والاقتصادية في (ششن - أنجوش) على ٧٠ مخطوطة أغلبها عربية، ويجري حاليا الكثير من العمل في مجال جمع المخطوطات، وحفظها ودراستها، في معهد التاريخ واللغة والأدب، في الفرع الداغستاني من أكاديمية العلوم القائمة بمهاشكالا، وتبلغ مقتنيات المعهد ٢٫٦٧٨ مجلدا من المخطوطات، منها ٢٫٦٣٧عربية، و١٦ تركية، و٣ فارسية، أما

البقية فهي مدونة بلغات الشعوب الداغستانية. وفي المعهد كذلك :٦.٣٧٤ وثيقة من أصل محلي، وكلها تقريبا باللغة العربية، و ١.٢٤١ مطبوعة ليثوغرافية (حجرية) منها ٢٧٤ بلغات الشعوب الداغستانية، وترجع ثمانية من بين المخطوطات المؤرخة إلى القرن السادس هـ، واثنتا عشرة إلى القرن السابع هـ، و ٣٠ إلى القرن الثامن هـ و ٧٨ إلى القرن التاسع هـ وكل هذه النسخ المبكرة ليست من أصل محلي بل قد جلبت من شتى بلدان الشرق الأدنى، وآسيا الوسطى. وبعض المخطوطات من نسخ بغداد، وثمة مخطوطات لأعمال الكتاب المحليين الذين عاشوا في القرون من ١٢هـ/١٨م إلى ١٤هـ/٢٠م، وهذه المخطوطات ليست معروفة خارج داغستان، وقد قدم في عدد من المقالات مسح عام لمخطوطات داغستان،وتم وصف أهم المخطوطات وأندرها من وجهة نظر المؤلفين في العدد الأول من الفهرس، والذي لم تصدر له إضافات حتى الآن.

وتستحق المخطوطات التالية أن تخص بالذكر في هذا المقام: رقم ٢٥ في الفهرس (رقم القائمة أو الرقم الرمزي ٨٧٨) مقامات الحريري المنسوخة في سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م، وأجزاء عديدة من «صحاح الجوهري» رقم ٣٤ (١٧٣١)، ٣٥ (٩٥٥) و٣٧ (٢) المنسوخة في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، ٥٧٤هـ/١١٧٨م، ٥١٠هـ/١١١٧م . وتوجد في جمهورية داغستان مجموعات عديدة من المخطوطات الإسلامية، أغلبها بالعربية في حوزة المساجد، والأسر والأفراد، وكذلك مؤسسات الدولة، وفي المكتبة العلمية لجامعة داغستان حوالي ١.٤٠٠ مخطوطة، وما يربو على ٣.٠٠٠ وثيقة، كما يوجد في متحف داغستان التاريخي، وفي مسجد مهاشكالا عدد آخر صغير، كذلك تشتمل مجموعة ج.م. نورماغوميدوف على حوالي ٥٠٠ مخطوطة ووثيقة، وفي القرى والنواحي خارج مهاشكالا - طبقا لشهادة أ.ر. شيخ سعيدوف - توجد ٦٢٤ مخطوطة في ١٣ مجموعة خاصة، و ٢.٠٦ مخطوطات في سبعة مساجد.

وتحتوي مجموعات لينينجراد، وباكو، وزكتالي، وتبليس، ويريفان على عدد صغير من المخطوطات والوثائق العربية التي جاءت من داغستان، وقد قام متخصصون من لينينجراد بدراسة هذه المخطوطات في أعمالهم، وما تنطوي عليه من قضايا في اللغة والمحتوى، وأوجه التمييز فيها.

إن أعدادا صغيرة من النتاج الأدبي للشعوب الإسلامية التي تقطن منطقة (دشتي كيبتشاك) التاريخية، والأراضي المجاورة لبحر أزوف، والبحر الأسود قد أنقذ من الفناء، ولا يكاد يبقى شيء من التراث في القرم، وحتى عهد

قريب كان متحف باشيساري يحتفظ ببضع عشرات من المخطوطات العربية والتركية، حيث كان نصيبها الإهمال التام إلى أن تم نقلها إلى لينينجراد وكييف ولوفوف.

إن مناطق الفولغا الوسطى والسفلى إتيل القديمة) بدأت باعتناق الإسلام قبل أحد عشر قرنا على الأقل، وقد نمت إلينا تقارير موجزة ومقتضبة تتناول المراحل الأولى لإسلام هذه المناطق عن طريق الحكايات من خوارزم وتركستان وإيران والعراق، وهناك كتابات عديدة، وأعمال تركية في نسخ متأخرة يرجع تاريخها إلى القرنين ١٣-١٤م. ويبدو أن التعليم العربي الإسلامي قد بقي حتى بعد اندماج هذه المنطقة في الإمبراطورية الروسية، وذلك بصفة رئيسية داخل حدود الدولة البلغارية/ إمارة قازان السابقة، وفي أستراخان (حاجي - طرخان) والمناطق المحيطة بها. ويوجد توثيق وفير لنشاط أدبي كثيف يمتد عبر الفترة من القرن الثامن عشر، إلى الربع الأول من القرن العشرين، أما المخطوطات والوثائق السابقة على هذه الفترة فهي نادرة. وكان جمع المخطوطات نشاطا مألوفا في جامعة قازان حيث أعد فهرس للمخطوطات العربية ونشر، إلا أنها لم تلبث أن حولت إلى القسم الشرقي بجامعة سانت بطرس بورج في سنة ١٨٥٥م، والذي حولت إليه أيضا المخطوطات الشرقية التابعة لمكتبة «جمنزيال قازان». وقد بدأ واضع هذا الفهرس ، وهو أ. غوتوالد من جديد في جمع المخطوطات الشرقية، وواصل آخرون عمله من بعده، وما بين سنة ١٩٢٠ م وسنة ١٩٣٠م تكونت مجموعة من المخطوطات الإسلامية في مكتبة المتحف الشرقي المركزي للجمهورية التترية، كان القسم الأعظم منها عبارة عن مخطوطات جمعها كل من ج. غالييف - بارودي، و س. وحيدوف، وقد نشر مسح للجزء العربي منها في أواسط العشرينات. وفي سنة ١٩٣٤م نقلت هذه المجموعة الي مكتبة جامعة قازان التي لم تلبث أن أضحت المستودع الرئيسي للمخطوطات الشرقية في المدينة. وفي أواسط الثلاثينيات اقتنى معهد الدراسات الشرقية في لينينجراد الكثير من المخطوطات في مناطق الفولغا الوسطى، إلا أن قسما كبيرا من تلك المخطوطات قد دمر أو أصابه التلف. ولقد شهدت الجامعة في العقود الأخيرة نشاطا فائقا في جمع المخطوطات والوثائق، وهو نشاط لا يزال قائما (على يد أ. فاثييف و م. عثمانوف)، وكذلك في معهد اللغة والأدب والتاريخ في فرع قازان من أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي (على يد ش. أبيلوف و أحمد جانوف و ن. يوزييف). وتم جمع مادة كثيرة، بلغت نحو ٦٠٠٠ وحدة في قسم المخطوطات بمكتبة

الجامعة، ونحو ٤٠٠ وحدة في قسم المخطوطات بالمعهد. وعلى الرغم من أن أغلب هذه المادة ذات أصل محلي يمثل الانعكاس الأدبي لممارسات الحياة الإسلامية اليومية، وللتربية المدرسية فإن ترتيبها (حسب اللغات عل سبيل المثال)، وفهرستها المبنية على بطاقات يمكن العثور عليها في مؤسسات أخرى بتترستان، وفي مجموعات خاصة. وقد نشرت بعض المقالات، ووصفا لما تحويه مكتبة الجامعة من مخطوطات تترية، غير أنه لم تظهر حتى الآن فهارس للمخطوطات العربية أو الفارسية.

بدأ جمع المخطوطات والوثائق في «أوفا» في فترة متأخرة جدا، كما أن نطاق المادة المجموعة محدود، ففي معهد اللغة والأدب والتاريخ في قسم بشكير التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي يوجد ما يزيد على ٢٠٠٠، أو ٣٠٠٠ مخطوطة إسلامية (وذلك بفضل جهود أ. حاريسوف و ج. حسينوف و أ. غالوتدينوف وغيرهم)، ويوجد عدد صغيرمن المخطوطات في مركز وثائق فرع بشكير (حوالي ٢٠٠ وحدة)، وفي مكتبة الإدارة الدينية (ديني إدارت) لمسلمي روسيا. وقد بدأت فهرسة هذه المخطوطات منذ وقت حديث.

اكتشف المخطوط العربي الوحيد ذو الأهمية البالغة في م«ال تاريخ العلم، والذي يشتمل على ١٦ دراسة، في مكتبة منطقة "سمارا" وقد تم التعريف به في مقالة خاصة وفيما بعد نقل إلى «مكتبة لينتجراد العامة» (انظر أدناه). وثمة معلومات عن وجود مادة مكتوبة بالأحرف العربية في بلدان مثل إيفانوفو وساراتوف وشليابنسك، إلا أن المختصين لم يطلعوا عليها بعد.

في مدن أوكرانيا توجد عدة مجموعات من المخطوطات، وهي وإن لم تكن كبيرة الحجم إلا أنها على قدر من الأهمية من حيث موضوعاتها، فمكتبة الجامعة المركزية بكركوف تملك ٢٢ مخطوطة إسلامية، ١١ منها عربية، وواحدة عربية تركية، و ٩ تركية، وواحدة فارسية، وقد استجلبت من تركيا في سنة ١٨٧٧م. وأقدم المخطوطات العربية بينها هي «كتاب الأشباه والنظائر» لصاحبه زين العابدين إبراهيم المصري، الذي يتناول الفقه الحنفي، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٩م، أما الكتابات الأخرى فترجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشرالميلاديين، وهذه عبارة عن نسخ من القرآن وتفسيره، إلى جانب أعمال تتناول النحو العربي. وتملك مكتبة الدولة العلمية في أوروبا مجموعة من المخطوطات الشرقية منها ٣٦ بالعربية، وهذه المجموعة ليست مفهرسة إلا أن لدى المكتبة قائمة بالمخطوطات العربية أعدها هاون في عام ١٩٧٤م.

أشار أ. كراتشكوفسكي في عام ١٩٢٥م إلى وجود ٤٤ مخطوطة إسلامية في كييف. كما تملك «المكتبة المركزية لأكاديمية العلوم» بأوكرانيا مجموعة من المخطوطات والوثائق الإسلامية (٦٤ عربية، ٥ فارسية، ٣٥ تركية)، وقد أجري مسح حديث لتاريخ المخطوطات العربية، ومحتوياتها في مقالة مستفيضة من وضع ف. ديبالكين، وأيضا في فهرس من إعداد أ. سافشنكو، وفي هذه المجموعة يمكن تمييز عدد من المخطوطات من مكتبة خاصة بالمؤرخ البولندي الأمير ي. يبلونوفسكي، الذي عاش في القرن الثامن عشر (وقد ضمت في سنة ١٩٢٦م)، هذا بالإضافة إلى خمس مخطوطات عربية - مسيحية من إهداء أنطونين/أ. كابوستين في سنة ١٨٦٨م، ومقتنيات هيئة فقه اللغة العربية والفارسية (في الأعوام ١٩٣٤-١٩٣٦م) والتي كانت بدورها تشمل مكتبة أ.أ. كريمسكي (التي جلبت من لبنان ١٨٩٦-١٨٩٨م وطرابزون ١٩١٧م)، ومكتبة أ. غورياتشكين وغيرهم.

وتتنوع موضوعات هذه المخطوطات، فنرى الفهرس يشمل ١٥ عنوانا للموضوعات، وأقدم المخطوطات بينها هي «كنز الوصول» لصاحبه علي بن محمد البزدوي السمرقندي (المتوفى سنة ٤٨٣هـ/١٠٨٩م) التي نسخت في نخجوان سنة ٧٣٠هـ/١٣٣١م بيد محمد بن كافي بن محمد الخراساني، و«تلخيص المفتاح» للقزويني ما بين سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١ وسنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، ونسخ من القرآن ترجع إلى القرن الثامن/الرابع عشر، و «درر الحكام في شرح غرر الأحكام» لصاحبه محمد بن فراموز بن علي ملا - خسرو في نسخة مكتوبة بخط يده فيما بين ٨٧٧هـ/١٤٧٣م إلى ٨٨٣هـ/١٤٧٨م. كذلك توجد مجموعة من عشر مخطوطات عربية منمنمة في كييف في متحف الفنون الشرقية والغربية. وفي لوفوف توجد المخطوطات الإسلامية في كل من مكتبة جامعة لوفوف (٢٤ عربية و ٩ فارسية)، ومكتبة لوفوف العلمية التي تحمل اسم ف. استيفانيك (٧ عربية) ، ومركز الوثائق التاريخية للدولة (مخطوطة واحدة عربية) ، ومتحف لوفوف التاريخي (مخطوطة واحدة عربية)، ومتحف لوفوف لتاريخ التدين والإلحاد (عدة مخطوطات عربية، وتركية من باشيساري).

ومن المعتقد أن المخطوطات الخاصة بشعوب بلورسيا التترية، وليتوانيا موجودة في مكتبات منسك وفيلنيوس، وثمة معلومات لم يتحقق منها الاختصاصيون بعد تقول إن مكتبة الدولة التابعة لجمهورية لاتفيا في ريغا تحتوي على سبع مخطوطات عربية.

وتوجد مجموعة من المخطوطات الإسلامية في قسم المخطوطات والوثائق في جامعة طرطو في جمهورية أستونيا، ومن بينها ٢٧ باللغة العربية (ويجري حاليا إعداد فهرس لها)، وأقدم هذه المخطوطات هي «فتاوي قاضي خان» التي ترجع إلى سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢-١٥٦٣م، ويبلغ عدد المخطوطات التركية ١٢ والفارسية ١٠.

وطبقا لبعض المعلومات التي نشرت منذ فترة فإن ست مؤسسات في موسكو تملك مجموعات من المخطوطات الإسلامية، إلا أن هذه المعلومات لم تراجع من قبل المختصين ، كما أننا لم نعثرعلى مادة منشورة حديثا تتعلق بهذه المخطوطات. وحصل معهد لازاريف للغات الشرقية على ٧٠ مخطوطة إسلامية (١٤ عربية، ٤٤ فارسية، ١٢ تركية) في سنة ١٨٨٨م، وفيما بعد اقتنى ثلاثا أو أربعا أخرى، غير أن معهد الدولة للعلاقات الدولية بموسكو الذي ورث ممتلكات معهد لازاريف لم ينشر أية تقارير عن هذه المجموعات. وأعلن عن وجود ١١ مخطوطة إسلامية (٣ عربية، و٥ فارسية، و٣ تركية) في جامعة موسكو، في مطبوعة نشرت عام ١٨٣٧م ومنذ فترة ارتفع عدد المخطوطات إلى ٢٤ مخطوطة (٦ عربية، و١٠ فارسية، و٨ تركية). وتتكون مجموعة المستشرق ف. فليامينوف زرنوف - والتي أصبحت لاحقا جزء من مقتنيات متحف فنون الشعوب الشرقية - من ٤٠ مخطوطة إسلامية (واحدة عربية، و٢٥ فارسية، و١٤ تركية). وتشمل مقتنيات متحف الدولة التاريخي مجموعة الجنرال سكوبيليف التي تضم ١٩٧ مخطوطة إسلامية صادرة من تركستان، وقد أجرى م. هارتمان رصدا موجزا لهذه المجموعة، فلاحظ أنها تتكون في أغلبها من كتابات تعليمية باللغة العربية في الفقه والنحو والمنطق. وتوجد في حوزة متحف الفنون الجميلة - الذي يحمل اسم أ.س. بوشكين - مجموعة من البرديات العربية (١٩٠ وحدة)، وهي أكبر مجموعة في الاتحاد السوفيتي، وكان قد قام بجمعها عالم مصريات يدعى ف. غولينشيف، وبعد أن نشرت مقالة ف. بليابيف لم يشر أحد إلى تلك المجموعة من البرديات.

إن أكبر مجموعة من المخطوطات الإسلامية في موسكو هي الموجودة في مكتبة الدولة التي تحمل اسم ف.ا. لينين، وليس لدينا إلا رقما تقريبيا للمخطوطات العربية وهو حوالي ٢٥٠، وكان جزء من هذه المخطوطات ضمن مقتنيات ما كان يعرف بمتحف رمينتسيف، وقد أشار إليها ش. فران في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثم ب. دورن. وقد وضعت قوائم المخطوطات العربية الخاصة بهذه المكتبة قبل عام ١٩٦٠م، وقام بجمعها ف.

ستارينين، و أ. ميخايلوفا، وقد استخدم عبد الحميد العلوجي نسخا للقوائم مطبوعة على الآلة الكاتبة في المسح الذي نشره في مجلة «المورد» العراقية، وكذلك فعل ف. ليبيديف فيما بعد.

إن مراكز المخطوطات الشرقية الرئيسية في روسيا، والاتحاد السوفيتي كانت ومازالت قائمة في بطرس بورج/لينينجراد، فإليهما جاءت غالبية المخطوطات التي كانت في حوزة المستشرقين، والرحالة، والهواة، وأصحاب المناصب المدنية أو العسكرية من أبناء روسيا. وقد قامت هذه المراكز باستكمال مجموعاتها عن طريق الاقتناء العشوائي للمخطوطات في أسواق الكتب شرقا وغربا وفي المزادات... الخ. وكان يتم رصدها أو التعريف بها في المقالات والهوامش والقوائم المسجلة يدويا، والفهارس. وشكلت هذه المخطوطات الإسلامية مصدرا وقاعدة للكثير من البحوث التي يقوم بها المتخصصون الروس في مجالات الدراسات الإسلامية، والعربية، والإيرانية، والتركية كما استفاد منها ايضا الدارسون الأجانب. ولا يمكن الإشارة إلى كل الأعمال المتناظرة وتحديد كل إضافة جديدة، وإنما نحن مضطرون أن نحدد أنفسنا في نطاق أهم الأعمال.

تأسست المراكز التالية في بطرس بورج خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر:

(١) المكتبة الإمبراطورية العامة في سنة ١٨١٤م، وكان قد دخل في حوزتها قبل عام من افتتاحها الرسمي بضع عشرات من المخطوطات الإسلامية كان مصدرها الرئيسي هو مجموعة ب. دوبرفسكي الذي كان يشتري المخطوطات في باريس ومدريد وروما خلال خدمته كدبلوماسي بتلك المناطق.

(٢) المتحف الآسيوي لأكاديمية العلوم الإمبراطورية (فيما بعد:الروسية) لمدينة بطرس بورج (فيما بعد:للاتحاد السوفيتي) في سنة ١٨١٨م، وقد أودع به في ذلك الوقت حوالي ١٠٠ مخطوطة إسلامية كانت سابقا متفرقة بين عدد من أقسام الأكاديمية.

(٣) مكتبة القسم التعليمي بوزارة الشئون الخارجية في سنة ١٨٢٣م، وقد أنشىء بها مستودع للمخطوطات بعد ذلك التاريخ بقليل، هذا إلى جانب ما ضم إليها من مكتبات الدبلوماسي أيا إيتالنسكي (المتوفى سنة ١٨٢٧م) والجنرال ب.ك. سختيلين (المتوفى سنة ١٨٣٦م).

(٤) مستودع المخطوطات بالجامعة سنة ١٨٥٥م (أنظر أدناه).

إن أكبر المجموعات وأهمها تلك التي أضيفت إلى المكتبة العامة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، والتي جاءت من مسجد صافي في أردبيل في سنة ١٨٢٨م (١٦٦ مخطوطة: واحدة عربية، و١٦١ فارسية، و٤ تركية)، ومن مسجد الأحمدية في أهلتسيخ في سنة ١٨٢٩م (١٤٨ مخطوطة)، ومن إيدرن في سنة ١٨٣٠م (١٦٦ مخطوطة:عربية وتركية)، مع أن غالبية المخطوطات الإسلامية قد وجهت إلى المتحف الآسيوي الذي تعاظم حجمه على نحو كبير باقتنائه (على مرحلتين:سنة ١٨١٩م و سنة ١٨٢٥م) لمجموعة ج.ل. روسو الذي كان قنصلا لفرنسا في بلاد الشام. وكانت المجموعة تتكون من ٧٠٠ مخطوطة إسلامية (٤٠٠ مخطوطة عربية، و ١٥٠ مخطوطة فارسية و ١٥٠ مخطوطة تركية). ويجدر بنا أن نشير أيضا إلى المجموعات التي جاءت عن طريق ش.د. فران، وابنه رودولف، و أ.د. جابا (١١ مخطوطة جلبت من إزمير وتبريز)، وكلوت بك (سنة ١٨٣٩م، كتب درزية).

وكان ش. د. فران المدير الأول للمتحف الآسيوي يقوم بصفة منتظمة بتقديم تقرير، إما بالروسية أو الألمانية عن أية إضافات جديدة للمخطوطات الإسلامية في أي من مراكزها المعروفة في بطرس بورج. وقام خليفته ب. دورن بجمع تقاريره المنشورة في مجلد يتناول تاريخ هذا المتحف ومقتنياته، كما حافظ ب. دورن على تقليد سابقه، مع زيادة الاهتمام بالمخطوطات الفارسية، وتوفرعلى إعداد فهرس للمخطوطات الشرقية في المكتبة العامة. وفي ذلك الوقت قام الأستاذ أ.ن. بيريزين من جامعة قازان بالتعريف تعريفا إضافيا بعدد من المخطوطات التركية الشائقة. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي زمن مقارب لتأسيس القسم الشرقي (سنة ١٨٥٥م) بمكتبة جامعة بطرس بورج (والتي كان يوجد بها من البدء ٣٥ مجلدا من المخطوطات الشرقية) - تم نقل مجموعات جامعة قازان (٣٨٠ مجلدا كان العربي منها موصوفا في فهرس منشور)، ومجموعة ريخليرليسيوم في أوديسا (٦١ مجلدا)، وغيرها من المجموعات. وحتى نهاية القرن التاسع عشر كان هذا المركز يتلقي المخطوطات التي قام بجمعها أساتذة الجامعة : أ.ك. كازيمبيك (١٧٩ مجلدا)، وم.أ. طنطاوي (١٥٦ مجلدا)، و أ. مشلينسكي (٣٦ مجلدا)، و ف.ف. جرغاس (٥ مجلدات)، و ن.أ. فاسيلوفسكي (٢٢ مجلدا)، وتم تصنيف ونشر قائمة ألفبائية بكل المخطوطات الإسلامية تنص على إجراءات الاقتناء، واسم الواهب. ولم تحظ مكتبة القسم التعليمي بوزارة الشؤون الخارجية إلا بالقليل من الإضافات لمخطوطاتها الإسلامية، وكانت هذه الإضافات بصفة عامة هبات من طلابها السابقين، مع أن

هذه المجموعات قد تم التعريف بها في سلسلة ممتازة من الفهارس. وعلى العكس فإن مقتنيات المخطوطات الإسلامية بالمكتبة العامة قد تزايدت على نحو كبير نتيجة لضم مكتبات كل من : ج.ج. مارسيل (صفحات قرآنية على رقوق جلدية مكتوبة بالخط الكوفي، أغلبها مصرية الأصل من جامع عمرو بن العاص)، و أ. سيمونيك (مشتراة من إيران)، ون.ب. خانيكوف (مشتراة من تركستان وخراسان)، و أ.د. جابا (سنة ١٨٦٨م، ٥٦ وحدة، كثيرمنها باللغة الكردية)، وأول حاكم روسي لتركستان، ك.ب. كوفمان (سنة ١٨٧٦م)، والرحالة الكريمين أ.س. سفركوفيتش (سنة ١٨٧٦م، مجموعته الثانية)، و ف.د. سميرنوف (زار إستانبول و بورصا بضعة مرات). وفي سنة ١٨٥٤م نقلت إلى هذه المكتبة الوثائق الخاصة بالوزارة العسكرية للجنود الأتراك التي تم الاستيلاء عليها خلال حرب القرم، وفي السنوات ١٨٧١-١٨٧٧م قام ك.ب. كوفمان بإرسال الوثائق الخاصة بإمارات خيفا، وخوقند (أعيدت في سنة ١٩٦٢م إلى أوزبكستان، أنظر أعلاه).

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حصل المتحف الآسيوي على حوالي ٩٢٠ مجلدا من المخطوطات الإسلامية من مصادر مختلفة، وكانت أهم الإضافات متمثلة في المجموعات الخاصة ب ن.ف. خانيكوف (وهو شخص آخر خلاف المذكور أعلاه)، و ب. دورن، و ف.ف. فليامينوف سيرنوف، و ك.ب كوفمان و أ.ل. كون، و ف.ف. رادلوف، و ك.ج. سلمان. وكان أول من نشر تقريرا عن هذه المجموعات هو ب. دورن، ثم تلاه ك.ج. سلمان، وبدأت فهرسة المخطوطات الإسلامية على يد ف.ر. روسن نفسه، إلا أنه لم ينجز إلا الجزء الأول من القسم العربي.

وفي القرن العشرين تمثلت الإضافات إلى مجموعة الجامعة بصفة رئيسية في المخطوطات التي وهبها لها كل من الأساتذة ف.أ. زكروفسكي (١٢ مجلدا)، و أ.ي. كراتشكوفسكي (٩ مجلدات)، و أ.أ. روماكيفيتش (١٢ مجلدا)، وسجلت آخر إضافة للمخطوطات الشرقية في سنة ١٩٢٩م، وبلغت ٢٣٠ مجلدا أغلبها إسلامي. وتقدر الأرقام الإجمالية على النحو التالي: ١,٤٥١ مجلدا تشتمل على ٨٨٠ نسخة عربية، و ٧٨٠ فارسية، و ٢٨١ تركية، وأما بالنسبة لفهرستها فقد تم نشر ملحقان للفهارس المشار إليها آنفا. وقد كتب كراتشكوفسكي عدة مقالات عن المخطوطات العربية بعض منها يتناول نسخا مفردة، بينما البعض الآخر يتناول مجموعات بأكملها من ناحية شخص الجامع والواهب، وقد أجرى مسحا شاملا للمخطوطات خلال الخمسينات. كما قام

الأستاذ أ. ت. تاغريانوف بوضع فهرس منظم للمخطوطات الفارسية، إلا أنه لم ينجز منه إلا القسم الأول، وقامت الأستاذة أ.ب. فرولوفا في بعض أبحاثها المقدمة للمؤتمرات، وكذلك في بعض مقالاتها بدراسة عدد من المخطوطات العربية.

تزايدت مقتنيات المخطوطات والوثائق الإسلامية، والوثائق لدى المكتبة العامة التي تحمل اسم م.يي. سلتيكوف - شيدرين في لينتجراد خلال القرن العشرين على النحو التالي: في سنة ١٩٠٥م نقل إليها من سيمفروبول ١٢١ "دفترا" من دفاتر القاضي عسكر المتعلقة بالسنوات ١٦٠٨-١٦١٠م، والتي كانت قبل ذلك محفوظة ضمن وثائق أمراء القرم. وفي سنة ١٩١٨م أضيفت إلى المكتبة المخطوطات التي كان أمير بخارى قد أهداها إلى القيصر. وفي سنة ١٩١٩م أضيفت مجموعة يو.ن. دانزاس. وفي سنة ١٩٣٩م ابتيعت مجموعة من أ.أ. تاماي من «باكو»، كما ابتيعت مجموعات من أ.س. غالييف من قازان في سنة ١٩٦٧م، ومن هـ.هـ. عبدكريموف من دوشامب في سنة ١٩٧١-١٩٧٤م، ومن ميراث أ.يوكراتشكوفسكي (٨٠ وحدة) في سنة ١٩٧٩م، ومن متحف باشيساري التاريخي المعماري وغيره. ويبلغ العدد الإجمالي لمقتنيات المكتبة العامة ١.٣١٢ مخطوطة ، و ٨٦٦ ورقة و ٢٤١ وثيقة بالعربية، هذا إلى جانب ما يزيد على ٥٤٦ مخطوطة بالفارسية، والطاجكستانية، و ٥٦ مخطوطة بالكردية، و ٤٠٥ مخطوطات و ٣٣٧ وثيقة بالتركية. ولقد كتبت حولها سلسلة من المقالات.

في القرن العشرين - مثلما في سابقه - ظلت أغلبية المخطوطات الإسلامية الواردة إلى لينتجراد تلحق بالمتحف الآسيوي، وبقيت آسيا الوسطى واحدة من المصادر الرئيسية، كما أسهم الروس الذين استقروا فيها - إما في الخدمة الرسمية أو للتجارة - إسهاما كبيرا في اقتناء المخطوطات. وقام بنقل المجموعات مستشرقون من أمثال ف.ف. بارتولد، و س.ف. أولدنبرغ، و أ.ن. سميلوفيتش، إلا أن الرحلة التي قام بها ف.أ. إيفانوف إلى بخارى في سنة ١٩١٥م قد نالت نجاحا منقطع النظير حيث تمكن فيها من جمع ١.٥٥٧ مجلدا. وفي سنة ١٩١٦-١٩١٧م وصلت مجموعة أخرى من المخطوطات (١.٢٧٩ مجلدا) من شرقي تركيا التي كانت في تلك الآونة مسرحا للقتال. وبعد ثورة سنة ١٩١٧م استمر رصيد المتحف الآسيوي في التنامي بسبب تحويل مجموعات المراكز الأخرى إليه (مكتبة القسم التعليمي بوزارة الشؤون الخارجية سابقا، ومكتبة القصر الشتوي)، هذا إلى جانب الهبات ومقتنيات

المجموعات الخاصة. وفي سنة ١٩٢٩م تم إعادة ترتيب المقتنيات الإسلامية للمتحف الآسيوي، كما تغيرنظام الترقيم الرمزي. ونتج عن هذا على الفور أنه أصبح من الصعوبة بمكان الاستفادة من جميع ما نشر سابقا حول المخطوطات الإسلامية بالمتحف الآسيوي، وصارت هناك حاجة ملحة إلى وضع فهرس جديد. وفي سنة ١٩٣٠م تأسس معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، وآلت إليه كل مخطوطات المتحف الآسيوي، واستمر في جمع المزيد، ولا نصل إلى العام ١٩٤١م إلا ونجد أن المقتنيات الإسلامية قد زادت بما يقرب من ٢٠٠٠ مجلد، جمع أغلبها من مناطق الفولغا بفضل جهود س.ج. وحيدوف (قازان)، وس.أ. عليموف (أستراخان)، و ف.أ. زابيروف (لينينجراد). أما الإضافات التي تلت ذلك فبإمكاننا القول بأنها كانت عشوائية، وليست بذات بال، وإن كان عددها قد بلغ قرابة ٣٥٠. ويذكرالفهرس المجموعات، والمقتنيات المختلفة من البداية وحتى العصور الحديثة، وهناك مقالة حديثة تلم بها كلها بإيجاز. ويبلغ العدد الإجمالي للمخطوطات الإسلامية ٩,٨٢٢، مجلدا ، على أن إدراج الأعمال حسب اللغات المكتوبة بها أدى إلى التوصل إلى أرقام مختلفة، بحيث أصبح عدد المخطوطات العربية في الفهرس ١٠,٨٢٢ منها نحو ٢,٨٠٠ شذرة، وعدد المخطوطات الكردية ١٥، وعدد المخطوطات الفارسية، والطاجكستانية ٢,٨٩٧، أما المخطوطات التركية فيبلغ عددها حوالي ٣,٥٠٠ وحدة. ويقتني هذا المعهد أيضا مجموعة صغيرة من الوثائق، وأوراق البردي العربية. وهناك مجموعة أخرى من البرديات في لينينجراد في "متحف الدير" (وهي المجموعة السابقة الخاصة بـ ف. بوك، ٧٥ وحدة).

وهكذا فإن العدد الإجمالي من المخطوطات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقا يمكن تقديره بما يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠. ويرجع هذا التفاوت في الأرقام إلى تذبذب مفهوم الوحدة المحصاة (فهي قد تتراوح من صلاة، أو مقطوعة شعرية، أو فتوى مفردة إلى عمل ضخم مثل معجم أو عمل تاريخي...الخ) وأوجه القصور في التصنيف والإحصاء. إلا أنه لا يمكن القول بأن كل المخطوطات الإسلامية تحظى بالتعريف المناسب في فهارس متيسرة للمختصين من شتى مراكز البحث في الاتحاد السوفيتي، وفي البلاد الأجنبية غربا وشرقا. إن لدينا العديد من المختصين بالدراسات العربية، والإيرانية، والتركية، إلا أنهم في الغالب لا يعملون في المؤسسات التي تمتلك المخطوطات، أو أن مجال اهتماماتهم لا يشمل فهرسة المخطوطات، أو أنه حتى لا يتطرق إلى

مجال الدراسات الأدبية التقليدية على الإطلاق، وليس من سبيل إلى تغير هذا الوضع إلا كنتيجة لتغير الطبيعة التنظيمية، والتخطيطية للدراسات الإنسانية في بلادنا. أننا في حاجة على أقل تقدير إلى برنامج خاص لفهرسة المخطوطات الشرقية، وبخاصة الإسلامية.

المخطوطات التركية ونشر فهارسها

رمضان ششن

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ونشره العرب في قرونه الثلاثة الأولى وحفظوه، وبدأ دخول الأتراك في الإسلام، والجيش الإسلامي في القرن الثاني الهجري، وصاروا قوة عسكرية هامة في القرنين الثالث والرابع. وبظهور السلاجقة أصبح الأتراك حكاما للعالم الإسلامي، فحكموه من أواسط القرن الحادي عشر الميلادي إلى آخر الحرب العالمية الأولى، أى أن حكمهم استمر نحو تسعة قرون. ونشروا دين الإسلام في آسيا الوسطى، والصين، والهند، وأوروبا الشرقية، والبلقان، ودافعوا عن الإسلام في وجه بيزنطة، والصليبيين، والمغول، حتى صارت كلمتي الإسلام والترك مترادفتين في عهد العثمانيين.

لم تنحصر خدمة الأتراك في الميدانين السياسي والعسكري فحسب، بل تجاوزتهما إلى ميادين الحضارة، فساهموا في تطور الفنون الجميلة، والمعمارية في العالم الإسلامي، ونشروا بناء المدارس في البلاد الإسلامية، وخدموا بذلك انتشار العلوم، وطوروا الخدمات الصحية - في عهد الزنكيين والأيوبيين والسلاجقة الرومية - بنشر بناء المستشفيات.

ولم يكتف الترك بتقديم الخدمات المذكورة ، بل امتدت خدماتهم إلى ساحة العلوم، وظهر منهم علماء كبار - منذ صدر الإسلام - كتبوا أولا باللغة العربية، ثم الفارسية، ثم باللغة التركية. أول هؤلاء العلماء: سليمان بن طرخان التيمي البصري المتوفى سنة ١٤٣ هـ/٧٦٠م، وابنه محمد المعتمر، اللذان كانا من المحدثين الكبار، ومؤلفي كتب المغازي الأولى. ثم جاء عبد الله بن مبارك

المروزي التركي، وأبو إسحاق ابراهيم بن العباس الصولي، والفتح ابن خاقان، وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي، وكلهم كانوا من كبار المؤلفين باللغة العربية، ومن لا يعرف الفيلسوف الكبير أبا نصر الفارابي، وإسحاق بن إبراهيم الفارابي، وابن أخته أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، فكل هؤلاء جاؤوا من بلاد الترك، واشتهروا في العالم الإسلامي بمؤلفاتهم.

أما الأتراك الذين كتبوا بالفارسية فهم كثيرون، أشهرهم النظامي الكنجوي (المتوفى سنة (٦١٠هـ/١٢١٤م) ومولانا جلال الدين الرومي (المتوفى سنة ٦٧٢ هـ/١٢٧٣م) فكلاهما يمثلان القمة في الأدب الفارسي.

و كوّن الترك أدبا باللغة التركية - في شتى أنواع العلوم - وألفوا كتبا كثيرة، وترجموا كثيرا، حتى صارت اللغة التركية إحدى اللغات الثلاث الكبرى في الأدب الإسلامي، أما عدد المخطوطات التركية اليوم، فليس بأقل من المخطوطات الفارسية، إذ يعرف قدرها علماء الغرب ويهتمون بالأدب التركي، والتاريخ، في حين أن العرب، والفرس لم يدركوا بعد أهمية تلك المخطوطات نظرا لقلة المتخصصين منهم في المخطوطات التركية، والأدب التركي، والتاريخ التركي. وإذا ما طالع أحد «كشف الظنون»، وذيوله، و «عثمانلي مؤلفلري» (المؤلفون العثمانيون) يرى كثرة عدد المؤلفات التركية، والحقيقية أن هذه المراجع لا تشمل نصف تلك المؤلفات.

عدد المخطوطات التركية في العالم كثير، وفي تقديرنا أن هذا العدد يتجاوز مائة ألف مجلد، منها حوالي ستين ألف مجلد في مكتبات تركيا. يوجد اليوم في المكتبات التابعة للمديرية العامة للمكتبات ٢٨١.٦ مجلدا من المخطوطات التركية، وفي مكتبة جامعة إستانبول ٩٩٤١ مجلدا، وفي مكتبة طوب قابي سراي ٣.٨٨٨ مجلدا، ما عدا المجاميع التي يحتوي كثير منها على عشرات المخطوطات، وإذا أضفنا إليها الوقفيات، والمخطوطات الموجودة في المكتبات الأخرى، فإن عددها يصل إلى أكثر من ذلك بكثير، كما يصل عدد الوثائق، والدفاتر في الأرشيف العثماني إلى ملايين.

أما المخطوطات التركية في البلاد الأخرى فهي كثيرة أيضا. منها نحو (٥٠٠) مخطوطة في دار الكتب القومية بالقاهرة، ومثلها في المكتبة الوطنية بباريس، كما توجد مخطوطات تركية كثيرة في المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية ببرلين، ومكتبة الفاتكان، والمكتبات الأخرى في أنحاء أوروبا وأمريكا، وليس لدينا معلومات واضحة عن المخطوطات الموجودة في مكتبات الاتحاد السوفيتي، وإيران، والصين والبلاد العربية، وخاصة في شمالي إفريقيا.

كيف بدأ ظهور المخطوطات التركية في العالم؟

لعبت الدولة الأويغورية التركية - التي ظهرت سنة ٧٤٥م - دورا تاريخيا في تطور الثقافة التركية، إذ تبنت هذه الدولة الحروف الآرامية، وكونت أدبا تركيا مكتوبا، واتخذت اللغة التركية لغة رسمية لها. كما تأثرت الدولة القراخانية التركية بالدولة الأويغورية، فاستخدمت اللغة التركية كلغة رسمية في شرقها، وظهرت أوائل الكتب التركية بالحروف العربية في هذه المنطقة، وكتب يوسف خاص حاجب كتابه المسمى «قوداد قوبيلك» سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م)، وهو كتاب منظوم كبير يتحدث عن سياسة الدولة، وصلتنا منه ثلاث نسخ: نسختان منها بالحروف العربية، ونسخة بالحروف الأويغورية. ويمثل هذا الكتاب مرحلة متطورة لحركة التأليف عند الأتراك، ثم ألف محمود الكاشغري كتابه المسمى بـ«ديوان لغات الترك» (سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، وأتحفه إلى الخليفة القائم بأمر الله، وهو قاموس اللغة التركية، يحتوي ضروب أمثال، وأشعار، وشواهد كثيرة باللغة التركية، وصلت منه نسخة واحدة إلى يومنا هذا، وتبعها «عتبة الحقائق» للأديب أحمد اليغناكي، وديوان أحمد اليسوي، و«مقدمة الأدب» للزمخشري، الذي أراد بهذه المقدمة تعليم اللغة العربية للأتراك، وترجمه إلى اللغة التركية بين الأسطر، وتنسب أيضا كتب تركية للحكيم سليمان العطائي (المتوفى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م).

عندما تيسر فتح الأناضول على أيدي الأتراك في القرن الحادي عشر ظهرت بين الأتراك أساطير بطولية باللغة التركية مثل «دانشمندنامه» و «داستان بطال غازي» و «داستان ده ده قورقود» ووصلت منها نسخ إلى يومنا هذا، ولا نعرف مؤلفيها. أما أول كتاب كتب في الأناضول، ونعرف مؤلفه فهو كتاب «تحفة مبارزي»، في الطب، لحكيم بركت الخوارزمي، الذي ألفه بالعربية أولا، ثم ترجمه بناء على طلب الأمير مبارز الدين خليفه آلب غازي، أمير أماسيا في أوائل القرن الثالث عشر. كما ألف حكيم بركت كتابا آخر في الطب سماه «خلاصة در علم طب»، وصلت إلينا مع ترجمة كتابه الأول. ونبغ في القرن الثالث عشر في الأناضول شعراء كبار مثل: شياد حمزة، ومولانا جلال الدين الرومي، وابنه سلطان ولد، ثم جاء في أواخر القرن الثالث عشر الشاعر الكبير يونس أمره، صاحب الديوان المعروف باللغة التركية، الذي وصلتنا منه عدة نسخ، وتم طبعه مرارا، وهذا الشاعر معروف لدى الأتراك أنه أكبر شاعر في تاريخ الأدب التركي. وممن كتب باللغة التركية كذلك حاجي بكتاش ولي (المتوفى سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م) والذي وصلتنا عدة نسخ من كتابه المعروف «مقالات».

بناء على هذه التطورات: أصبحت اللغة التركية في الأناضول لغة رسمية، في أواخر القرن الثالث عشر، ولما استولى الأمير محمد بك القرماني على مدينة قونية (سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) أمر باستعمال اللغة التركية في دواوين الدولة، وتبعته إمارات أخرى في الاناضول، فلم يمض وقت حتى صارت اللغة التركية في الأناضول لغة الكتابة والأدب، ونرى من بين هذه الإمارات إمارة العثمانيين.

اهتم العثمانيون باللغةالتركية، وحثوا على التأليف بها، كما حثوا على ترجمة الكتب العربية والفارسية اليها، وأعد السلطان أورخان غازى وقفيته باللغة التركية، وظهر في القرن الرابع عشر مؤلفون، ومترجمون كثيرون في الأناضول، قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى التركية مرارا، ثم ترجموا العديد من الكتب مثل «كليلة ودمنه» و «قصص الأنبياء» و «تذكرة الأولياء» حتى وصل عدد المؤلفات، والترجمات إلى المئات، وتبين في مقالة لكاتب هذا البحث ـ حول الترجمات إلى اللغة التركية في القرن الخامس عشر ـ أن عدد الكتب المترجمة فقط يصل إلى نحو تسعين كتابا خلال قرن واحد، كما تبين أن بعض الكتب قد ترجمت إلى التركية مرارا، وتشتمل هذه الترجمات على علوم شتى، مثل الطب، والتاريخ، والجغرافيا، والأدب، والتصوف، والهيئة، والحساب، والهندسة، والحيوان، وصناعة الحرب، والموسيقى، وعلم الأحجار وتفسير الرؤيا. ونجد في مكتباتنا اليوم نسخ كتب بالتركية تحمل قيود السلاطين، مثل يلديرم بايزيد، ومحمد جلبى، ومراد الثاني، وقيود الأمراء مثل أمور بك بن تمرتاش، وحمزة بك.

من ناحية أخرى، فقد استخدمت اللغة التركية في القصور الأيوبية، والمملوكية، كما استخدمت في صفوف جيش هاتين الدولتين، مما دعا علماء اللغة للاهتمام بها، وتأليف العديد من الكتب حول اللغة التركية، أو بتلك اللغة مثل كتاب «الإدراك للسان الأتراك» لأبي حيان الأندلسي (المتوفى ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)، وترجمة ضرير الأرضرومي للسيرة النبوية و «فتوح الشام» للواقدي. واستمر أيضا تأليف الكتب باللغة التركية في آسيا الوسطى، وفي دولة الجيش الذهبي، ونبغ في عهد التيموريين شاعر كبير مثل علي شيرنوائي، الذي ادعى بفضل اللغة التركية على الفارسية، في كتابه المسمى بـ« محاكمة اللغتين». وظهر في الدولة العثمانية شعراء كبار مثل: فضولي، وباقي، وتم تأليف أمهات كتب التاريخ مثل «تاريخ آل عثمان» لابن كمال، و «تاج التواريخ» لخواجه سعد الدين. وهكذا أخذت المؤلفات التركية بالازدياد،

حتى بدأ عددها يساوي المؤلفات العربية في العصور الحديثة. ونحن الآن بحاجة إلى المزيد من المؤلفات على غرار كتابي بروكلمان، وسزكين للوقوف على كنوز المخطوطات، والمؤلفات التركية.

كان علماء المسلمين يدركون: أن الثقافة الإسلامية تشكل وحدة لا تقبل التفريق، لهذا كانوا لا يفصلون بين المخطوطات العربية، والتركية، والفارسية، ويضعون الكتب في المكتبات حسب المواضيع، لا حسب اللغات. وهكذا كانت الحال في مكتبة طوب قابي سراي، التي أسسها الفاتح، وفي المكتبات التي تلتها في عهد العثمانيين، كما رتب كاتب جلبي أسماء الكتب التركية، والفارسية، والعربية مختلطة في كشف الظنون. ثم نجد في الوقفيات أن الكتب مرتبة حسب اللغات، لا على حسب الموضوعات. ولا نجد الكتب مرتبة حسب اللغات في مكتبات تركيا إلا قليلا كمكتبة على أميري، ومكتبة جامعة إستانبول، لهذا نرى الفهارس الأولى لم تخصص للغة معينة، بل اشتملت على جميع المخطوطات الشرقية في المكتبة، كما هو الحال في فهارس الفاتيكان، وفهارس مكتبات استانبول. وقد بدأت فهارس المخطوطات بالظهور - حسب اللغات - اعتبارا من أواسط القرن التاسع عشر. وأول فهرس خصص للمخطوطات التركية كان فهرس المخطوطات التركية في مكتبة Gotha وتم نشره سنة ١٨٦٤م. وتبعه نشر فهرس الكتب التركية في الكتبخانة الخديوية لعلي حلمي الداغستاني، وفهرس المخطوطات التركية في المتحف البريطاني لـRieu. ولقد قام طورغود قوط بجمع قائمة من الفهارس، والمقالات المتعلقة بالمخطوطات التركية، ونشرها في حولية بحوث اللغة التركية (سنة ١٩٧٤م). ووصل عدد الدراسات في هذه القائمة إلى ٣٣٤ فهرسا ومقالة، وأشرنا في بحثنا إلى الفهارس الهامة منها، مع بعض الإضافات على قائمة طورغود قوط.

يتبين لنا من خلال القوائم المختلفة: أن فهرسة المخطوطات التركية بدأت أولا في أوروبا، ثم انتقلت إلى تركيا، ولا شك أن الفهرسة لم تكن مجهولة لدى المسلمين، فنرى في الوقفيات نماذج للفهرسة، يذكر فيها اسم الكتاب ومؤلفه ونوع خطه، وفيما إذا كان كاملا أو ناقصا. أما أول فهرس مطبوع في تركيا، فهو فهرس مكتبة داماد إبراهيم باشا في إستانبول، الذي تم طبعه (سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م) بعنوان «دفتر كتبخانه داما إبراهيم باشا» وتبعه طباعة «دفتر كتبخانة راغب باشا» (سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) ثم تلت ذلك طباعة فهارس حوالي ثلاثين مكتبة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (من سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م إلى سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م). وكانت هذه الفهارس مختصرة

جدا، إذ تقتصر على الإشارة إلى رقم الكتاب واسمه، واسم مؤلفه، ولغته، وخطه، كما تضم أسماء الكتب المطبوعة دون التفريق بين المخطوطات العربية، والتركية ، والفارسية، ومن ثم أخذ العلماء بتوصيف المخطوطات في المجلات في أواخر عهد العثمانيين، وفي أوائل عهد الجمهورية، وقد تيسر طبع كثير من المخطوطات إثر تحقيقها، وتم رصد كثير من المخطوطات التركية في الدراسات التاريخية واللغوية. ثم أعد كثير من الطلاب أطروحات حول المخطوطات التركية. وقد قام كل من الأستاذ سهيل أنور، والأستاذ أحمد آتش بتوصيف العديد من المخطوطات التركية.

بدأ في حدود سنة (١٩٤٠م) ضبط بطاقات المخطوطات في تركيا، على أيدي علماء كتبوا البطاقات المؤقتة للمخطوطات. ونتيجة هذا العمل المفيد تم طبع «فهرس المخطوطات التاريخية والجغرافية التركية»، و«فهرس مخطوطات الدواوين التركية»، و «فهرس مخطوطات الخمسات التركية» بين سنتي (١٩٤٣ـ ١٩٦٩م). وهذه الفهارس من أجود الأعمال في فهرسة المخطوطات التركية. كما نشر فهمي أدهم قرطاي «فهرس المخطوطات التركية» بطوب قابي سراي (سنة ١٩٦١م). ثم استمر نشر الفهارس والمقالات عن المخطوطات التركية إلى يومنا هذا، وقد ذكرنا أشهرها في بحثنا. ويجب أن نشيرمن بين هذه الجهود إلى الفهارس التي نشرها مركز الأبحاث للتاريخ، والفنون، والثقافة الإسلامية بإستانبول (إرسيكا)، وهي «فهرس مخطوطات الطب الإسلامي» و «فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي» و«فهرس مخطوطات قبرص». وتقوم وزارة الثقافة التركية بنشر فهارس بعنوان «الفهرس الموحد لمخطوطات تركيا» - صدر من هذه السلسلة حتى الان ١٤ جزءا. ونرى أيضا في الفهارس الأخيرة المخطوطات التركية، والعربية، والفارسية، مختلطة.

استمرت الجهود في فهرسة المخطوطات التركية إلى يومنا هذا بشكل غير منظم، وبقى أكثرها غير مفهرس، وقد يصل المقدار الذي تمت فهرسته إلى الآن نحو الخمس. لهذا يجب تنظيم الجهود، وتوجيهها إلى أهداف معينة.

ويقتضى الأمر أولا: تشكيل لجنة من الخبراء، وتوفير الإمكانيات المادية لهم، ثم معاينة الخبراء للمخطوطات - وإن اقتضى هذا بعض السفر- ومسحها، وحصر المجموعات الهامة منها، ثم المباشرة بعملية الفهرسة من المهم فالأهم. يمكن فهرسة المخطوطات العربية، والتركية، والفارسية كل على حدة، أو مجتمعة، بغض النظر عن اللغات، بل حسب الموضوعات كما ذكرنا. فالثقافة الإسلامية تشكل وحدة واحدة لا تقبل التفريق، وأبرز دليل على هذا هو

المخطوطات التركية، حيث يجد القارئ فيها عبارات بالعربية، والفارسية - حتى أن تسعين بالمائة من أسماء الكتب التركية، إلى القرن التاسع عشر، كانت بالعبارات العربية، أو الفارسية - ولم يسم علماء الأتراك مؤلفاتهم باللغة التركية إلا في العصور الأخيرة. لهذا يجب أن يعرف المفهرس اللغات الثلاث، أي: العربية، والتركية، والفارسية، ويجب أيضا أن يكون ملما بموضوعات العلوم الإسلامية أي الدينية، والاجتماعية، واللغوية، والرياضية، والفلسفية، ولا بد أن يعرف المصادر المهمة مثل «كشف الظنون» و «مفتاح السعادة»، وذيولها، و «عثمانلي مؤلفلري» وكتاب سيف الدين أوزأكه - في المطبوعات التركية بالحروف العربية - ويجب أن يلم بكتب التراجم، والتاريخ، والطبقات، وتذاكر الشعراء، خاصة «هدية العارفين»، و «الشقائق النعمانية»، وذيوله، و«عثمانلي مؤلفلري»، و «سجل عثماني» و «دائرة المعارف الإسلامية».

إن الفهارس على ثلاثة أنواع:

أولا: الفهارس الموجزة مثل فهارس مكتبات إستانبول المطبوعة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وفهرس المكتبة الوطنية بباريس لـ Vajda .

ثانيا: الفهارس المفصلة مثل فهرس Ahlwardt لمكتبة برلين.

ثالثا: الفهارس المتوسطة الشرح مثل فهرس المخطوطات التاريخية، والجغرافية، التركية، وفهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي الذي نشره مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.

أما الفهارس الموجزة فهي لا تعطي معلومات كافية، والفهارس المفصلة تعطي معلومات إضافية؛ كدراسات مفصلة قد لا نحتاجها، خاصة في الكتب التي طبعت. ونحن نرى ضرورة إبراز النواحي التالية لإخراج فهارس المخطوطات على أكمل وجه:

١- اسم الكتاب: فيما إذا اختلف اسم الكتاب في ورقة العنوان، وفي المقدمة يجب اعتماد الاسم المذكور في المقدمة، وإذا كان الكتاب أكثر من جزء واحد يجب أيضا الإشارة إلى ذلك، وإذا كان ذلك الجزء مخروما، أو مقطوعا يشار إليه، وإذا كانت المخطوطة لا تحمل اسما، فيجب التأكد من ذلك بالرجوع إلى المصادر.

٢- اسم المؤلف: يجب ضبط اسم المؤلف من المقدمة، وإكماله من المراجع، وإذا لم يذكر اسم المؤلف في المقدمة ينقل من صفحة العنوان، وإذا كان الشكل المذكورللاسم في صفحة العنوان خطأ، فيجب تصحيحه من المراجع، كما يجب الإشارة إلى اسم الشهرة، وإلى تاريخ الوفاة، أو عصر الوفاة على الأقل.

٣- أول الكتاب: يجب أن تورد أول جملة للمؤلف، ثم جملة او جملتين من بعد عبارة "أما بعد"، وإذا كان الكتاب غير معروف فيجب تلخيص المقدمة.

٤ـ آخر الكتاب: يجب نقل آخر جملة للمؤلف، وإذا كان قيد تاريخ التأليف مذكورا في آخر الكتاب، فيجب نقله.

٥ـ يجب ذكر رقم الكتاب في المكتبة المحفوظ بها، ونوع خطه، وعدد أوراقه، وأسطره، ومقاساته، وما إذا النص قد كتب بأقلام وأحبار مختلفة، وإذا كان بالنسخة أي تذهيب، أو منمنمات، وما إلى ذلك.، بالإضافة إلى حالة الجلد.

٦ـ قيد الفراغ: يجب نقل قيد الفراغ نظرا لأهميته من ناحية تاريخ الثقافة، وإذا لم يذكر قيد الفراغ، يجب ذكر عصره تخمينا، وهذا يحتاج إلى مران طويل على مطالعة، وفهرسة المخطوطات، وإذا كان التاريخ مذكورا بالحروف الأبجدية، أو باللغز فيجب توضيح ذلك.

٧ـ القيود المختلفة: تنقسم القيود المذكورة في المخطوطات إلى قسمين: قسم يتعلق بنص الكتاب، وقسم يتعلق بشكله الخارجي. أما القيود المتعلقة بنص الكتاب فهي: قيود التأليف، والرواية، والسماع، والقراءة، والمناولة، والمقابلة، والتصحيح، والمطالعة، والنظر، وأما القيود المتعلقة بشكل النسخة فهي: قيود التملك، والبيع، والشراء، والوقف، والاستصحاب، والقيود المتعلقة بالحوادث الهامة.

٨ـ تجب الإشارة إلى ما إذا كان الكتاب قد طبع أم لا. وفيما يتعلق بالمخطوطات التركية يجب الرجوع إلى «عثمانلي مؤلفلري»، والمطبوعات التركية بالحروف العربية في مكتبة جامعة إستانبول لفهمي أدهم قرطاي، وكتاب سيف الدين أوزأكه في «المطبوعات التركية بالحروف العربية» وفهرس المطبوعات التركية العثمانية الموجودة في دار الكتب الوطنية بالقاهرة، لنصر الله مبشر الطرازي، وغيرها من المراجع في هذا الصدد.

٩ـ وفي النهاية: يجب ذكر المراجع المستخدمة في عملية الفهرسة، ولا بد من إعطاء رقم تسلسلي لكل كتاب.

أما في المجاميع، فيجب توصيفها أولا: من ناحية الشكل، ثم ذكر الرسائل الموجودة فيها حسب ترتيبها في المجموعة، وإذا كانت تحمل قيود متعلقة بنص الرسائل فيجب ذكرها أيضا.

١٠ـ ويجب إضافة كشافات إلى آخر الكتاب. وقد أعطينا في آخر «فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي» كشافات للمؤلفين، وأسماء الكتب، وموضوعات العلوم، وأسماء الناسخين، والرواة، والسامعين، والقارئين، وأسماء الأماكن، والمؤسسات، والقيود، وكشافا آخر حسب ترتيب تاريخ الكتابة.

١١ـ ولا بد أخيرا من إعطاء لمحة عن تاريخ المكتبة في أول فهرسها.

المخطوطات الإسلامية في الهند

محمد صابر خان

بسم الله الرحمن الرحيم
«إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق.
إقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم..»
صدق الله العظيم
(سورة العلق، الآيات ١-٤)

كان فن الكتابة فنا مقدسا منذ فجر الإسلام. وقد انعكس ذلك على المنجزات الكبيرة للحضارة الإسلامية في نسخ وتجميل وزخرفة المخطوطات. فقد اهتم الكتاب بتدوين القرآن الكريم وزخرفة المخطوطات. وقد اعتني الكتاب بتدوين القرآن الكريم وبزخرفة وتذهيب صفحاته. كما أولوا اهتماما كبيرا لمخطوطات التفسير والحديث والفقه وغير ذلك.

وكان الخط جزءا أساسيا من الفن الإسلامي حيث اعتنى به المسلمون عناية كبيرة ومازالوا يطورونه ويحسنون فيه حتى بلغ أعلى درجات التطور.

وأدى إنشاء المكتبات في العالم الإسلامي إلى زيادة شعبية الخطاطين وإلى نمو مجموعات المخطوطات، فأنشئت المكتبات الملكية، وحفظ حكام المسلمين المخطوطات وصانوها، وأنشئت أيضا المكتبات العامة وبها مجموعات المخطوطات الموقوفة على المكتبة، كما كانت هناك المكتبات الخاصة للمقتدرين من أفراد المسلمين المهتمين بمخطوطات في موضوع، أو حول دراسات معينة. ولا يعلم كاتب هذه السطور إن كانت هناك أمة غير المسلمين اهتمت هذا الاهتمام الكبير بالمخطوطات وبجميل الكتابة أم لا.

توجد المكتبات ومجموعات المخطوطات في أي مدينة بها عدد لا بأس به من المسلمين، وقد ساهم وجود عدد كبير من الخطاطين المحترفين بإثارة اهتمام المسلمين بالمخطوطات فكان الحكام والنبلاء وأغنياء الشعب يهتمون بهؤلاء الخطاطين ويشترون أعمالهم ويشجعونهم بالمال والجاه. وأوجد هذا بدوره «سوق الوراقين» حيث كانت المخطوطات الجميلة تشترى بثمن غال، وقد وصل إلينا كم كبير من المعلومات عن التراجم والسير وكتب التاريخ المعاصر تفيد أن العمل في نسخ المخطوطات صار إحدى الحرف التي تضمن لممارسها دخلا جيدا، كما أصبح فن بيع المخطوطات وشرائها تجارة رابحة.

تدريب الخطاطين:

كان الخطاطون أعضاء مرموقين في المجتمع الإسلامي ، ولهم فوق ذلك أجرا وثوابا عند الله إذ يخطون نسخة جميلة من القرآن الكريم، وكان الخطاط المحترف يعمل في العادة كوراق وبائع كتب أيضا، وكان على الخطاط أن يتبع مبادىء معينة تتبلور في قواعد «أدب» محددة حيث كانت الكتب التي يتناولها لها طابع القداسة، وكانت عملية النسخ أو الكتابة معتبرة من العبادات. وتطلب هذا الأدب الديني أن تكون «نية» الخطاط سليمة ، وأن يكون في حالة «طهارة» عند الإقدام على الكتابة ، وأن يلبس لباسا نظيفا، ويولي وجهه إلى القبلة، ويبدأ الناسخ عمله دائما بالبسملة والحمدلة ، وبالصلاة على الرسول وآله، حتى وإن لم يكن كل هذا موجودا في المخطوط الأصلي.

المخطوطات الإسلامية في الهند:

ننتقل الآن إلى الحديث عن المخطوطات الإسلامية في الهند، وبالذات المخطوطات المكتوبة باللغتين العربية والفارسية. (وهناك طبعا مخطوطات كثيرة باللغة الأردية - أما المخطوطات التركية فهي نادرة). ومسلمو الهند - كإخوانهم في بلاد الإسلام - شديدو الاهتمام بالمخطوطات فأنشؤوا المكتبات الملكية، والمكتبات العامة، والمكتبات الخاصة ، وكان حكام الهند يهتمون بنسخ المخطوطات وزخرفتها، ويشترونها ويحفظونها في مكتباتهم، فكان السلطان أكبر والسلطان شاه جهان والسلطان جهانكير مثلا من جامعي المخطوطات المتحمسين إلى جانب شهرتهم كذواقة للفنون. وكانت لمسلمي الهند معاملهم أو «ورشهم» الخاصة المعروفة «بالكارخانة»، يعمل بها مشاهير الخطاطين والرسامين ، فينسخون المخطوطات ويزخرفونها. وقد وصل إلينا عدد من

المخطوطات التي كتب فيها بيد السلطان ـ تاريخ دخول المخطوط المكتبة الملكية، وتاريخ انتهاء السلطان من قراءته، وفي عهد السلطان أكبر نسخت الحمزة نامه والرزم نامة وزينتا بالرسوم والزخارف.

لقد كان لحكام الولايات المستقلة في الجنوب - مثل بيجابور وجو لكندة ـ مكتباتهم الخاصة وكانت هناك مكتبات عامة تحتوي مخطوطات أوقفت على المكتبة أو أهديت لها ، وليس من النادر أن أفرادا هووا جمع المخطوطات، وقد ضمّت بعض المخطوطات ـ وبالذات مخطوطات المكتبات الملكية ـ إلى المكتبات العامة الكبيرة مثل مكتبة الجمعية الآسيوية بالبنغال، ومكتبة كلكتا الوطنية، ومكتبة خدا بخش الشرقية العامة بباتنا، ومكتبة مولانا أزاد بجامعة عليكرة الإسلامية في عليكرة، ومكتبة معهد مولانا أزاد للأبحاث الشرقية في تونك براجستان، ومكتبة رضا برامبور، ومكتبة معهد الدراسات الإسلامية بنيودلهي، ومكتبة متحف سالار جنك بحيدرآباد، ومكتبة المخطوطات الشرقية التابعة للحكومة في مدراس ومثلها في تاميلنادو وغيرها.

لا يتسع هذا البحث لذكر أكثر من عشرة مخطوطات هامة ونادرة موجودة بمكتبات الهند:

١ـ تملك مكتبة حضرة بير محمد شاه ورقة بأحمد أباد مخطوطة للقرآن الكريم نسخت بخط الغبار بحجم صغير للغاية.

٢/٣- تمتلك مكتبة خدا بخش الشرقية العامة بباتنا نسخة من القرآن الكريم يقال إنها كتبت بيد حضرة علي بن أبي طالب ـ كما تمتلك واحدة من نسختي القرآن اللتين نسخهما الخطاط المشهور ابن مقلة (توفي في ٩٨٠ ميلادية) بخط النسخ الذي ابتدعه هو.

٤ـ وفي مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا توجد مخطوطة فريدة لـ «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» وهي تاريخ لمكة المكرمة منذ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أول أيام الهجرة.

٥ـ تمتلك المكتبة الوطنية بكلكتا مخطوطة فريدة وثمينة لتاريخ هراة وهي تعالج تاريخ هراة من ١٢٢١ـ١٣٣١م، وقد تم تحقيقها ونشرها.

٦ـ هناك مخطوطة في الجمعية الآسيوية بكلكتا عنوانها : بادي شاه نامه، وهي تسجل تاريخ عهد شاه جهان بخط جميل ، وتحمل توقيع السلطان شاه جهان، خطاً رأسيا على ظهر الصفحة الأولى.

٧ـ توجد في الجمعية الآسيوية بكلكتا مجموعة أشعار بقلم الأميرة زيب النساءا بنت أورنكزيب (وكانت تكتب تحت اسم القلم «مخفي») مكتوبة بخط جميل ومزينة بعدد من الرسوم والمنمنمات البديعة.

٨ـ وفي الجمعية الآسيوية أيضا يوجد مخطوط لكتاب «التعليقات

والنوادر» لأبي علي هارون ، وهذه مخطوطة فريدة تستحق التحقيق والنشر.

٩ـ هناك مخطوطة «الزيج الملخص» ورسالة في الفلك مع عدد من الجداول الفلكية ، وقد كتب اسم المؤلف في الصفحة الأولى على أنه أثير الدين المفضل ابن عمر الأبهري ـ اما في المقدمة فذكر أن هذا الكتاب اختصار لذيل شاهي .

١٠ـ تمتلك مكتبة خودا بخش نسخة من تذكرة خوارزم شاه ، وهي موسوعة طبية كتبت بعد مرور أربعة وعشرين عاما فقط من وفاة مؤلفها في عام ١١٤٠م.

ملاحظات ختامية:

توجد بالعالم ثلاثة ملايين مخطوطة ـ تمت فهرسة ستمائة ألف منها فقط ـ وحقق أقل من هذا بكثير، وكتبت هذه المخطوطات بالعربية والفارسية والتركية والأوردية وبلغات محلية عديدة.

ولم تتم إلى الآن أية عملية حصر للمخطوطات الإسلامية بالهند ، ومن الصعب حتى التكهن بعدد المخطوطات الموجودة بالهند في اللغات الأربعة الإسلامية، فبعض عائلات شمال الهند ـ لا تحب أن يطلع احد على ما تمتلك من مخطوطات ، ولهذا فقد ظلت مكتباتها دون فهرسة ، ولا يعلم أحد هل كانت بعض المكتبات ـ كمكتبات أمراء أركوت أو تاميل نادو ـ مثلا تحتوي على مخطوطات هامة ونادرة أم لا .

أهديت بعض المجموعات الخاصة إلى المكتبات الكبرى مثل مكتبة مولانا أزاد بجامعة عليكرة الإسلامية، ومكتبة مولانا أزاد بمعهد البحوث بباتنا، ومكتبة معهد الدراسات الإسلامية بدلهي، ومكتبة رضا برامبور وغيرها، وقد تم نشر فهارس بعض هذه المجموعات ـ وفهارس البعض الاخر مازال في انتظار النشر.

ويجب أن يبذل جهد كبير لفهرسة كل المخطوطات الإسلامية التي لم تفهرس بعد، وهناك بالهند مكتبات عديدة فهارسها مكتوبة بخط اليد فقط، ويكون من المفيد جدا نشر هذه الفهارس، ونشرها بالصورة الكاملة التي تشمل كل المعلومات التي يحتاجها الباحثون في دراساتهم.

إن الطريق أمامنا طويل ومليء بالعقبات ـ ولكن بالعمل الجاد وبالإيمان بالله تعالى سوف نصل إلى النجاح بإذن الله.

الجزء الثالث

دراسة حول الترجمات المخطوطة لمعاني القرآن الكريم

اكمل الدين إحسان اوغلي

سوف نركز في هذه الدراسة على المخطوطات الموجودة في الوقت الحاضر، والخاصة بترجمة القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، وسنحاول أيضا تحليل المعطيات الخاصة بميزات هذه المخطوطات وتاريخ ترجمة كل منها، وذلك دون الدخول في أية محاولة لتقييم النصوص المترجمة.

إن الترجمة الجيدة التي تعكس بأمانة أكبر قدر ممكن من خصائص النص هي مهمة صعبة، ويعتمد في القيام بها على معرفة اللغتين - المترجم منها والمترجم إليها - معرفة جيدة، وعلى فهم خصائص وميزات الأمم التي تستعمل هاتين اللغتين، كما أنها تتطلب معرفة الموضوع وحسا فنيا، وإذا كانت الترجمة - في عمومها - صعبة، فما بالنا بما تتطلبه ترجمة نص إلهي كالقرآن الكريم الذي نزل بلغة عربية بليغة مزينة بالبديع من الفنون الأدبية . كما لا ننسى أيضا المسؤولية الأخلاقية الجسيمة التي يتحملها القائم بمثل هذه الترجمة.

وقد بدأت أعمال ترجمة القرآن الكريم من العربية إلى اللغات الأخرى في القرون الأولى من ظهور الإسلام. ونظرا لما ينطوي عليه هذا الموضوع من أهمية بالغة فقد بدأنا مشروعا هاما عن الببليوجرافيا الخاصة بترجمات القرآن الكريم بـ «مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية» (إرسيكا) في إستانبول عام ١٩٨٠م، وقد تم التخطيط لهذا المشروع على ثلاث مراحل تتمثل في تناول :

(أ)الترجمات المطبوعة
(ب)المخطوطات
(ج)الترجمات المنقولة شفويا.

وتشكل ببليوجرافيا الترجمات المطبوعة المرحلة الأولى للمشروع، وبعد دراسة استغرقت ست سنوات قام المركز بطبعها في بداية عام ١٩٨٦م بعنوان «الببليوجرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم» (الترجمات المطبوعة ١٥١٥ ـ ١٩٨٠)، إستانبول ١٩٨٦م.

ولم نتعرض هنا لوجهات النظر المختلفة التي تتبناها مدارس الفقه فيما يتعلق بترجمات القرآن، بل سنحاول أن نلخص نتائج الدراسة المستفيضة التي أجريناها في مقدمة المجلد الأول حول تاريخ هذه الترجمات. وباستطاعتنا أن نوجز على أساس هذه الدراسة التي تتناول الموضوع على الأمد البعيد آراء العلماء المسلمين في هذا الصدد بقولنا إن الدين الإسلامي يسمح بترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى وذلك حتى يستطيع من لا يعرف اللغة العربية أن يفهمه، ومع ذلك فإنه لا يمكن قبول الترجمة كمعادل للنص الأصلي أو كبديل عنه في شعائر العبادة، واستخلاص الأحكام في الفقه الإسلامي.

وتتمثل المرحلة الثانية لمشروعنا في البحث "الببليوجرافي" في الترجمات المخطوطة للقرآن الكريم باللغات المختلفة في كل أنحاء العالم، وقد بدأناه بعدد محدود للغاية من العاملين والباحثين في بداية عام ١٩٨٦م، وخلال المدة من عام ١٩٨٦م إلى نهاية ١٩٩١م استطعنا رغم الصعوبات أن نحصر أكثر من أربعة آلاف نسخة من ترجمات القرآن الكريم على شكل مخطوطات بثلاثين لغة مختلفة وموزعة على ٣٧ دولة. ومن المتوقع أن نجد مخطوطات أكثر قبل الانتهاء من البحث.

ويهدف البحث الحالي إلى تقديم موجز للدراسة المشار إليها سالفا وعرض النتائج التي توصلنا إليها للمجتمع العلمي لأول مرة. ولا شك في أن المعلومات التي نقدمها هنا لا تعتبر معلومات نهائية بل نأمل أن تكتسب مزيدا من الدقة عن طريق النقد البناء والعون الذي نتوقعه من الزملاء المتخصصين.

وقد وجدنا عند فحص المادة التي تم جمعها أن العدد الأكبر من مخطوطات ترجمات القرآن الكريم تحظى اللغة الفارسية بالقسم الأعظم منه، ثم تتلوها اللغة التركية، ثم اللغة الأردية.

وتوجد أيضا نسخ من مخطوطات أخرى باللغات الآسيوية، والأوروبية، والإفريقية. ووجدنا أيضا أن معظم هذه النسخ توجد في مكتبات تركيا، وإيران، والهند، وإنجلترا (انظر الجداول ١-٣). وهذه الأعداد، كما أسلفنا، ليست نهائية، بل من المتوقع أن تتغير تبعا لتغير المعلومات الجديدة التي قد نتوصل إليها. كذلك فإن هذه الأرقام تشمل نسخا مكررة لنفس الترجمة مما يدل على الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم - على نحو لم يحظ به أبدا أي كتاب آخر، كما أن هذه الأعداد تعتبر مؤشرا واضحا يدل على اهتمام الدول التي لا تتكلم اللغة العربية بالدين الإسلامي.

أنــواع الترجمـــة

إن فحص المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن الكريم يكشف بوجه عام عن وجود نوعين رئيسيين من الترجمة:

النوع الأول: يتمثل في الترجمة الحرفية، أو اللفظية وهي الترجمة التي تعتمد على استبدال الكلمات أو الألفاظ بكلمات أو ألفاظ أخرى، وفي هذا النوع من الترجمة يتم اختيار الكلمات الأجنبية التي يعتقد أنها تقابل الكلمات العربية بدرجة دقيقة، وتتم كتابة هذا النوع من الترجمات عادة باللغتين المختلفتين في سطور متناوبة بحيث تكون الكلمات الأجنبية تحت الكلمات العربية المرادفة لها، ولا يحاول المترجم في هذا النوع من الترجمة أن يكّون جملا سليمة نحويا حيث أن مهمته تتمثل في إيجاد واختيار أفضل مقابل أو مرادف لكل كلمة عربية، وهذه الكلمات المقابلة تتغير حسب التطور الطبيعي الذي يطرأ على لغة الترجمة عبر الزمن، وهذه المسألة تهم علماء اللغة بشكل خاص حيث أن النص العربي للقرآن الكريم قد ظل على شكله الأصلي تماما دون أي تغيير حتى يومنا هذا، ولكن المفردات التي يتم منها اختيار الكلمات التي تقابل الأصل العربي الراسخ، الدائم، هي مفردات تتغير بمرور الزمن، ولذلك فإن ترجمات القرآن الكريم تشكل مصدرا بالغ الأهمية لفهم المعاني التي تنقلها الكلمات العربية، وتشكل موضوعا هاما للدراسات اللغوية.

الملاحظ في الترجمة الحرفية أنها تتطلب من القارئ التوصل إلى فهم المعنى المتكامل للنص، غير أن مستوى معرفة القارئ قد لا يكون كافيا لتمكينه من التوصل إلى معنى النص القرآني، وهنا نجد أن النص يتطلب شرحا أو تفسيرا على نطاق أوسع، وهنا يظهرالنوع الثاني من الترجمة استجابة لهذا المطلب. ويقوم هذا النوع على التفسير، حيث يعبر المترجم عن معنى النص

	اللخميادو	الالبانية	الأرمنية	البربرية	الصينية	الهولندية	الإنجليزية	الفرنسية	الفولانية	الالمانية	العبرية	الهندية	الإيطالية	الجاوية	كانيمبو	الكردية	اللاتينية	ماكسار	الملايو	الباشتو	الفارسية	الروسية	السيامية	السندية	الأسبانية	السواحلية	السريانية	التركية	الاردية	الولوف	المجموع
أفغانستان																				٣	٥٨										٦١
الجزائر																												١			١
النمسا																												١٠			١٣
بلجيكا																															٢
بلغاريا																					١							١			٢
تشيكوسلوفاكيا																												٣			٣
الدنمارك																					٦										٦
مصر												١									٦٥							٩٣	١		١٦٠
فرنسا				١			١	٧		١			١	١			١٩		٢		٢٠				٢			٢١			٧٥
المانيا			٢							١				٢			٩		١		١٨				١			٦١	١		٩٧
الهند			١																		٣٢١								٤٣		٣٦٥
ايران			١																		٧٩٨							٥			٨٠٤
العراق																٩					٢٠							١٢	١		٤٢
ايرلندة																					٩							٢			١١
ايطاليا																	٣											١			٤
اليابان																												٣			٣
الكويت																												١			١
لبنان																					٢										٢
ليبيا																					١										١
ماليزيا																			٢												٢
هولندة						١								٤			٦	٢	١		٨							٣			٢٥
نيجيريا															١																١
قبرص																												٣			٣
باكستان																				١	٥٤			١٠					١٣		٧٨
العربية السعودية																					٢٢							١٩			٤١
السنغال									٣																						٤
اسبانيا	٤٧																٢														٤٩
السويد																												١			١
سوريا																					٣							١			٤
تنزانيا																										٢٢					٢٢
تونس																					١							٢			٣
تركيا																					٦١٧							١٤٠٢	١		٢٠٢٠
بريطانيا					١						٢			١			٣		٤	١	١٧٧			٣	١		١	١١	١١		٢١٦
الولايات المتحدة																					١٨		١				١	٤			٢٤
الاتحاد السوفيتي سابقا																					٦٤	٥						٢٢			٩١
الفاتيكان																	١				٤							١١			١٦
يوغوسلافيا		١																			٩							٣١			٤١
المكتبات الخاصة																					١							٦			٧
المجموع	٤٧	١	٤	١	٣	٢	١	٧	٣	٢	٢	١	١	٨	١	٩	٤٦	٢	١٠	٥	٢٢٩٧	٥	١	١٣	٤	٢٢	٢	١٧٣٠	٧١		٤٣٠١

الجـــدول ١ توزيع مجموعات المخطوطات حسب الدول واللغات

توزيع المخطوطات القرآنية حسب اللغة

١	الخميادو	٤٧
٢	الألبانية	١
٣	الأرمنية	٤
٤	البربرية	١
٥	الصينية	١
٦	الهولندية	٣
٧	الإنجليزية	١
٨	الفرنسية	٧
٩	الفولانية	٣
١٠	الالمانية	٢
١١	العبرية	٢
١٢	الهندية	١
١٣	الإيطالية	١
١٤	الجاوية	٨
١٥	الكانمبو	١
١٦	الكردية	٩
١٧	اللاتينية	٤٦
١٨	ماكسار	٢
١٩	الملايوية	١٠
٢٠	الباشتو	٥
٢١	الفارسية	٢٢٩٧
٢٢	الروسية	٥
٢٣	السيامية	١
٢٤	السندية	١٣
٢٥	الأسبانية	٤
٢٦	السواحلية	٢٢
٢٧	السريانية	٢
٢٨	التركية	١٧٣٠
٢٩	الأردية	٧١
٣٠	الولوف	١
	المجموع	**٤٣٠١**

(الجدول ٢)

توزيع مجموعات المخطوطات حسب اللغات

توزيع المخطوطات القرآنية حسب الدولة

١	أفغانستان	٦١
٢	الجزائر	١
٣	النمسا	١٣
٤	بلجيكا	٢
٥	بلغاريا	٢
٦	تشيكوسلوفاكيا	٣
٧	الدنمارك	٦
٨	مصر	١٦٠
٩	فرنسا	٧٥
١٠	ألمانيا	٩٧
١١	الهند	٣٦٥
١٢	إيران	٨٠٤
١٣	العراق	٤٢
١٤	إيرلندا	١١
١٥	إيطاليا	٤
١٦	اليابان	٣
١٧	الكويت	١
١٨	لبنان	٢
١٩	ليبيا	١
٢٠	ماليزيا	٢
٢١	هولندا	٢٥
٢٢	نيجيريا	١
٢٣	جمهورية شمال قبرص	٣
٢٤	باكستان	٧٨
٢٥	المملكة العربية السعودية	٤١
٢٦	السنغال	٤
٢٧	اسبانيا	٤٩
٢٨	السويد	١
٢٩	سوريا	٤
٣٠	تنزانيا	٢٢
٣١	تونس	٣
٣٢	تركيا	٢٠٢٠
٣٣	المملكة المتحدة	٢١٦
٣٤	الولايات المتحدة	٢٤
٣٥	الاتحاد السوفيتي	٩١
٣٦	الفاتيكان	١٦
٣٧	يوغوسلافيا	٤١
٣٨	مكتبات خاصة	٧
	المجموع	**٤٣٠١**

(الجدول ٣)

توزيع مجموعات المخطوطات حسب الدول

من خلال جمل يصيغها بشكل جيد، ومسؤولية المترجم هنا - تعتبر بلا شك - أعظم، لأنه يستطيع أن يستخدم المزيد من الكلمات، وأن يضيف شروحا من مصادر أخرى كالأحاديث أو التفاسير أو الترجمات الأخرى، ليصبح تعبيره أكثر قوة ووضوحا، ونتيجة لذلك فإن هذه الترجمات تكاد تكون تعليقات على النص القرآني.

وفي حالة الترجمات "المتناوبة" وهي الترجمات التي يرد فيها السطر العربي متناوبا مع سطر اللغة الأجنبية، - والتي غالبا ترجمها مجهولون - فإنه من الصعب أن نقرر لأول وهلة ما إذا كانت النصوص التي أمامنا هي مجرد نسخ مختلفة لترجمة واحدة، أم أنها ترجمات منفصلة، أما الترجمات التي تقوم على التفسير فإنها تشمل مقدمة أو قائمة محتويات، وتتميز بميزات معينة تتعلق بأسلوب الكتابة، ولذا يسهل علينا إلى حد ما -في حالة المقارنة بين نصين - أن نقرر ما إذا كان كل من النصين مجرد نسخة لترجمة واحدة، أم أن النصين هما في الواقع ترجمتان منفصلتان.

وإلى جانب نوعي الترجمة المذكورين أعلاه توجد أيضا الترجمات القصيرة، والمكتوبة بجمل كاملة، وتشبه الترجمات المطبوعة في الوقت الحاضر.

ويمكن تقسيم المخطوطات الخاصة بترجمات القرآن الكريم تقسيما آخر إلى فئتين:

الفئة الأولى: هي الترجمات الكاملة.

والثانية: هي الترجمات الجزئية.

وبالإضافة إلى ذلك توجد الترجمات التي لم يستطع المترجمون إكمالها لأسباب مختلفة، ومن الضروري التمييز بين هذه الترجمات غير الكاملة والترجمات الجزئية، حيث أن المترجم في حالة الترجمة غير الكاملة لا يستهدف اختيار أجزاء دون غيرها، ويظل من المحتمل أن الأجزاء الناقصة من هذه الترجمات، التي تعتبر غير كاملة فيما يبدو، قد تظهر في مجموعة أخرى من المخطوطات.

وتشتمل الترجمات الكاملة على النص الكامل للقرآن الكريم، وقد تكون هنالك نسخ ضاعت بعض أجزائها، وتجب العناية بهذه النسخ عناية فائقة. تقع بعض الترجمات في أكثر من مجلد واحد، وقد تختلف هذه المجلدات من حيث الميزات الخارجية كنوع الورق، ونوع الخط، والزخرفة، وكذلك اللغة، بل قد يكون هناك بعض التناقض في تاريخ نسخ بعض المجلدات، وقد يرجع ذلك

إلى أن الشخص المالك لمجموعة معينة حاول استكمال العمل بمجلدات حصل عليها في تواريخ مختلفة، ومن الواضح أن المجلدات التي تجمع بهدف إنشاء وحدة فيما بينها يمكن أن تتفرق لاحقا في مجموعات مختلفة، وحيث أن تبادل المخطوطات ليس من الممارسات المتبعة فإن من المستحيل تحقيق وحدة من خلال تجميع الأجزاء المختلفة، ولا يمكن إقرار أو إثبات عمل كامل من خلال النسخ المبعثرة إلا من خلال الدراسة الأكاديمية التي تتسم بالاطلاع الواسع والصبر، وتقوم على "ببليوجرافيا" كالتي قمنا بجمعها.

وتوجد فئتان من الترجمات المختارة.:

تشمل الفئة الأولى ترجمة جزء أو أجزاء أو سور أو آيات من القرآن الكريم، وأحيانا يقوم المترجم بجمع الآيات التي تتناول موضوعا معينا، ويترجمها .

وأما الفئة الثانية فينتقى فيها الناسخ بعض أجزاء إحدى الترجمات، وإذا أمكن في هذه الحالة اكتشاف المخطوط الأصلي فإن هذه الترجمات يمكن اعتبارها أجزاء من هذا المخطوط، أما إذا كان من غير الممكن اكتشاف المخطوط الأصلي الذي تم منه نسخ الترجمات، فإن أقصى ما يمكن عمله هو تصنيف هذه الترجمات كترجمات مختارة.، وعلى ضوء معلوماتنا فإن الترجمات المختارة كثيرا ما تضم الجزء التاسع والعشرين والجزء الثلاثين وسورة «الفاتحة»، و«يوسف»، و«يس»، و«الإخلاص»، وكذلك الآية ٢٥٥ من سورة «البقرة»، وهي المعروفة بآية «الكرسي».

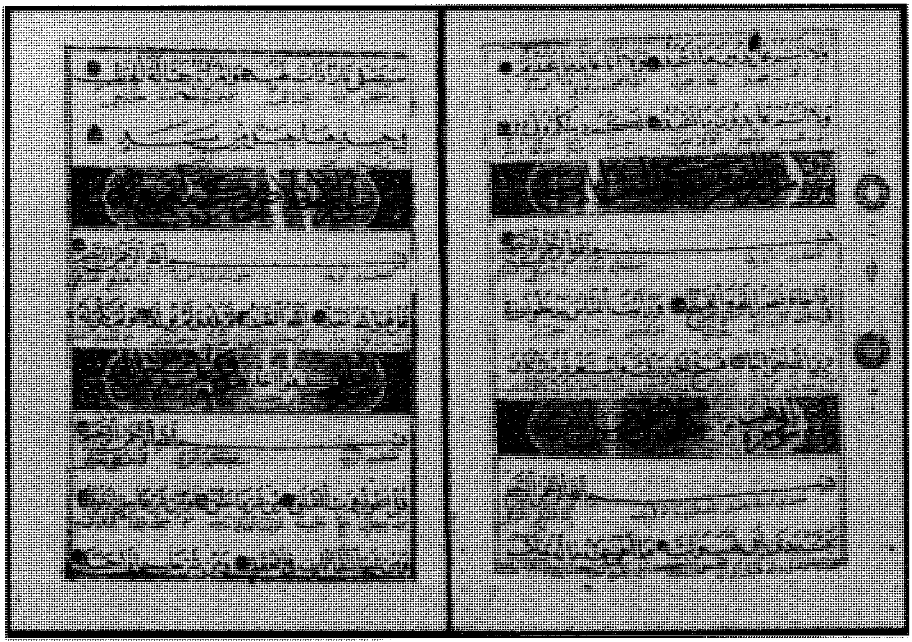
إن معظم ترجمات القرآن الكريم ترجمات نثرية، وإن كانت هناك ترجمات تشمل أقساما منظومة، وكذلك ترجمات لعدد محدود من الآيات موزونة ومقفاة.. وإلى جانب ذلك توجد نصوص قرآنية مترجمة في قواميس ومعاجم القرآن الكريم، والأعمال الأكاديمية والأدبية، والكتابات المتعلقة بالتصوف.

ومن الضروري أيضا أن نشير بإيجاز إلى أسباب الاختلاف الموجود في مختلف نسخ ترجمات القرآن الكريم. فباستثناء الخلاف الناتج عن أخطاء في التهجئة أو الإملاء، فإن أغلب الاختلاف يرجع أساسا إلى التغيرات الطبيعية التي تطرأ على اللغة المترجم إليها، وفي بعض الحالات دوّن القراء تعليقات إضافية في هوامش النص الأساسي، وفي مراحل لاحقة قام النساخ بإدراجها ضمن النص الأصلي. وفي بعض الأحيان يملأ أحد النساخ أقساما ناقصة في النص الأساسي وذلك بنسخ هذه الأقسام من مخطوط آخر، أو بأقسام يكون قد ترجمها بنفسه.

الأهمية الفنية لمخطوطات ترجمة القرآن الكريم

تنطوي المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن الكريم على أهمية فنية كبيرة، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى سمو مكانة الكتاب الكريم وتبجيله لدى المسلمين، حيث تدون المصاحف، وترجمات القرآن الكريم بخطوط مزخرفة، ويعتنى بتجليدها بشكل لائق.لذلك مثلت المصاحف وترجمات القرآن دورا هاما في التطوير السريع لفنون الخط، والتذهيب، والتجليد، ووصول هذه الفنون بشكل سريع إلى مرتبة عالية من الرقي، وما من شك أن الفنانين باشروا أعمالهم في نسخ القرآن الكريم وترجماته المختلفة كواجب مقدس، وأدركوا تماما المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وهي مسؤولية كبرى من الناحيتين الأخلاقية والشرعية، وقد استخدموا كل مهاراتهم في نسخ هذه الأعمال، وتزيينها، وتجليدها، كما أنهم أبدوا حرصا شديدا على استخدام أفضل المواد المتاحة. ولذلك فإن المخطوطات الخاصة بترجمات القرآن الكريم تشكل موضوعا هاما للدراسة في مجال فنون الخط، والتذهيب، والتجليد.، ويعتبر فحص المواد، والأدوات، والأساليب المستخدمة في إعداد هذه الروائع الفنية دراسة هامة في حد ذاتها.

وتختلف المخطوطات الخاصة بترجمات القرآن الكريم فيما يتعلق بترتيب عناصرها. ففي الترجمة الحرفية تتم كتابة الكلمات المرادفة للكلمات العربية - كما ذكرنا - بين السطور، وبوجه عام فإن الخط المستخدم للكلمات المقابلة يختلف عن الخط المستخدم في النص القرآني، فتكون مكتوبة بحروف أصغر وأدق، وهذا النوع الأخير من الترجمة يكتب عادة بلون مختلف من المداد- بلون أحمر في معظم الحالات- وبخط مائل (انظر اللوحة رقم ١). وأحيانا توجد أكثر من ترجمة واحدة في المخطوطة، وتكون هذه الترجمات في سطور متناوبة بلغات مختلفة، كما توجد أيضا مخطوطات تضم كلا من الترجمة الحرفية والترجمة القائمة على التفسير (انظر اللوحة رقم ٢)، وكذلك مخطوطات تشتمل على الترجمة بأنواعها الثلاثة: وهي الترجمات المتناوبة، والترجمات القصيرة، والترجمات القائمة على التفسير (انظر اللوحة رقم ٣)، ويجب أن نذكر أيضا المخطوطات التي تشتمل على أكثر من ترجمة تقوم على التفسير إلى جانب الترجمة المتناوبة (انظر اللوحة رقم ٤).



(اللوحة ١)

ترجمة متناوبة إلى التركية الجغطائية. ٤٥١ ورقة، بالصفحة ٩ سطور، كتبت الآيات بخط نسخ كبير، والترجمة بخط نسخ مشكول. يعتقد أنها نسخت في تركستان في حوالي القرن العاشر/الخامس - السادس عشر.

(Topkapi Palace Museum, Hirka-i Saadet Section,54)



(اللوحة ٢)

التفسير الفارسي لأبي المظفر طاهر بن محمد الأسفرايني، مع ترجمة متناوبة عنوانها «تفسير تاج التراجم» وترجمة فارسية متناوبة، ١١٠٢ ورقة، ويختلف عدد الأسطر من صفحة إلى أخرى. كتبت الآيات بخط نسخ كبير، والترجمة المتناوبة بخط نسخ، والتفسير بخط نسخ متكسر.

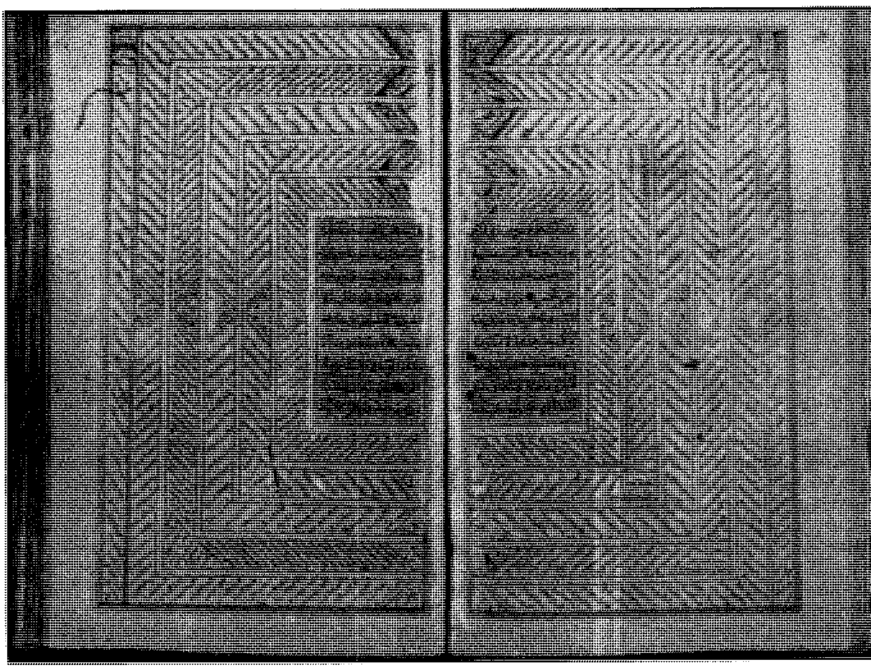
(Süleymaniye Library, Rustem Pasa Section,28)



(اللوحة ٣)

ترجمة متناوبة فارسية، وبها تفسير في الهوامش. ٦٦٧ ورقة، بالصفحة ٩ سطور، كتبت الآيات بخط ثلث، والترجمة والتفسير بخط نسخ وتعليق.

(Süleymaniye Library, Ayasofya Section,2)



(اللوحة ٤)

ترجمة متناوبة فارسية، وبها نصوص مختارة من «الكشاف»، و«تفسير حسيني»، و«تفسير البيضاوي»، و«تفسير مدارك»، و«تفسير رحماني»، و«تفسير الجلالين». ٧٨٢ ورقة، بالصفحة ٩ سطور، كتبت الآيات بخط نسخ مشكول، والترجمة بخط تعليق. نسخها حسن بن علي بن أحمد في حوالي عام ١٠٠٠/١٧٠٠

(Topkapi Palace Museum, Medine Section, 97)

وبوجه عام تكتب الترجمات القائمة على التفسير بخط مائل دقيق في هامش النص القرآني، وقد تستخدم أحيانا وسائل أخرى لتمييز الآيات عن النص في الترجمات القائمة على التفسير، فقد يكون النص القرآني على سبيل المثال مكتوبا بمداد مختلف اللون، أو بخط كبير، أو سميك. وقد ترد الآيات على شكل جداول، وبالتالي تكون منفصلة عن نص الترجمة، أو ترسم خطوط فوق الآيات أو تحتها (وذلك باستخدام مداد أحمر في معظم الحالات) فتفصل بينها وبين بقية النص، ويمكن كتابة أسماء السور والعناوين بمداد لونه مختلف، ومن الممكن زخرفتها.

وهذه المميزات الخاصة بتزيين الترجمات الكاملة قد تظهر أيضا في الترجمات المختارة التي - وإن كانت أقل عددا - تعكس نفس الاهتمام بالخط، والتذهيب، والتجليد، والحرص الذي نراه في الترجمات الكاملة.

ونذكر كأمثلة المخطوطات الآتية، وهي موجودة بالمكتبة السليمانية : تفسير إسماعيل بن أحمد الأنقروي على سورة الفاتحة، وعنوانه «الفتوحات العينية» (انظر اللوحة رقم ٥)، وتفسير شيخ الإسلام أسعد أفندي لآية «الكرسي» (انظر اللوحة رقم ٦). وهناك أيضا ترجمات تشتمل على أكثر من سورة، مثل المخطوطة الموجودة في مكتبة متحف طوب قابي سراي، وهي من القرن الثامن وتحتوي على سورة «الفاتحة»، و«الأنعام»، و«فاطر»، و«يس».

أما مخطوطة أوقجي زاده محمد بن محمد «النظم المبين في الآيات الأربعين»، وفيها يترجم أربعين آية قرآنية، تعتبر مثالا للترجمة المنظومة، وهي موجودة بالمكتبة السليمانية (انظر اللوحة رقم ٧). ومعظم المخطوطات المذكورة أعلاه تبين أيضا رقي فن التجليد.

توزيع ترجمات القرآن الكريم حسب البلاد واللغات

يوجد، كما ذكرنا سابقا، أكثر من ٤٫٠٠٠ نسخة من المخطوطات الخاصة بترجمات القرآن الكريم، وهي تشمل ترجمات إلى ثلاثين لغة مختلفة، موزعة على سبع وثلاثين دولة. ويشمل هذا الرقم نسخا ومجلدات مختلفة من نفس العمل. ويوجد عدد لا بأس به من هذه الترجمات في مكتبات تركيا وإيران والهند وإنجلترا، أما مكتبات ألمانيا وروسيا وباكستان وفرنسا وأسبانيا والفاتيكان والمملكة العربية السعودية ومصر فتشمل ما بين ٢٥ و ١٠٠ نسخة من المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن (انظر الجدول رقم ٣)، والكثير من هذه الترجمات ينطوي على أهمية لغوية كبيرة وميزات هامة أخرى. وتشير الأرقام

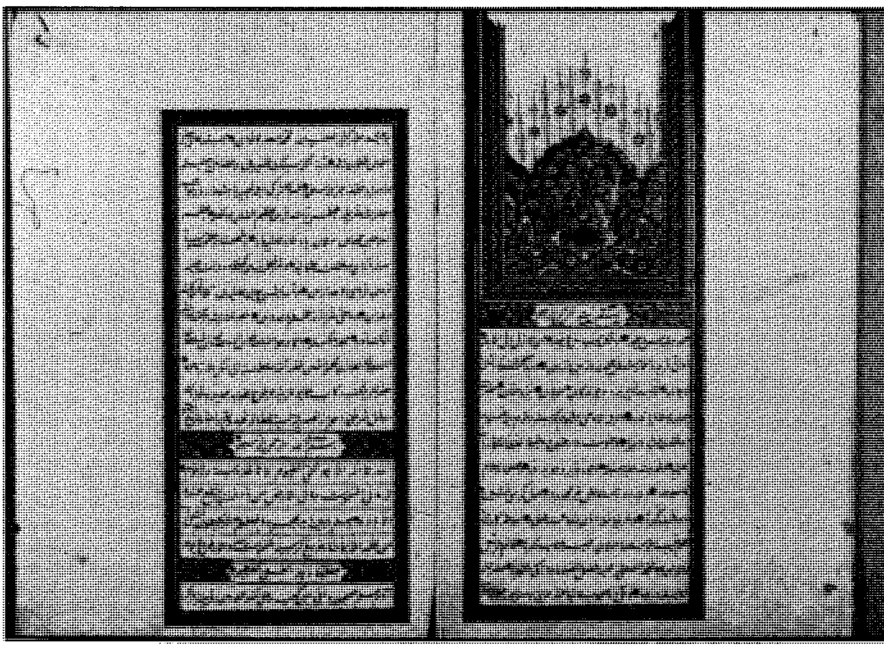


(اللوحة ٥)

تفسير إسماعيل بن أحمد الأنقروي لسورة «الفاتحة» باللغة التركية، وعنوانه «الفتوحات العينية».

١٢٠ ورقة، بالصفحة ٢٣ سطرا. نسخت بخط نسخ في شهر رجب ١٠٣٠/مايو - يونيو ١٦٢١.

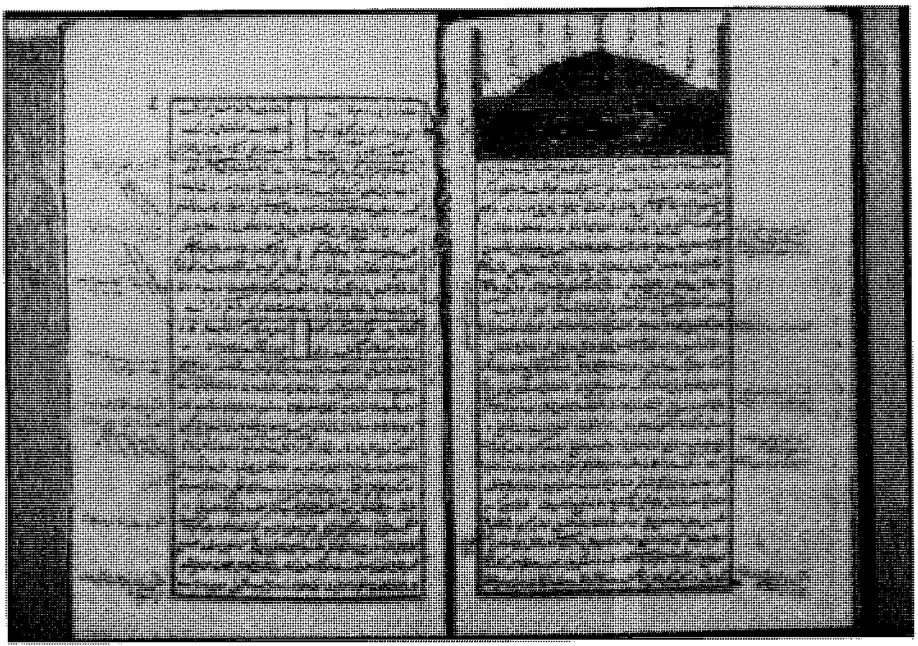
(Süleymaniye Library, Halet Efendi Section, 27)



(اللوحة ٦)

تفسير تركي لآية «الكرسي»، ١٠ ورقات، بالصفحة ١٩ سطرا. نسخت بخط تعليق جميل في ١١٦٤/١٧٥٠.

(Süleymaniye Library, Hamidiye Section, 56)



(اللوحة ٧)

ترجمة تركية منظومة لـ« النظم المبين في الآيات الأربعين » لأوقجي زاده محمد شاهي. ٢٥٢ ورقة، بالصفحة ٢٥ سطرا. نسخها شهباز بن شعبان في إستانبول في ٢٢ جمادى الآخر ٢٨/١٠٥١ سبتمبر ١٦٤١.

(Süleymaniye Library, Lala Ismail Pasa Section, 612)

الواردة بهذه الجداول إلى توزيع المخطوطات حسب الدولة فحسب، وليس إلى قيمة هذه المخطوطات أو أهميتها (انظر الجدول رقم ٣).

وتبين الأرقام أن عددا هاما من ترجمات القرآن الكريم دونت باللغات الفارسية والتركية والأردية، والترجمات إلى الفارسية والتركية تشكل ٩٠٪من إجمالي عدد الترجمات، ومن أسباب وجود العديد من الترجمات بهاتين اللغتين أن الفرس والأتراك كانوا من أوائل الشعوب التي بادرت إلى اعتناق الإسلام، وسرعان ما بدأوا باستخدام الحروف العربية، وكان لهم في نفس الوقت تاريخ، و تراث وفنون راسخة، والترجمات الفارسية تفوق الترجمات التركية من حيث العدد. وربما يرجع سبب ذلك إلى أن شعوبا أخرى اتخذت من اللغة الفارسية لغة للكتابة والأدب، ومن هذه الشعوب: الأتراك في أواسط آسيا والأناضول، وكذلك شعوب الهند، والواقع أن كثيرا من الترجمات الفارسية قام بها مترجمون من أصل تركي. ويجب أن نؤكد في هذا الصدد :أن من غير الممكن تقديم معلومات تفصيلية عن آلاف الترجمات داخل النطاق المحدود لهذا المقال، ولكننا نأمل بعد اكتمال هذا المشروع العلمي أن تزيد آفاق المعرفة في هذا المجال اتساعا، ويفتح مجالات أخرى للبحث فيه.

وأقدم ترجمة فارسية معروفة هي «تفسير» الطبري، وقام بإعدادها مجموعة من العلماء في عهد الأمير الساماني منصور بن نوح (توفي ٣٥٠هـ/٩٥٦م)، غير أننا وجدنا أثناء بحثنا ترجمة فارسية أخرى متناوبة ومجهولة المترجم تبدأ بسورة «الحجرات» وحتى نهاية القرآن الكريم، ويرد في الصفحة الأخيرة من هذا المخطوط، كما يرد في الفهرس، أنه قام بنسخها الخطاط الشهير علي بن محمد بن مُقلة في سنة٣٠٨هـ/٩٣٩م، أي قبل ترجمة ابن نوح بنصف قرن. إلا أن فحصنا للمخطوط ولنوع الخط يبين أن هذا العمل لايعود إلى زمن ابن مقلة، بل أنه قد نسخ غالبا في القرن التاسع الهجري - وهذه النسخة موجودة الآن بدار الكتب المصرية (رقم ٦٤ مصاحف).(١)

وأول نسخة بين أيدينا من الترجمة الفارسية لتفسير الطبري توجد في تركيا بمكتبة بورصة العامة، ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى سنة ١١٦٦/٥٦٢ ـ ١١٦٧، وهي محلاة بالذهب، وتبدأ من سورة «المؤمنون» إلى سورة «سبأ».

واعتبارا من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر والثاني عشر الميلادي يزداد عدد الترجمات الفارسية المتناوبة والقائمة على التفسير، وذلك من حيث عدد النسخ المختلفة لنفس الترجمة، وعدد الترجمات المنفصلة. وقد أثبتنا أن

الترجمة القائمة على التفسير التي قام بها حسين واعظ كاشفي والمعروفة بإسم «مواهب عليّة» أو «التفسير الحسيني» كانت من النصوص الفارسية التي كثر نسخها، وقد استطعنا تحديد مكان أكثر من ٣٠٠ نسخة من هذه الترجمة، ويرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٤٩٢/٨٧١، وتوجد نسخة غير كاملة من هذه الترجمة في مكتبة السليمانية في إستانبول.

وقد ظهرت الترجمات التركية الأولى للقرآن الكريم باللهجات التركية الشرقية، وتشير المصادر إلى احتمال ترجمة تفسير الطبري إلى اللغة التركية نظرا لوجود علماء من الأتراك ضمن العلماء الذين قاموا بترجمة هذا التفسير إلى اللغة الفارسية، ولكن لا توجد حاليا نسخة من هذه الترجمة التركية.(٢) ومن أقدم نسخ الترجمات المدونة باللهجات التركية الشرقية الترجمة التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع/الثالث عشر، وهي مكتوبة بلغة تشبه اللغة التركية السائدة حاليا في منطقة ما وراء النهر، وترد هذه الترجمة في ٣٤٣ ورقة.(٣) ويوجد هذا المخطوط بمكتبة أستان قدس رضوي في مشهد. وتضم الترجمة المؤرخة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، والتي قام بها عبدالقادر بن طاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، وهي ترجمة إلى اللغة الأوزبكية للسور الثماني الأولى من القرآن الكريم، وتوجد المخطوطة في ألأكاديمية العلمية ألأوزبكية في طشقند.(٤) ويوجد في مكتبة أستان قدس رضوي مخطوط (برقم ٢٩٣) يضم ترجمة متناوبة، وترجمة «تفسيرية» يرجع إلى سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، ويشمل من سورة «ص» إلى نهاية القرآن الكريم.(٥) ويجب أن نذكر أيضا ترجمة القرآن الكريم الموجودة في متحف الآثار التركية الإسلامية، وهذه الترجمة تم نسخها في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣-١٢٣٤م وتكشف عن الميزات الخاصة باللغة الأدبية المستخدمة في آسيا الوسطى.(٦) ونذكر أيضا مخطوطا من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، في مكتبة المتحف الآسيوي بمدينة بطرس بورج، وإلى جانب الترجمة المتناوبة للألفاظ إلى اللهجة التركية القاراخانية ، يحتوي هذا المخطوط على تفاسير وقصص تحمل خصائص اللهجات التركية عند القپچاق والغز وحتى الچغطاي. ولهذا ترجح بعض المصادر أنه كتب باللغة التركية الخوارزمية.(٧) وهناك نسخ من ترجمات القرآن الكريم إلى التركية الآذربيجانية، والقاراخانية، والأويغورية، والچغطائية والطاجيكية، إلا أنها ترجع غالبا إلى عصر أكثر حداثة.(٨)

وقد ظهرت ترجمة القرآن الكريم إلى التركية الأناضولية لأول مرة في عصر الإمارات عقب اضمحلال سلاجقة الأناضول. وكانت النسخ الأولى عبارة

عن ترجمات قائمة على تفسير السور القصيرة.[٩] وأقدم هذه الترجمات نسخت في عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م وهي بعنوان «تفسير سورة الملك» Sure-i Mulk Tefsiri وتوجد الآن في مكتبة بوردور Burdur بتركيا.[١٠] أما في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فقد بدأت الترجمات الكاملة تظهر في الأناضول لأول مرة.. وقامت معظم الترجمات "التفسيرية" على أساس تفسير أبى الليث السمرقندي - الذي قام كل من أحمد الداعي، وموسى الإزينكي، وابن عربشاه بترجمة تفسيره ترجمة منفصلة إلى التركية - وعادة ما تختلط هذه الترجمات الثلاث على الباحثين، ولكنها ثلاث ترجمات مستقلة لأصل واحد. ولا تزال توجد حتى الآن نسخ من مخطوطات تفسير أبي الليث من القرن الثامن الهجري/الخامس عشرالميلادي، وفي كثير من الحالات لا يذكر فيها اسم المترجم.

ولم نحصل بعد على معلومات محددة وتفصيلية عن جميع المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية، والبالغ عددها ٧٠ مخطوطا. وعلى ضوء معلوماتنا المحدودة نعتقد أن تاريخ أقدم نسخة باللغة الأردية هو سنة ١٠٠٠هـ/١٥٩١-١٥٩٢م، وهذه المخطوطات عبارة عن ترجمات مختارة لم تذكر أسماء مترجميها.[١١] والمعروف أن محمد باقر فضل الله حيدرأبادي هو مترجم مخطوط يرجع تاريخه إلى عام ١١١٥هـ/١٧٠٣-١٧٠٤م، [١٢] وتوجد أيضا مخطوطات ترجمات من القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر والتاسع عشرالميلادي، لم تذكر أسماء مترجميها، كما توجد مخطوطات لترجمات قام بها شاه رفيع الدين الدهلوي وأخوه شاه عبد القادر الدهلوي،

وكان روبرتيس كيتنسيس Robertis Ketensis هو أول من ترجم القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية في سنة ١١٤٣ ميلادية وتوجد ثماني نسخ خطية من هذه الترجمة في المكتبة الوطنية بباريس Bibliotheque Nationale،[١٣] وتوجد نسخ من المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية التي قام بها روبرت فون تشيستر Robert von Chester وهرمان فون كارينثيا Hermann von Carinthia،[١٤] وجويليلموس ريموندوس مونسيتا Guillelmus Raymondus Monceta،[١٥] وماركوس كونانيكوس توليتانوس Marcus Conanicus Toletanus،[١٦] ودومينيك جيرمانوس سيلزي Dominic Germanus Silésie،[١٧] وأبراهام هنكلمان Abraham Hinckelmann،[١٨] ونيكولاس ويليم شرودر Nicolas Wilheim Schroder،[١٩] و جان هنري باراو Jean Henri Parau،[٢٠] ودفينوس وارينوس Devinus Warenus،[٢١] وذلك إلى جانب ترجمات أخرى لا نعرف أسماء أصحابها.[٢٢]

والترجمة الصينية الوحيدة للقرآن الكريم التي استطعنا العثور عليها ترجع إلى القرن الثالث عشرالهجري/الثامن عشر الميلادي، وتتكون من ٦١ ورقة، وتوجد في مكتبة وزارة الهند India Office Library بلندن (Arabic Ms 3340) [٢٣] واستطعنا أن نؤكد وجود ثلاث مخطوطات خاصة بترجمة القرآن الكريم باللغة الأرمنية، اثنتان منها في ألمانيا، والثالثة في إيران. وهناك ترجمة أخرى بقلم ستيفانوس Stephanos موجودة في بهوبال بالهند.[٢٤] والنسختان الموجودتان بألمانيا توجد إحداهما في مكتبة جامعة توبنجن Tubingen (Ma. XIII 84)،[٢٥] والثانية في المكتبة الوطنية Staatsbibliothek Preussischer Kulturbesitz Orientabt. (Or. Quart 605)[٢٦] وقد تم نسخ المخطوط الثاني في إستانبول في عام ١٨٠٣ ويتكون من ١٨٦ ورقة، ولم نحصل بعد على معلومات تفصيلية عن هذه النسخة التي توجد بكنيسة أرمنية في إيران.[٢٧]

وتوجد ثلاث نسخ خطية من ترجمات القرآن الكريم بإحدى لهجات اللغة الفولانية Fulani، وهي لهجة پولار Pular في داكار بالسنغال، وتوجد اثنتان منها في المعهد الفرنسي لأفريقيا السوداء Institut Français de l'Afrique Noire، ورقمها (IFAN 57,58)، وفي كل منهما توجد ترجمة كل آية على صفحة مستقلة.[٢٨] أما النسخة الثالثة فتتكون من ٦٢٢ ورقة، ورقمها (IFAN 99)، ولا نعرف حتى الآن ما إذا كانت ترجمة كاملة.[٢٩]

واستطعنا أن نؤكد وجود مخطوطين لترجمة القرآن باللغة الهولندية (الفلمنكية). وتتكون النسخة الأولى من ٢٨١ ورقة، وقام بترجمتها سلامون سويجر Salamon Swigger، وتوجد حاليا بمكتبة ألبرت الملكية Royal Albert Library في بروكسل ببلجيكا،[٣٠] أما النسخة الثانية فصاحبها مجهول وتوجد في مكتبة جامعة ليدن Leiden بهولندة.[٣١]

وتوجد ترجمتان للقرآن الكريم باللغة العبرية، وقد ترجم إحداهما يعقوب بن إسرائيل Jacob Ben Israel ، وتم نسخها في البندقية عام ١٦٣٦، وتحمل اسم «سفرها القرآن»، وهي توجد حاليا في مكتبة بودليان Bodleian بجامعة أكسفورد (MS.Michael 113).[٣٢] وبهذه المكتبة نسخة أخرى من القرآن الكريم (Huntington 529)، وهي بالعربية، وبها ترجمات عبرية داخل النص وفي الهوامش بقلم مترجم غير معروف، ويرجع تاريخها إلى سنة ١٦٠٠ ميلادية.[٣٣]

وتوجد نسخة من مخطوط بتاريخ ١٨٠٥-١٨٠٦ لترجمة إنجليزية للنصوص القرآنية المنقوشة على جدران الفناء الداخلي لجامع تاج محل، ويتكون هذا المخطوط من ٧٩ ورقة، ويوجد في دار الكتب الوطنية بباريس

(Arabe 4529).[٣٤] وعثرنا على الترجمة الوحيدة إلى الإيطالية في فهرست تاسي Tassy، [٣٥] ولكننا لم نستطع الحصول على معلومات عن هذا المخطوط الذي يتضمن ترجمة سورة «البقرة».

واستطعنا أن نؤكد وجود ثماني مخطوطات باللغة الجاوية، وثلاث من هذه المخطوطات عبارة عن تعليقات متناوبة مأخوذة عن «تفسير الجلالين»، وهي موجودة في دار الكتب الوطنية بباريس (MS. Arabe 654)،[٣٦] ومكتبة جامعة ليدن الملكية OR 1886) Bibliothek der Rijkuniversiteit[٣٧] و OR 6890[٣٨]).

وتوجد نسخة أخرى باللغة الجاوية، وتضم ترجمة لسورة «الفاتحة»، ويرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشرالميلادي، وهي موجودة بمكتبة برلين القومية (Schoem.II.19)،[٣٩] كما توجد نسختان في مكتبة الجامعة الملكية في ليدن بهولندة (رقم 2097 [٤٠] و 5697 [٤١]). وفي مكتبة" ببليوتيكا بوننسي سيرفانتور" Bibliotheca Bonnensi Servantur توجد مخطوطة (رقم85a) تتكون من ٢٦٤ ورقة،[٤٢] وأخيرا توجد ترجمة لسورة «البقرة» في مجموعة خطية (MS. Arabic Loth 2448) في مكتبة وزارة الهند.[٤٣]

ويوجد المخطوط الوحيد لترجمة القرآن الكريم إلى لغة كانمبو Kanembu على شكل تعليق متناوب، وهي نسخة يرجع تاريخها إلى عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩-١٦٧٠م، وهي بخط مغربي،[٤٤] وهناك تعليق آخر في هامش هذا المخطوط بعنوان «جامع أحكام القرآن» بقلم عبد الله محمد.

والترجمة الكردية الوحيدة التي استطعنا تأكيد وجودها يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠-١٩٣١م، وهي موجودة في مكتبة جامعة صلاح الدين في إربيل بالعراق، وقام بترجمتها عبد الكريم القاضي وهي بخط المترجم وتقع في ثمانية أجزاء. توجد أيضا ترجمة "تفسيرية" كاملة في المكتبة الخاصة بمسعود محمد جالي زاده، ابن الملا محمد، قام بترجمتها جالي زاده محمد بن جمال الدين عبد الله بن ضياء الدين محمد أسعد قاق جالي Kakjali ولم تصلنا بعد معلومات مفصلة عن هذه المخطوطة.[٤٥]

وما زلنا نفتقر إلى معلومات حول المخطوطات الخاصة بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة البولندية (البولونية).[٤٦]

وفي مكتبة جامعة ليدن يوجد مخطوطان بلغة ماكسار Macassar (اندونيسيا)(Bugis Makasar 36 & 52).[٤٧]

ومعظم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الملايوية Malay، والبالغ عددها عشر ترجمات، والتى استطعنا أن نؤكد وجودها، تعتبر ترجمات

ناقصة أو مختارة. وبعض النسخ لا تحتوي إلا على حواشي باللغة الملايوية. وأكبر النسخ حجما موجودة بمكتبة ديوان بهاسا Dewan Bahasa، وتتكون من ١٦٧ ورقة.(٤٨) وهذه النسخة مكتوبة بالخطين العربي والجاوي، وفي الجامعة الملكية بليدن في هولندة توجد ترجمة متناوبة لتفسير الجلالين، ويرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر الميلادي (OR 3224).(٤٩) ويوجد مخطوط بدار الكتب القومية بباريس (Arabes Suppl. 129) يتكون من ٢٩٠ ورقة ويضم تعليقات متناوبة.(٥٠) وفي مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية توجد ترجمتان إلى اللغة الملايوية (Callmark: Malay 79, Arabic 4)، وتتكونان من ٣٥٢ ورقة،(٥١) و١٩ ورقة.(٥٢) وهناك ترجمة لسورة «الفاتحة» في مكتبة جامعة كارل ماركس بمدينة ليبزج Leipzig (MS. Or 896b)،(٥٣) وترجمة لسورة «الكهف» في مكتبة جامعة كامبريدج (Ii.6.45) (٥٤) وفي مكتبة ديوان بهاسا Dewan Bahasa يوجد مخطوط (رقم ٩٧) بتاريخ ١٤٥٠م لتفسير الجلالين، وكان ملكا لجلال الدين بن أحمد المحلي. وفي بداية هذه النسخة كتبت بعض الهوامش بلغة الملايو، وبعض التعليقات المتناوبة بلغة جاوة.(٥٥) كما يوجد مخطوط بمكتبة كلية كنجز كوليج بجامعة كامبريدج لتفسير الزمخشري بعنوان «الكشاف» (رقم ٨٦)، وفي نهاية هذا المخطوط توجد بعض الحواشي يحتمل أن تكون باللغة الملايوية.(٥٦)

وقد تحققنا من وجود ترجمة پنجابية Panjabi لسورة الغاشية بعنوان "ترجمة سورة الغاشية"، وهي في مكتبة خاصة ولم نستطع الحصول على أية تفاصيل عنها.(٥٧) ومن بين الترجمات إلى لغة الپاشتو Pashto (وهي لغة أفغانستان وشمال غرب باكستان) يوجد مخطوط بعنوان «شرحي مندوم بار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية»، ترجمها أديب محمد سامد [؟] بتاريخ ١١٢٥هـ/١٧١٣م، وهذه النسخة في مكتبة ظاهر شاه الخاصة في أفغانستان.(٥٨) وهناك ترجمتان أخريان، وهما «تفسير البدر المنير» و «تفسير الضحى»، وتوجدان في مكتبة وزارة المطبوعات والإرشاد (رقم ١٨٥(٥٩) و١٨٨(٦٠)). وتوجد مخطوطة أخرى بها ترجمات لسورة «الفاتحة» و«الإخلاص»، وتعود إلى القرن الثامن عشر، وهي موجودة بمكتبة وزارة الهند بلندن (Or. 6274).(٦١)

أما فيما يتعلق بالترجمات الخمس إلى اللغة الروسية التي أمكن العثور عليها، فالمخطوطة التي ترجمها بوجوسلافسكي D.N.Boguslavsky مؤرخة بـ١٨٧١هـ، وهذه الترجمة الروسية، المبنية على التفسير المعنون «المواهب العلية» Mevahib-i Aliyye بقلم حسين واعظ كاشفي، وترجمته إلى التركية بقلم

إسماعيل فروح، موجودة في أرشيف أكاديمية العلوم (القسم Spb).[٦٢] وهناك ترجمة كاملة للقرآن في ٧٨٠ صفحة قام بها بيوتر فاسليفتش بوستنكوف Piotr Vasil'yevich Postnikov، وموجودة في أرشيف الدولة المركزي للأعمال القديمة Central State Archives of Ancient Acts بموسكو (F.181, opis 1,N 148/217)، وهي مبنية على ترجمة أندريه دي رييه André du Ryer إلى الفرنسية. وتوجد نسخة أخرى من نفس الترجمة، وتشمل السور العشرين الأولى من القرآن، وموجودة بمكتبة أكاديمية العلوم (قسم المخطوطات رقم ٣٣,٧,٦) بسان بطرس بورج.[٦٣] ولم نستطع بعد الحصول على معلومات دقيقة عن مخطوطة الترجمة التي يقال إنها لفلاديمير ليزيفي Volodymyr Lezevye والموجودة بالمكتبة المركزية لأكاديمية أوكرانيا.(٦٤) وتوجد أيضا في مكتبة معهد الدراسات الشرقية (الفهرسN168 الرقم D723) بسان بطرس بورج، ترجمة متناوبة تعود إلى القرن التاسع عشر، وبها ٤٨٠ صفحة وتنقصها سورة «الفلق» و«الناس».

وتحققنا من وجود إحدى عشرة نسخة من ترجمات القرآن الكريم إلى اللغة السندية Sindhi في معهد الدراسات السندية في جامعة السند في باكستان. ومن هذه النسخ توجد ثلاثة مخطوطات بعنوان «قصة حضرة يوسف جو»:«Qissa Hazrat Yusuf Jo» وترجمها مترجم باسم «أحمد». وقام قاضي شرف الدين سهواني بترجمة مخطوط بعنوان «قرآن مجيد مترجم سندي» «Qur'an Majid Mutarjam Sindhi». والمخطوطات الثلاث الأخرى هي أجزاء من «التفسير الهاشمي» الذي قام بترجمته مقدوم محمد هاشم اتهاتوي Thatvi في سنة ١١٧٠هـ/١٦٥٩م. والمخطوطات الأخرى هي ترجمات قائمة على التفسير، وهي: «Tardjuma ein Tafseer» لمولانا عبيد الله سندي (١٢٨٩-١٣٦٣هـ/١٨٧٢-١٩٤٤م)، و«ترجمة مع تفسير» أكملها ميان فاضل شاه في عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م، و«تفسير القرآن المجيد» لمترجم مجهول. وفي مكتبة وزارة الهند بلندن توجد ترجمة سندية لتفسير سورة «يوسف» (MS Sind4).[٦٥]

ويوجد ما يفيد أن هناك مخطوطا باللغة السيامية "التايلاندية" Thaiفي جامعة كنساس Kansas،[٦٦] ولكننا في انتظار معلومات مفصلة عنه.

وتوجد ترجمة للقرآن الكريم باللغة السريانية، وهي عبارة عن مخطوطين موجودين في مكتبة جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية، ومكتبة جون ريلاند John Ryland بمانشستر[٦٧] ولم نحصل على معلومات مفصلة عن هاتين الترجمتين بعد.

وقد أثبتنا وجود اثنتين وعشرين مخطوطة خاصة بالترجمة السواحلية للقرآن الكريم في مكتبة جامعة دار السلام في تنزانيا، وهي ترجمات لسور مختلفة. وقام بترجمة ست مخطوطات أحمد باشيخ حسين، كما قام بترجمة عشرة مخطوطات مترجم باسم "منصب" [؟] وترجم مسعود عبد الله مخطوطة واحدة، أما النسخ الخمس الأخرى فمترجموها مجهولون.(٦٨)

والمخطوط الوحيد الذي استطعنا إثباته من ترجمات القرآن الكريم إلى لغة ولوف Wolof (لغة غرب أفريقيا) قام بترجمته محمد ديمي [؟]، وتقع الترجمة في مجلدين ويشار إليها باسم «تفسير قرآني» Exégèse Coranique، ويوجد هذا المخطوط في داكار.(٦٩)

وجد الدكتور أنس كاريج Enes Karic ثلاث ترجمات إلى اللغة البوسنوية: فهناك ترجمة الحافظ سعيد ذي النونوفيتش Zenunovic المتناوبة، والنسخة التي خطها حلمو ساريتش Hilmo Saric. وقد فنيت الأولى في الحرب العالمية الثانية، أما النسخة الأخرى فضاعت خلال الثلاثين سنة الماضية، والمخطوطة الأخيرة هي ترجمة فطين كولينوفتش Fatin Kulenovic إلى اللغة البوسنوية لـ«معاني القرآن الكريم» لإبراهيم حقي الأزميرلي، وهذه المخطوطة موجودة في سراييفو، وتتكون من مجلدين، وكتبت بالحروف اللاتينية - وما زلنا في انتظار معلومات مفصلة عن هذه المخطوطات الثلاث.

تستحق مخطوطات ترجمة القرآن الكريم دراسة دقيقة من عدة جوانب، فهي - فضلا عن أهميتها لذاتها - تعد مصدرا هاما لمعرفتنا باللغة والفن وتاريخ العلوم.

ومن الممكن تكريس أبحاث مستقلة لجوانب عدة من البحث الشامل في هذه المخطوطات. فمن الموضوعات التي يمكن معالجتها مثلا:

- أسباب الاهتمام بأجزاء وسور وآيات معينة من القرآن الكريم.
- التباين في النسخ المختلفة لترجمات القرآن الكريم، وأسبابه.
- المقارنة بين النسخ المختلفة (الموجودة حاليا) لترجمة واحدة: نحو تفسير أبي الليث السمرقندي.

وبعد، فإن الذي استهدفناه من تقديم هذا البحث حول الترجمات المخطوطة لمعاني القرآن الكريم هو استنهاض الباحثين والعلماء المتخصصين في هذا المجال على التعاون مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، والمساهمة في إنجاز الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة، حتى يخرج هذا العمل العلمي الرائد إلى النور، ويقدم لخدمة الباحثين.

الحواشي

١- نصر الله مبشر الطرازي، فهرس المخطوطات الفارسية في دار الكتب المصرية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ١٩٦٦-١٩٦٧، المجلد الثاني، ص ١٥١، رقم ٢١٧٦.

2 Zeki Velidī Togan, 'Londra ve Tahran'daki Islāmī Yazmaların Bazılarına Dair', *Islāmī Tedkikler Enstitüsü Dergisi,* III, 1959–60, pp. 135–8; Fuat Köprülü, *Türk Edebiyatı Tarihi,* Istanbul 1926, pp. 190–3; Abdülkadir Inan, 'Eski Türkçe Üç Kuran Tercümesi'. Türk Dili Dergisi, nos. 6, 7, 9 (1952), p. 324.

3 M. A. Fikrat, A *Catalogue of the Manuscripts of the Holy Qur'ān in Translations, Preserved in the Library of Āstān-i Quds-i Riẓavī,* Mashhad 1323 Sh, p. 89, no. 37.

4 A. A. Semenov, *Sobraine Vostochnikh Rukopisey Akademii Nauk Uzbekskoy* SSR, Tashkent 1952–87, vol. IV, p. 55, no. 2870.

5 Fikrat, p. 98, no. 53; Ahmad Gulçin Maani, *Rahnamā-yi Ganjīnah-yi Qur'ān,* Tehran, n.d., p. 107, no. 48; David James, *Qur'āns of the Mamluks,* London 1988, p. 244, no. 58.

6 Janos Eckmann, 'Kur'ān'ın Doğu Türkçesine Tercümeleri', trans. Ekrem Ural. I. *Ü. Edebiyat Fakültesi Türk Dili ve Edebiyatı Dergisi,* vol. XXI (1973), pp. 15–24.

7 Abdülkadir Inan, 'Eski Kuran Tercümelerinin Dili Meselesi', Türk *Dili Dergisi,* vol. I, no. 7, (April 1952), pp. 395–8; Eckmann, pp. 15–24.

8 Eckmann, pp. 15–24; Muhammad Hamidullah, *Kur'ān-ı Kerīm Tarihi,* trans. Sait Mutlu. Istanbul 1965, p. 74; Ahmet Topaloğlu, 'Kurān-ı Kerīm'in Ilk Türkçe Tercümeleri ve Cavāhirü'l Asdāf', *Türk Dünyası Araştırmaları,* no. 27, (1983), pp. 20, 59; Semenov, vol. IV, no. 2854; Eckmann, p. 20.

9 Özcan Tabaklar, 'Amme Cüzü Tefsiri' (M.A. Thesis, I. Ü. Edebiyat Fakültesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Istanbul 1987), p. 53.

10 Ahmet Ateş, 'Burdur–Antalya ve Havalisi Kütüphanelerinde Bulunan Türkçe, Arapça ve Farsça Bazı Mühim Eserler', *Türk Dili ve Edebiyatı Dergisi,* 2 (1948), pp. 171–91.

11 *Sayyarah Digest Monthly* (Exclusive issue on the celebration of 1,400 years of the revelation of the Holy Qur'ān), Lahore (1973). Qur'ān number XX, pp. 902–3, B/304, B/327, B/321.

12 Ibid., p. 897, A/160.

13 Bibliothèque Nationale, *Catalogue des Manuscrits Latins,* Paris 1966, vol. V, pp. 334–9, 487–9, 491–2.

14 Der *Islam und das Christentum, p.* 132, no. 35.

15 Muhammad Hamidullah, *Le Coran*, France 1959, p.XLVI: Bibliothèque Nationale, *Catalogue*, vol. V, pp. 492–3.

16 Bibliothèque Nationale, Ca*talogue,* vol. V, pp. 339–41; Der *Islam* ..., p. 133, no. 36/Abb. 4.

17 Hamidullah, Le *Coran, p.* XLVII; Marcel Devic, 'Une traduction inédite du Coran', *Journal Asiatique*, 8ème série I (1983), pp. 343–406.

18 Carl Brockelmann, K*atalog der Orientalischen Handschriften der Stadbibliothek zu Hamburg. Teil I. (Die arabischen, persischen, turkischen, malaischen, koptischen, syrischen, athiopischen Handschriften),* Hamburg 1908, vol. I, p. 10.

19 Hamidullah, Le *Coran, p.* XLIII.

20 Hamidullah, Le *Coran, p.* XLIII; P. Tiele, Ca*talogus Codicus Manuscriptorum Bibliothecal Universitatis Rheno-Tarajectinal,* vol. I, no. 1437; P. Voorhoeve, *Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands,* Leiden 1957, p. 227.

21 Hamidullah, Le *Coran, p.* XLVIII.

22 M. le Baron de Slane, Bi*bliothèque Nationale, Départements des Manuscrits. Catalogue des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale,* Paris 1883–95, vol. I, pp. 117–8, no. 384, p. 137, no. 590; Georges Vajda and Yvette Sauvan, *Catalogue des manuscrits arabes, 2ème partie: Manuscrits musulmans,* Paris 1978, vol. II, p. 3, no. 590; Leopold Delisle, *Inventaire des Manuscrits Conservés à la Bibliothèque Nationale sous les no. 8323–11503 du Fonds Latin,* Paris 1863, p. 110; W. A. Ahlwardt, *Verzeichnis der Arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin,* Berlin 1887–9, p. 413, no. 1032; Brockelmann, vol. I, p. 158, no. 299; E. G. Browne, *A hand-list of the Muḥammedan manuscripts including all those written in the arabic character, preserved in the libraries of the University and Colleges of Cambridge*, Cambridge 1900, p. 149, nos. 837, 838; *Catalogue Général Bibliothèque Municipale de Poitiers,* 1894, vol. XXV, p. 2, no. 10; *Katalog der Handschriften der Königlichen Oftenlichen Bibliothek zu Dresden,* Leipzig 1882, vol. I, pp. 55-6; Hamidullah, *Le Coran*, p. XLVIII.

23 C. A. Storey, *Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Library of the India Office, vol. 2/1: Qur'anic literature.* London 1930, p. 6, no. 1062.

24 J.D. Pearson, 'Translation of the Qur'an'. *The Encyclopaedia of Islam, new* ed., vol V, p.431.

25 Franz Nikolaus Finck-Levon Gjandscheizian, *Systematisch-Alphabetischer Hauptkatalog des Königlichen Universitäts Bibliothek zu Tübingen*, (M. Handschriften. a) Orientalische XVIII, Tübingen 1907, p. 117.

26 N Karamianz, *Verzeichnis der Armanischen Handschriften*, Berlin 1988, p. 78, no.96.

27 Muḥammad Dānishpazhūh and Iraj Afshār, *Nuskhah-hā-yi Khaṭṭī, Naṣhriyah-yi Kitābkhānah-yi Markazī-yi Dānishgah*, Tehran 1346, p. 324, no. 12.

28 Thierno Diallo, *Catalogue des Manuscrits de l'IFAN*, Dakar 1966, p. 65.

29 Ibid., p. 44.

30 Jan Bauwens, *Manuscrits Arabes à la Bibliothèque Albert 1er*, 1968, p. 12, no. 20.

31 Voorhoeve, *Handlist*, p. 278.

32 A. Nauber, *Catalogue of the Hebrew Manuscripts in the Bodleian Library*, entry no. 2207; J. D. Pearson, 'Translation of the Qur'ān', vol. V, p. 431.

33 Nauber, entry no. 1221.

34 Hamidullah, Le *Coran*, p. XLV; Muḥammad Ṣāliḥ al-Bundaq, Al-*mustashriqūn wa tarjamat al-Qur'ān al-Karīm*, Beirut 1980, p. 162.

35 M. F. Deloncle, *Catalogue des Livres Orientaux et Autres Composant la Bibliothèque de Feu M. Garcin Tassy*, Paris 1879, p. 266, no. 2954.

36 Georges Vajda and Yvette Sauvan, 2ème partie, p. 44, no. 654; M. Le Baron de Slane, vol. I, p. 147, no. 654.

37 P. de Jong, M. J. de Goeje, and M. Th. Houtsma, *Catalogus Codicum Orientalium Bibliotheca Academiae Lugduno-Batavae*, 1851-87, vol. IV, no. 1696; Voorhoeve, *Handlist*, p. 353.

38 Voorhoeve, *Handlist*, p. 353.

39 Theodore G. T. Pigeaud, *Javanese and Balinese Manuscripts*, 1975, pp. 131–2, no.46.

40 De Jong, Goeje, and Houtsma, vol. IV, no. 2837.

41 Voorhoeve, *Handlist*, p. 278.

42 J. Gildemeister, *Catalogus Librorum Manuscriptorum Orientalium in Biblictheca Academica Bonnensi Servatorum*, Bonn 1864–76, p. 1, no. 1.

43 Otto Loth, A *Catalogue of the Arabic manuscripts in the Library of the India Office*, Osnabrück 1975, p. 303, no. 1048.

44 A. D. H. Bivar, 'A dated Kuran from Bornu', *Nigeria Magazine*, *65* (1960), p. 203; Mofakhkhar Hussain Khan, 'Translations of the Holy Qur'ān in the African Languages', *The Muslim World*, 77, nos. 3–4 (July–October 1987), pp. 250-8.

45 Hassan A. Ma'ayergi, 'History of the Works of Qur'anic Interpretation (Tafsir) in the Kurdish Language', *Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs*, vol. 7, no. 1 (1986), pp. 268–74.

46 Hamidullah, Le *Coran, p.* XLVIII.

47 Voorhoeve, *Handlist, p.* 227-78.

48 Dewan Bahasa dan Pustaka, *Katalog Manuskript di Perpustakaan Dewan Bahasa dan Pustaka*, Kuala Lumpur, 1983, p. 53.

49 Voorhoeve, *Handlist, p.* 353.

50 M. Le Baron de Slane, vol. I, p. 128–9.

51 Oliver Codrington, 'Catalogue of the Arabic, Persian, Hindustani and Turkish manuscripts in the Library of the Royal Asiatic Society', *Journal of the Royal Asiatic Society*, no. 3 (1982), pp. 509–69; H. N. van der Tuuk, *Short Account of the Malay Manuscripts belonging to the Royal Asiatic Society*, no. 79/IX, 1866, p. 127.

52 P. Voorhoeve, 'List of Malay manuscripts in the Library of the Royal Asiatic Society, London', *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (1963), p. 67.

53 Karl Vollers, *Katalog der Islamischen, Christlichorientalischen Handschriften der Universitäts Bibliothek zu Leipzig*, Leipzig 1906, p. 369, no. 1054.

54 Browne, *Hand-list, p.* 47, no. 255.

55 Dewan Bahasa . . ., p. 54.

56 E. G. Browne, A *supplementary hand-list of the Muḥammedan manuscripts, including all those written in the Arabic character, preserved in the libraries of the University and Colleges of Cambridge*, Cambridge 1922, p. 171, no. 1033.

57 *Sayyarah Digest*. . ., p. 503.

58 O. P. S. de Laugier de Beaureceuil, *Manuscrits d'Afghanistan*, Cairo 1964, p. 46, no.9.

59 Ibid., p. 265, no. 8.

60 Ibid., p. 265, no. 9.

61 J. F. Blumhardt, *Catalogue of Pushtu and Sindhi Manuscripts in the Library of the British Museum*, London 1905, pp. 1–3, no. 2/1.

62 Hamidullah, Le *Coran, p.* XLIX.

63 Ibid., p. XLIX.

64 Ibid., p. L.

65 C. Shackle, *Catalogue of the Panjabi and Sindhi Manuscripts in the India Office Library*, London 1977, p. 69, no. 85.

66 J. D. Pearson, O*riental Manuscripts in Europe and North America,* Switzerland 1971, p. 426.

67 Pearson, 'Translation of the Kur'ān', vol. V, p. 431.

68 J. W. T. Allen, T*he Swahili and Arabic Manuscripts and Tapes in the Library of University College Dar-as-Salaam*, a Catalogue, Leiden 1970, pp. 1–34.

69 Mbaye al-Hadji Rawane Mbaye-Babacar, 'Supplément au catalogue des manuscrits de l'IFAN', *Bulletin d'IFAN*, T. 37, ser. B, no. 4, 1937, p. 881.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر إلى الدكتور نجاة سفرجي أوغلي لمساعدته القيمة في إعداد هذا المقال، كما أشكر الدكتورة سميراميس جاووش أوغلي على قراءة الترجمة الإنجليزية للنص.

المخطوطات الثمينة في تاريخ مكة والمدينة

الشيخ حمد الجاسر

أهداف هذه المؤسسة المباركة من السعة تتلاءم مع ما يتصف به مؤسسها من غيرة تراث أمته، وحرص على صيانة هذا التراث، وسعي جاد لينتفع به ويستفاد منه، إذ بدون الانتفاع والاستفادة تنتفي الغاية المثلى المتوخاة في كل عمل من الأعمال، والتراث الإسلامي - كغيره من التراث لكل أمة من أمم العالم - فيه النافع الذي ينبغي أن يغالى فيه، ويسعى لحفظه وإحيائه، وفيه دون ذالك.

ولقد كان مما اختص الله به هذه الأمة الإسلامية أن تكفل بالحفظ والصيانة والبقاء الأبدي لكتاب ذالك الدين القويم (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الآية التاسعة من سورة «الحجر».

وكان أن هيأ من علماء هذه الأمة - منذ عهد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - من بذل أسمى الغايات وأعظمها بحمل عبء تبليغ شرائعه وسننه وجميع تعاليمه التي يقوم عليها كيانه، ويتضح بها نهجه، وتتم بأدائها والقيام بها كل مقوماته، حسبما فهموه من معاني الكتاب العزيز، أو عرفوه وتلقوه من سنن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قولا وعملا - مما حفظوه، وعلموه غيرهم، ونقلوه بمنتهى الصدق والأمانة لمن تلقاه بعدهم، ممن رأوه أهلا للتلقي لما يتصف به من سمو الأخلاق، ممن بذل الوسع في البحث والاستقصاء حتى كان أهلا للتلقي وحمل ذالك العلم، فكان أن دون بمؤلفات تناقلها من أهل كل عصر عدوله، حتى عهدنا الحاضر.

ثم اتجه العلماء ـ منذ عهد مبكر من عهود النشر والتحقيق ـ إلى هذا الجانب من تراثنا الإسلامي، وهو أولى الجوانب بالرعاية والاهتمام والعناية ـ فلم يغادروا مؤلفا في التفسير أو الحديث أو الفقه أو أصول الشريعة أو غير ذالك من المؤلفات، التي تعد أصولا ومصادر تستقى منها أحكام الشريعة وآداب الإسلام، أو يتوقف عليها فهم تلك الأصول من أمهات كتب اللغة وغيرها ـ إلا يسروا الاستفادة منه، وقربوا فهمه والانتفاع به، ونشر ذالك نشرا صحيحا بحيث أمكن القول بأن هذا التراث الذي به حفظ الله للأمة الإسلامية دينها، قد أصبح محفوظا مهيأ ميسرا لكل باحث ومستفيد.

ونوع آخر عميق الصلة بالتراث الديني، هو ما يتعلق بتاريخ الأمة الإسلامية نفسها، وما له صلة وارتباط بهذا التاريخ من حيث العناية بتحديد أمكنة نزول الوحي، ومواقع الغزوات النبوية، ومنها ما هو مذكور في القرآن الكريم، كـ «بدر» و «حنين» ومآثر المدينتين الطاهرتين، كمواضع شعائر الحج، والمساجد النبوية المأثورة، وغير ذالك مما يتوقف فهم كثير من النصوص الدينية على معرفته، وهو تراث ضخم، لا تزال دور الكتب تزخر بمخطوطاته، على قلة ما نشر منه.

فهل في مستطاع أي جهد يبذل من مؤسسة أو مجموعة مؤسسات، القيام بما يجب حيال جميع هذا الجانب من التراث من وسائل الحفظ والإحياء؟ أو ـ على الأقل وليس هذا قليلا ـ تهيئة وسائل الاستفادة منه لمن يتوخى ذالك من الباحثين؟

ولقد عنيت بعض الأقطار العربية بما لها صلة به من هذا الجانب من التراث فنشرت في مصر أمهات المؤلفات المتعلقة بتاريخ هذا القطرالكريم، كما نشرت مؤلفات عامة تاريخية وأدبية لا تختص بمصر، بل تشمل جميع الأقطار الإسلامية.

وقام المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي، وقد رسما في أهداف إنشائهما (إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون) مع الغايات الأخرى التي أنشىء المجمعان للعمل لتحقيقها، قام هذان المجمعان فسارا على طريقة حققت بعض الغايات التي تتناسب مع ما لهما من إمكانات، وذالك بنشر أهم ما يتعلق بقطريهما ـ الشام والعراق ـ من مؤلفات، بدون الاقتصار على تلك المؤلفات، بل كان لما لذينك للمجمعين من صلة به من التراث العربي نصيبه بالإحياء، نشرا أومساعدة على التحقيق بمختلف الوسائل.

واليمن مع ضعف إمكاناته الاقتصادية أولى هذا الجانب من التراث عناية واهتماما برز أثرهما في عشرات المؤلفات التي صدرت في الآونة الأخيرة عن ذالك القطر محققة أو مصورة، فيسرت للباحثين الاستفادة منها والانتفاع بها.

أما هذا القطر الذي أكرمه الله بأسمى مزية فبعث منه أشرف الأنبياء واختارأهله لحمل رسالة ذالك النبي الكريم، وتبليغها للعالم، رسالة العلم والعدل والإصلاح، وخص مدينتيه الطاهرتين بما لم يخص به مدينة على ظهر البسيطة، من حيث الإجلال والقداسة فجعلها مهوى الأفئدة، ومقصد طلاب الرحمة والمغفرة، ووجهة القانتين من عباده في أي قطر من أقطار هذه البسيطة. ومن هنا كان لما يتعلق بهما من التراث المنزلة السامية في نفوس المسلمين.

ولقد كان لعناية الدولة السعودية الكريمة بنشر التراث الإسلامي بصفة عامة اليد الطولى منذ أن وحد البلاد سنة ١٣٤٣ الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حتى أنشئت الجامعات في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ـ أعزه الله وسدد على دروب الخير والإصلاح خطاه ـ فقد أولى تلك الجامعات من رعايته واهتمامه ما مكنها من أن تؤتي ثمارها الطيبة بتخريج عدد من أبناء البلاد المتخصصين بمختلف فروع المعرفة فكان للتراث الإسلامي نصيبه من العمل للاستفادة منه، وذالك بنشر كثيرمن المؤلفات القيمة.

ولجامعة أم القرى جهد مشكور في الاتجاه إلى ما يتعلق بتاريخ مكة المكرمة من الكتب، فقد شرعت في نشر طائفة منها من أهمها مؤلفات آل فهد: عمر بن محمد بن محمد (٨١٢ ـ ٨٨٥هـ) ومؤلفه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» في أربعة مجلدات، وعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد (٨٥٠-٩٢٢هـ) وكتابه «غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» صدر منه مجلدان.

ويؤمل أن تلك الجامعة الكريمة تستمر في عملها واتجاهها لنشر ما تستطيع نشره مما يتعلق بتاريخ أم القرى، إذ هي أولى من يتولى هذا الأمر من غيرها.

ولبعض العلماء والوجهاء من أهل مكة جهود مشكورة في هذا المجال ولعل من أقدمهم في عصرنا الحاضر الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي (١٢٨٦-١٣٥٥هـ) الذي حرص على جمع ما تمكن من جمعه من المؤلفات المتعلقة بتاريخ أم القرى، شراءا ونسخا، حتي كون من ذالك مكتبة خاصة ضمت بعد وفاته إلى مكتبة الحرم المكي.

وللشيخ محمد سرور الصبان (١٣١٦-١٣٩٢هـ) - رحمه الله - يد مشكورة في محاولة نشر بعض المؤلفات، ومن أهمها كتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (٧٧٥-٨٣٢هـ) كما ساعد على نشر كتابه الثاني «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»، فصدر في مجلدين.

وقبل نشرهما كان بتوجيهه ومساعدته وراء نشر«أخبار مكة»للأزرقي، بتحقيق السيد رشدي ملحس (١٣١٧-١٣٧٨هـ) ويعد هذا الكتاب مع «أخبار مكة» للفاكهي أقدم المؤلفات المعروفة في تاريخ مكة وأجلها، فمؤلفاهما - من أهل القرن الثالث الهجري - وقد دونا تاريخها منذ العهد الجاهلي إلي عصرهما، وقد حقق كتاب الفاكهي الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش تحقيقا علميا، ونشر القسم الموجود منه وهو يوازي نصف أصل الكتاب.

وعلى ذكر كتاب الأزرقي، فلعل مما يستدعي العجب، ويثير الاستغراب أن يكون بين علماء الغرب من سبق إلى نشر أهم المؤلفات المتعلقة بتاريخ مكة وهو المستشرق الألماني هنري فرديننــد وستنفلد H.F.Wustenfeld (١٢٢٣-١٣١٧هـ) فقد نشر قبل ٢٠٠ عام مجموعا يحوي تواريخ مكة للأزرقي والفاكهي والفاسي وابن ظهيرة والقطبي في عدة مجلدات.

وطرفة أخرى تستدعي العجب هي أنني حين وقعت في يدي مصورة كتاب الفاكهي قبل نشره سنة ١٣٧٩هـ، ووصفته في مجلة «العرب» [1] رأيت مؤلفه قد صور الكتابة التي فوق مقام إبراهيم، وحاول فك رموزها بعرضها على علماء زمنه، فرأيت أن أتثبت من صحة ما وصل إليه في ذالك، فنشرت ما ذكر مع صورة الكتابة في مجلة «العرب» [2] وبعثت بنسخ من المجلة لبعض المعنيين بشؤون الآثار في بلادنا وطلبت منهم إفادتي بما لديهم حول ما ورد في ذالك الكتاب، فلم أتلق من واحد منهم جوابا.

ثم فوجئت برسالة مطبوعة تتعلق بتلك الكتابة لأحد كبار المستشرقين وهو الأستاذ كستر M.J.Kister عالج فيها قراءة تلك الكتابة وأيد بعض ما ذكر الفاكهي وهي بعنوان «مقام إبراهيم» Maqam Ibrahim A Stone with an Inscription[3]

ومما نشر من المؤلفات المتعلقة بمكة كتاب «القرى لقاصد أم القرى» للحافظ أحمد بن عبد الله الطبري المكي (٦١٦-٦٧٤هـ) قام بنشره الشيخ عباس يوسف قطان (١٣١٣-١٣٧٠هـ)رحمه الله، ومن ميزات هذا الكتاب أن مؤلفه يعد من علماء الحديث، ولهذا جمع في كتابه ما وسعه جمعه من الأحاديث النبوية المتعلقة بمكة ومشاعرها المقدسة وشؤون الحج وغيرها مما له صلة بتلك المباحث.

ونشر بعض وجهاء مكة كتاب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» ومؤلفه هو قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي (٩١٧-٩٩٠هـ) ومختصره لابن أخيه عبد الكريم بن حبيب الله النهروالي (٩٦١-١٠١٤هـ).

كما نشرت مؤلفات أخرى، ولكن باستثناء كتابي الأزرقي والفاكهي، فطريقة نشر تلك المؤلفات لا تهيئ للباحث الاستفادة منها بيسر وسهولة، إذ هي خالية من الفهارس التي توفر له الوقت وتقرب له المقصد.

ولهذه البلدة الكريمة ـ ولمنزلتها السامية في نفوس المسلمين عامة، ولاهتمام علمائهم بتاريخها، ولإنجابها طائفة من العلماء الأحفياء البررة بها ـ ذخيرة طيبة من المؤلفات التاريخية، غيرما يتعلق منها بالأمور الدينية، مما زخرت به جميع أمهات كتب التفسير والحديث والفقه وغيره من مختلف العلوم، وقد نشأ في مكة أسر توارثت العلم، ووجهت اهتمامها إلى كل ما له صلة بهذه البلدة.

ومن أشهر الأسر العلمية آل الطبري ومن أوائل من عني منهم بتاريخ مكة محب الدين صاحب كتاب «القرى» وتقدم ذكره.

وعبد القادر بن يحيى الطبرى (٩٧٦-١٠٣٣هـ) ومن مؤلفاته «نشأة السلافة في منشآت الخلافة» خصص القسم الأخير منه لولاة مكة من الشريف قتادة بن إدريس سنة (٦٠٠هـ) حتى عهد حسن بن أبي نمي سنة (١٠٠٩هـ) وألحق به ذيلا يحتوي على ترجمة أبي طالب بن حسن بن أبي نمي المتوفى سنة (١٠١٢هـ).

وعلي بن عبد القادر بن يحيى الطبري المتوفى سنة (١٠٧٠هـ) وله من المؤلفات «الأرج المسكي في التاريخ المكي» و«تحفة الكرام بأخبار عمارة السقف والباب لبيت الله الحرام».

ومنهم محمد بن علي الطبري (١١٠٠-١١٧٣هـ) ومن مؤلفاته «إتحاف فضلاء الزمن، بتاريخ ولاية بني الحسن» عرض فيه تاريخ ولاة مكة من القرن السابع الهجري إلى سنة ١١٤١هـ وكتابه لا يزال مخطوطا، كمؤلفات من قبله من الطبريين.

وأسرة آل فهد التي برز منها عدد من مشاهير العلماء في علم الحديث، ترسموا خطى شيخهم مؤرخ مكة محمد بن أحمد الفاسي المكي، في الاتجاه للاهتمام بتاريخ هذه البلدة الطيبة، وأولوا ما يتعلق بها وما حولها من المواضع عناية فائقة بإبراز مآثرها وأخبارها وهو ما سأذكره من آثارهم.

منهم محمد بن محمد بن فهد (٧٨٧-٨٧١هـ) تقي الدين، وهو من مشاهير المحدثين وله مؤلفات في الحديث ورجاله، ومن مؤلفاته المتعلقة بمكة «بشرى الورى فيما ورد في حراء» و «الإبانة فيما ورد في الجعرانة» و«اقتطاف النور مما ورد في ثور». [٤]

وعمربن محمد بن محمد بن فهد (٨١٢-٨٨٥هـ) نجم الدين، ومن مؤلفاته «إتحاف الورى، بأخبار أم القرى» و «الدرالكمين بذيل العقد الثمين» و «معجم الشيوخ» يحوي تراجم علماء مكة وعالماتها في القرن التاسع الهجري، و«التبيين في تراجم الطبريين» و«تذكرة الناسي بأولاد أبي عبد الله الفاسي» و «السر الظهيري بأولاد أحمد النويري». والكتب الثلاثة الأخيرة عن أسر علمية كانت في مكة.

وعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد (٨٥٠-٩٢٢هـ) عزالدين، وله من المؤلفات «بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى» و«غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» ويترجم فيه لمشاهير علماء مكة وأعيانها.

ومحمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد (٨٩١-٩٥٤هـ) جار الله، ومن مؤلفاته «الاتعاظ بما ورد في سوق عكاظ»[٥] و «التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة» و«تحفة اللطائف في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف» و «حسن القرى في ذكر أودية أم القرى»[٦] وذيل على كتاب والده عبد العزيز «بلوغ القرى» نقل عنه الجزيري في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة»[٧] في حوادث سنة ٩٢٣ وسنة ٩٤٥، و«السلاح والعدة في فضائل بندر جدة» و«نشر اللطائف في قطر الطائف».

وتتصل حلقات السلسلة التاريخية من حيث وقف آخر آل فهد في القرن العاشر الهجري، تتصل بمؤلفات القطبي وابن ظهيرة وآل الطبري والأسدي والعصامي والسنجاري وابن عبد الشكور والصباغ ودحلان والشيبي والغازي ثم السباعي[٨]، ممن لا أطيل بذكرهم، غير أن مما ينبغي إدراكه أن عمل أولئك الأجلة من العلماء على جلالة قدره، وعظم نفعه، وعدم الاستغناء عنه، ما هو سوى متممات وإضافات لما أشاد بنيانه وأسس قواعده، مؤرخ البلدة الطيبة، وشيخ مؤرخيها بحق محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (٧٧٥-٨٣٢هـ) الذي أفرغ جهده بالبحث والاستقصاء، وأجهد نفسه في التنقيب وتتبع الآثار حتى أعد أنفس ذخيرة وأجلها تحوي خلاصة ما اطلع عليه في كتب

المتقدمين طيلة سبعة قرون من عهد الأزرقي أقدم من عرف من مؤرخي مكة إلى أول القرن التاسع الهجري، وما كان في ذالك جامعا فحسب، بل كان يضيف إلى كل ما جمع ورتب وهذب، ما لا يكمل إلا بإضافته وهو ما توصل إليه من دراسة قائمة على المشاهدة والتتبع، وزيارة الأمكنة لاستقراء آثارها المنقوشة في الرخام والأشجار والأخشاب(٩) ومطابقة مشاهداته على ما في المصادر التي نقل عنها، ولمعرفة ما يتصل بالمشاعر والأماكن المباركة مما يتعلق بتحديد المسافات بينها معرفة مقرونة بالمطابقة بالعمل، بحيث اتخذ من اطلاعه على تلك الآثار وسيلة لإدراك الحقيقة، وقد قام بتدوين ما ألف على مراحل، كانت خاتمتها وخلاصتها مؤلفيه الجليلين «شفاء الغرام» و «العقد الثمين» وليس ما عداهما من مؤلفاته المتعلقة بتاريخ مكة مما لا يزال مخطوطا عديم الفائدة (١٠). وأكتفي بهذه اللمحة الموجزة عن مؤرخي مكة.

أما طيبة الطيبة فقد عني العلماء بتاريخها في وقت متقدم، فكان من أول من تصدى للتأليف عنها محمد بن الحسن بن زبالة، الذي ألف كتابه سنة ١٩٩هـ، على ما ذكر السيد السمهودي في «وفاء الوفاء»(١١) وعنه أخذ عالمان من علماء المدينة ومؤرخيها هما الزبير بن بكار (١٧٢-٢٥٦هـ) ويحيى بن الحسن الحسيني المدني (٢١٤-٢٧٧هـ).

وقد وصل إلى السمهودي كتابا ابن زبالة ويحيى، كما استفاد من مؤلفات الزبير عن عقيق المدينة وغيره.

ولعل أقدم كتاب في تاريخ المدينة عرف حتى الآن هو كتاب «أخبار المدينة» لعمر بن شبة النميري (١٧٣-٢٦٢هـ) الذي نشرالسيد حبيب محمود أحمد، القسم الموجود منه نشرا ليس محققا (١٢).

ولابن النجار والمطري وابن عساكر وابن فرحون والأقشهري والمراغي والفيروزآبادي والمرجاني (١٣)وقبلهم ابن زبالة والسيد يحيى بن الحسن الحسيني وابن شبة وغيرهم مؤلفات في تاريخ طيبة، طبع بعضها، ولكن مؤرخ المدينة بل أعظم مؤرخيها على الإطلاق، السيد علي بن عبد الله السمهودي (٨٤٤-٩١١هـ) لخص ما في هذه المؤلفات، وأضاف إليها ما مكنه اطلاعه الواسع في مختلف العلوم، واتجه لتدوين تاريخ هذه البلدة الكريمة وعانى ذالك فترة طويلة من الزمن، ومع ما حدث له من نكبات كان من أشدها تأثيرا في نفسه احتراق كتبه، ومن بينها أول مؤلفاته وأوفاها (١٤)، ولكن هذا لم يهن عزمه، ولم يصرفه عن الغاية التي توخاها، بل أغذ السير لتحقيقها حتى بلغ ذالك من منزلة لم يبلغها من قبله وقد لا يلحقه من بعده، لكونه شاهد أشياء

زالت، وسجل معلومات من مصادر جهلت، ولو لم يقم بذالك لفقد الباحثون في تاريخ المدينة كثيرا من أصوله.

ولئن كان حريق المسجد النبوي عام ٨٨٦هـ أتى على كتبه ومن بينها «اقتضاء الوفاء بأخبار دار المصطفى»[١٥] الذي يبدو أنه أوفى مؤلفاته، فإن فيما بقي من علمه الغزير في مختصري ذالك الكتاب سداد من عوز، بل فيهما خلاصة ما في مؤلفات من قبله، مما اطلع عليه، مضافا إليه ما دونه من مشاهداته وتحقيقه، هذان المختصران هما «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» و «خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى» وله مؤلف لطيف دعاه «الوفا، بما يجب لحضرة المصطفى» ذو صلة بالموضوع،[١٦] وهناك مؤلفات أخرى بعد السمهودي كثيرة ولكن (هل يدرك الضالع شأو الضليع)؟

هذا عرض موجز لذكر أشهر من عرفت من مؤرخي المدينتين الطاهرتين، والإشارة إلى بعض مؤلفاتهم، لم أحاول فيه الاستقصاء فهذا يتطلب وضع فهارس مستوفية لذالك ولكن المناسبة الطيبة مناسبة افتتاح هذه المؤسسة المباركة (مؤسسة الفرقان) كانت الباعث لعرضه، ولعل فيه ما يحفز المؤسس الكريم وهو ابن مكة البار وإخوانه وما أعرف من بينهم إلا الغيورالصادق في حبه وولائه لمهبط الوحي وموطن أكرم الخلق للاتجاه أولا للعناية بهذا الجانب من التراث الإسلامي الذي هو أولى الجوانب بالعناية والرعاية والتقديم، لكرامة ما يتصل به، ولما له من قدسية وإجلال وسمو منزلة في نفوس جميع المسلمين.

والله المسؤول أن يسدد خطى العاملين في سبيل الخير والصلاح، وأن يمدهم بالعون والتوفيق في جميع أعمالهم.

الحواشــي

(١) س ٨ ص ٨٠١

(٢) س ٩ ص ٢٠٩

(٣) نشرت في (لوفانا) سنة ١٩٧١م

(٤) ذكر السخاوي في «الضوء اللامع» أنه قرأها على مؤلفها في المواضع المذكورة.

(٥) نشر في مجلة «العرب» س ٢٦ ص ٦١١

(٦) نشر في مجلة «العرب» س ١٨ ص١ و ١٨٧

(٧) نشرته دار اليمامة في ثلاثة مجلدات ضخام سنة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م) في ٢٣١٣ صفحة.

(٨) القطبي تقدم ذكره، وابن ظهيرة له كتاب «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» مطبوع، وآل الطبري تقدم ذكر مؤلفاتهم وكلها لا تزال مخطوطة، والأسدي: محمد بن أحمد المتوفى سنة (١٠٧٠ هـ) طبع كتابه في الهند ومنه نسخة في التيمورية وفي دار الكتب المصرية والعصامي: عبد الملك بن حسين (١٠٤٩/١١١١هـ) طبع كتابه «سمط النجوم العوالي» في أربعة أجزاء والسنجاري: علي السنجاري المكي المتوفى سنة (١١٢٥هـ) وكتابه مخطوط في مكتبة عبد الستار الدهلوي التي أضيفت لمكتبة الحرم والمكتبة الماجدية، وابن عبد الشكور، انظر عنه وعن كتابه مجلة «العرب» س١٠ ص١ ٨٠، والصباغ: محمد بن أحمد الصباغ المتوفى سنة (١٣١١هـ) مسودته في دار الكتب المصرية ومنه نسخة في مكتبة الشيخ عبد الستار، ودحلان السيد أحمد زيني دحلان (١٢٣١/١٣٠٤) وكتابه مطبوع، والشيبي: محمد صالح الشيبي ومؤلفه «إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام» في مكتبة عبد الستار، وذيله «الإتمام» لحسن الشيبي (١٣٤٣هـ) في المكتبة المذكورة، والغازي: عبد الله الغازي الهندي ثم المكي المتوفى سنة (١٣٦٥هـ) ومؤلفه «إفادة الأنام بأخبار بلد الله الحرام» موجود في مكتبة مكة، والسباعي: أحمد بن محمد مؤلف «تاريخ مكة» والأديب المعروف الذي توفي قبل بضع سنوات.

(٩) «شفاء الغرام» ٢/١.

(١٠) ومنها «تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام» في مكتبة شيخ الإسلام في المدينة ومنه نسخة في باريس، ومصور في معهد المخطوطات في القاهرة، و«تحصيل المرام في تاريخ البلد الحرام» في مكتبة الشيخ عبد الستار المضافة لمكتبة الحرم، وفي مكتبات برلين وباريس والموصل، و«عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى» في مكتبة رامبور في الهند.

(١١) ٣٥٢/١ ـ الطبعة الأولى.

(١٢) انظر لتصحيح ما وقع في مطبوعة هذا الكتاب مجلة «العرب» السنة العشرين: ٣٧٢ و٤٥٧ و ٦٨٣.

(١٣) ابن النجار محمد بن محمود المتوفى سنة (٦٤٣) وكتابه «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» وهو مختصر ومطبوع، ومؤلف المطري «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» وهو مطبوع والمطري هو: محمد بن أحمد (٦٧٦-٧٤١هـ)، وابن عساكر: عبد الصمد بن عبد الوهاب (٦١٤-٦٨٦هـ) ومؤلفة «إتحاف الزائر وإطراف المقيم والسائر» (مخطوط)، وابن فرحون هو علي بن محمد (٦٩٨-٧٤٦هـ) ومؤلفه «نصيحة المشاور وتسلية المجاور» (مخطوط)، والآقشهري: محمد بن أحمد المتوفى سنة (٧٩٦هـ) وكتابه «الروضة الفردوسية في من دفن في البقيع» (مخطوط) وانظر وصفه مجلة «العرب» س٢٥ ص٧٤٧، والمراغي: أبو بكر بن الحسين المتوفى سنة (٨١٦هـ) ومؤلفه مطبوع وهو «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» والفيروزآبادي: محمد بن يعقوب (٧٢٩-٨١٧هـ) وكتابه لا يزال مخطوطا سوى القسم الجغرافي منه، وقد قمت بنشره سنة ١٣٨٩، والمرجاني: محمد بن أبي بكر بن علي وكتابه «بهجة الأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار» (مخطوط) في إستانبول وفي مكتبة الشيخ عبد الستار نسخة ناقصة.

(١٤) عما حدث له من لوعة وحزن من جراء ذالك، أنظر «وفاء الوفاء» ٦٣٥ الطبعة الثانية.

(١٥) في مطبوعة «وفاء الوفاء» الصفحة الأولى: «اقتفاء الوفاء» ولكن السخاوي سماه «اقتضاء الوفاء» ـ في «الإعلان بالتوبيخ» وفي «خلاصة الوفاء» ـ ٩ ـ (الوفا).

(١٦) وقد طبع الكتابان بدون تحقيق ولا وضع فهارس مفصلة أما الثالث فقد نشرته سنة ١٣٩٢ في مجموع «رسائل في تاريخ المدينة» نشرا يعوزه التحقيق.

بعض الملاحظات
عن المخطوطات والآلات العلمية
في التراث الإسلامي:
بحوث الماضي، والحاضر، والمستقبل

ديفيد كنج

ملاحظات تمهيدية

يقدر عدد المخطوطات العلمية باللغات العربية والفارسية والتركية بحوالي عشرة آلاف مخطوط، وإلى جانب ذلك توجد الآلات الفلكية التي تبلغ حوالي ألف آلة. وتشكل هذه المخطوطات والآلات المصادر الرئيسية لمعرفتنا عن الرياضيات والفلك في الحضارة الإسلامية. ويرجع تاريخ معظم هذه المخطوطات والآلات إلى الفترات التي أعقبت أكبر عصر إبداعي في تاريخ العلوم الإسلامية وهو العصر الذي يشمل الفترة من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر. غير أن بعض المخطوطات اللاحقة قد احتفظت لنا أيضا بأعمال مبكرة كان يمكن أن تضيع لولا وجود هذه المخطوطات، كما تتسم بعض الآلات التي يرجع تاريخها لفترات لاحقة بخصائص أو سمات ليست معروفة لنا إلا من خلال النصوص المبكرة.

ويمكن تلخيص الترتيبات المثالية لتوثيق تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية كما يلي: تتم فهرسة المخطوطات والآلات في عرض عام للببليوجرافيا والتراجم، وبعد ذلك يمكن إجراء دراسات مفصلة تتناول أعمالا معينة أو موضوعات فردية تنطوي على أهمية بالغة. وعلى هذا النحو فإن معرفتنا تحقق التقدم المطلوب على أساس سليم وبشكل معقول أو في حدود ما يمكن أن يكون

أساسا سليما وذلك بافتراض أن كثيرا من الأعمال الكبرى قد فقدت ولا أثر لوجودها الآن. وحتى مع افتراض هذا الوضع الأمثل فإن ما نأمل في استعادته من تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية لا يزال يتوقف على عامل الصدفة إلى حد كبير.

وغني عن الذكر أن الوضع الفعلي يختلف عن ذلك الوضع الأمثل تمام الاختلاف. فأولا لا تزال فهرسة المخطوطات العلمية الإسلامية في حالة متردية وسيئة وتتطلب التحسين. وفي حين أن بعض المجموعات الغربية الكبرى قد تمت فهرستها بالدقة المطلوبة فإن هذه الفهارس غالبا ما قام بإعدادها علماء إسلاميات غير متخصصين في العلوم الإسلامية. فالمكتبة السليمانية في إستانبول - وهي تضم أكبر مجموعات المخطوطات في العالم الإسلامي من حيث الحجم والتنوع - لا يوجد لها حتى الآن أي فهرس (كاتالوج) على الإطلاق (راجع قائمة ماكس كراوزه أدناه). كذلك لا يوجد فهرس لأكبر مجموعة للآلات العلمية الإسلامية وهي المجموعة التي يضمها "متحف تاريخ العلوم" في أكسفورد. أضف إلى ذلك أن المنشور من النصوص الرئيسية غير محقق بالمستوى المطلوب - وبعضها غير منشور على الإطلاق. وهذا حقيقي أيضا بالنسبة إلى أهم الآلات العلمية الإسلامية. ولذلك فإن نشاطنا الحالي لا يعدو أن يكون مسألة عشوائية نوعا ما بمعنى أنه يقوم على الصدفة أو المفاجأة.

وفي العرض الموجز التالي لتاريخ التعرف بالنصوص المتعلقة بالعلوم الإسلامية (في الرياضيات والفلك أساسا) فإني لن أذكر سوى أسماء قليلة، وهذا يعني بالضرورة إغفال كثير من العلماء الذين يستحقون إدراجهم في العرض. غير أنه ينبغي ألا نتجاهل أسماء العلماء الذين ندين لهم بأعظم التقدير والوفاء حتى في أكثر الدراسات أو العروض إيجازا، ومن هذه الأسماء جاكوب جوليوسJacob Golius الذي ندين له بجمع المخطوطات، وفلهيلم آلواردتWilhelm Ahlwardtو دي سلين de Slane اللذان ندين لهما بفهرسة المخطوطات ، وفرانز فوبكه Franz Woepcke وهاينريش زوتر Heinrich Suter اللذان ندين لهما بتحليل المخطوطات، ولويس إيفانز Lewis Evans الذي أبدأ أعظم مجموعة في العالم للآلات العلمية الإسلامية (وغيرها) في أكسفورد. وفي هذا العرض لن أتناول بطريقة منهجية أو منظمة الأعمال اليونانية المترجمة إلى اللغة العربية أو الأعمال العربية التي لا يتوافر وجودها إلا في الترجمة العبرية واللاتينية أو اليونانية. كما أنني لن أتناول علمي الجغرافيا والتنجيم بشكل منتظم. وسيجد الزملاء أنني قد تجاهلت مجالات مختلفة حتى في علمي الرياضيات والفلك، وكذلك مؤلفات

هامة عن هذين الموضوعين تم تأليفها في العصور الوسطى. وباختصار فلعل الملاحظات التالية إنما تعكس اهتماماتي الخاصة.

العلم الشعبي والعلم الرياضي

ظهر تقليدان مختلفان في مباشرة العلوم الإسلامية، ولم يحدث أي تفاعل بين هذين التقليدين إلا نادرا. وقد كرس الفقهاء أنفسهم للنوع الأول وكان سندهم في ذلك هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما قام هؤلاء الفقهاء بتنظيم الأمور المتعلقة بالتقويم وأوقات الصلاة واتجاه الكعبة التي هي قبلة المسلمين في أداء الصلاة. أما النوع الثاني من التقاليد فقد كرس العلماء المسلمون أنفسهم لمتطلباته وكانوا يحبذون اتباع الإجراءات والمناهج الرياضية التي غالبا ما كانت بالغة التعقيد لتحقيق نفس أهداف الفقهاء. وبالضرورة كانت النتائج التي توصلوا إليها نتائج مختلفة. وقد نشر كاتب هذه السطور عدة مقالات تتناول هذين النوعين من التقاليد وما يسفر عنه هذان المنهجان المختلفان في علم ضبط الوقت الشائع وكذلك في توجهات فنون العمارة الإسلامية وتخطيط المدن. وقد قام الفقهاء بتطوير نظام أو نسق "كوزمولوجي" ديني، درسه مؤخرا أنطون هاينين Anton Heinen واختلف هذا النسق تماما عن النسق الكوني الذي قدمه العلماء الذين تأثروا بالتقاليد اليونانية. والأنظمة الكونية الإسلامية العلمية قام بدراستها أساسا الدكتور سيد حسين نصر، كما استعرض هذه التقاليد الباحث إي ياخيموفتز E Jachimowicz.

العروض العامة للببليوجرافيا والتراجم

ونواصل الآن عرض الدراسات التي تتناول الببليوجرافيا والتراجم. ففي نهاية القرن الماضي قام هاينريش زوتر Heinrich Suter بترجمة جزء من "فهرست" ابن النديم الذي يتناول العلماء وأعمالهم. كما ترجم زوتر أيضا الأجزاء التي تتناول المخطوطات العلمية في فهرس المكتبةالخديوية بالقاهرة - وكان جديدا حينذاك. وقد ألهمه هذا النشاط أن يقوم بتأليف عرض عام للببليوجرافيا والتراجم لحوالي خمسمائة عالم مسلم وأعمالهم، ولا يزال هذا العرض مصدرا رئيسيا للدراسات الحديثة. أما ماكس كراوزه Krause فقام بتسجيل قائمة المؤلفات الإسلامية المبكرة التي تتناول الفلك والرياضيات في مكتبات إستانبول وبذلك قدم ملحقا بالغ الفائدة لإكمال إنجاز زوتر. وقد حقق

رينو Renaud نفس الشيء بالنسبة لمكتبات الرباط. أما كارل بروكلمان Carl Brockelmann فقد أدرج العلوم الإسلامية في دراسته المستفيضة عن الأدب العربي ولم يكن تحت تصرفه حينذاك سوى العرض العام غير الكامل الذي كان كراوزه قد قام به لمجموعات إستنانبول الفنية. وقد قام تشارلز أ ستوري Storey بنفس العمل بالنسبة للأدب الفارسي. وأعاد فؤاد سيزكين صياغة بروكلمان لتغطية الفترة التي تصل إلى العام أربعمائة وثلاثين هجرية، وقد خصص سيزكين ثلاثة مجلدات فاخرة للرياضيات والفلك (العلمي) والفلك الشعبي إلى جانب التنجيم وعلم الأرصاد الجوية. وفيما يختص بالجانب الكبير من هذه المادة الجديدة فإن سيزكين اعتمد إلى حد كبير على المجموعات الموجودة في كل من تركيا وإيران، حيث قام بزيارة هاتين الدولتين لهذا الغرض. وهذه هي الطريقة الوحيدة المضمونة لجمع المعلومات. وتعكس المجلدات التي تحمل اسم سيزكين عناصر هذا الإسهام الشخصي. لقد قام كل من زوتر وبروكلمان بجمع وتأليف مؤلفاتهما في مكتبتيهما الخاصتين. أما مجلدات سيزكين فإنها تعتبر في الوقت الحاضر نقطة الانطلاق لأية دراسة جادة للمؤلفات العلمية الإسلامية. فالدراسة التي أنجزها مؤخرا بوريس روزنفلد Boris A Rosenfeld وجالينا ماتفيفسكايا Galina Matvievskaya مثلا والتي تستعرض الفترة من عام سبعمائة إلى عام ألف وسبعمائة (ميلادية)، مبنية على كل هذه الدراسات السابقة. وتساهم هذه الدراسة بتقديم معلومات جديدة حيث يزيد عدد الرياضيين والفلكيين المسلمين الوارد ذكرهم في هذه الدراسة عن ألف عالم مسلم مختص بعلمي الرياضيات والفلك. أما فيما يتعلق بالفترة المتأخرة للفلك الإسلامي (القرن الثالث عشر وما بعده) فإن الفهرس الذي وضعه كاتب هذه السطور للألفين وخمسمائة مخطوطة علمية الموجودة في دار الكتب المصرية والعرض الببليوجرافي وتراجم المؤلفين اللذان قمت بوضعهما على أساس هذا الفهرس، يقدمون معلومات كثيرة وجديدة. وإلى جانب ذلك قمت بتوثيق أكثر من مائة مخطوطة يمنية تتناول الفلك والرياضيات.

وبالنسبة للآلات الفلكية فلدينا المؤلف الكبير بقلم روبرت تي جنثر Robert T Gunther بعنوان «العلوم المبكرة بأكسفورد» - المجلد الثاني، وكتابه الآخر بعنوان «أسطرلابات العالم»، وكلاهما يعبر عن آراء قديمة وللأسف لم يتم تحديثهما أو تصحيحهما منذ ستين عاما. ولم يكن جنثر متخصصا في اللغةالعربية وآدابها كما أنه لم يلق النصح والإرشاد اللازمين من علماء اللغة العربية في أكسفورد. أما الدراسة التي قام بها ل أ ماير Mayer لاستعراض

ببليوجرافيا وتراجم صانعي الآلات المسلمين فهي تقوم على أساس أفضل وأسلم، وقد تم الآن تحديث وتوسيع هذه الدراسة في الفهرست المعروف باسم "ريبيرتوار" Répertoire تأليف ألن بريو Alain Brieux وفرانسيس ماديسون Francis Maddison وقد طال انتظار هذا العمل الذي سيظهر قريبا. ومن المتوقع أن يثير هذا الفهرست (ريبيرتوار) إلى جانب الفهرست الذي أقوم بوضعه والذي سيظهر قريبا ويتناول كل الآلات الإسلامية الهامة من الناحية التأريخية - من المتوقع أن يثير الفهرسان الاهتمام في ميدان هام ظل مهملا فترة طويلة. وفي عام ١٩٨٥ قامت إيميلي سافيج سميث Emilie Savage Smith بنشر قائمة لحوالي مائة وثلاثين كرة فلكية إسلامية. إن كل آلة من الآلات تساهم بتقديم جزء يساعد على رسم الصورة العامة، ومعظم الدراسات السابقة للآلات الإسلامية مجرد محاولات تصيب حينا وتخطئ حينا آخر. وكان المؤلفون يفرضون على أنفسهم شرح ما هو الأسطرلاب قبل الشروع في وصف آلة معينة فأدى هذا بالضرورة إلى إغفال السمات أو المميزات التي نعتبرها الآن أساسية كالأبعاد والنقوش وعلامات الصناعة ودقة العلامات وأسماء النجوم وما شابه ذلك. والواقع أنه لا بديل عن كاتالوج أو فهرست يضم كل هذه السمات والمميزات.

طبعات النصوص العلمية المبنية على الأصول

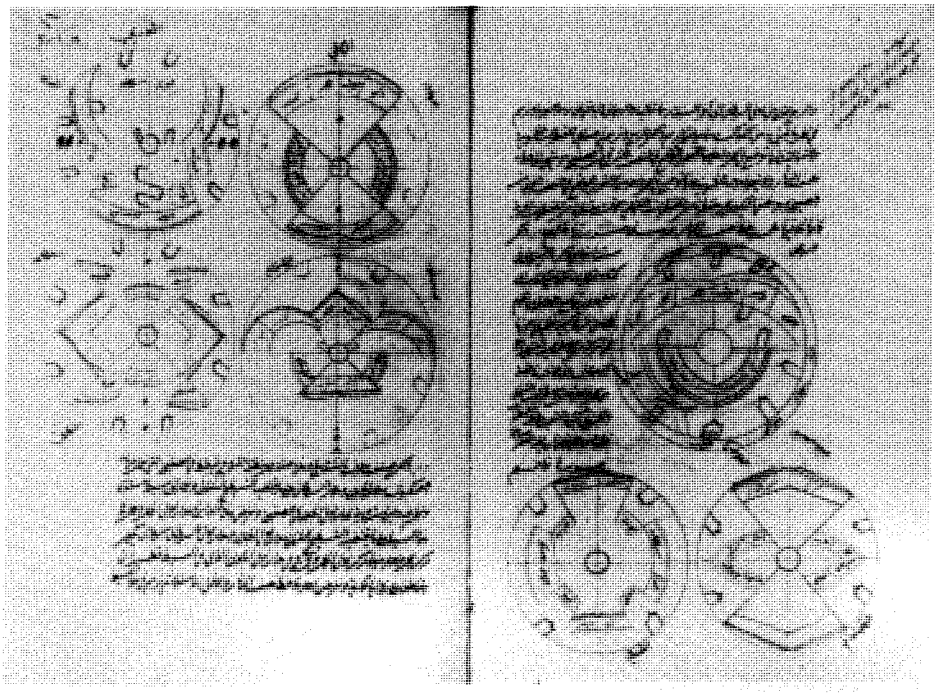
إن الطريقة المثلى لتناول النصوص هي إصدار طبعة محققة مبنية على الأصول وذلك باستخدام كل المخطوطات المتوافرة، أوإصدار صورة طبق الأصل في حالة وجود مخطوط فريد - ومطلوب أيضا ترجمة النص إلى لغة أوروبية وكتابة تعليق مبني على الفهم الحالي للموضوع. والواقع أن عدد العلماء الذين ساهموا في موضوعنا على هذا النحو يعتبر محدودا ولكن الناتج الإجمالي لإنجازاتهم ناتجا هاما طيبا. لقد بدأت الدراسة الجادة لعلم الفلك الإسلامي والرياضيات الإسلامية - من قبل الباحثين الذين يستطيعون قراءة النصوص الأصلية - بالعالم جاكوب جوليوس Golius في القرن السابع عشر في هولنده، حيث نشرت في أمستردام عام ١٦٦٩م الطبعة التي حققها هذا العالم للنص العربي لتلخيص الفرغاني (بغداد حوالي ٨٢٥م) للنظرية البطليموسية في الفلك مع ترجمة لاتينية وتعليق جزئي. والواقع أنه كان قد سبق ونشر في روما في عام ١٥٩٤م النص العربي لتحرير كتاب «الأصول» لإقليدس وهو النص المنقح المنسوب للعالم نصير الدين الطوسي (مراغه حوالي ١٢٦٠م).

وفي باريس في القرن التاسع عشر كانت المكتبة الملكية بمجموعاتها الغنية من المخطوطات العربية تحت تصرف سلسلة من المستشرقين الممتازين. ونشر المستشرق كوسين دي برسيفال Caussin de Perceval ثلاثة فصول من مقدمة كتاب ابن يونس (القاهرة حوالي ٩٩٠م) بعنوان «الزيج الحاكمي» ويتناول هذا الكتاب أرصاده وأرصاد سابقيه وملاحظاتهم. وتوخى سيديو الأب Sédillot وسيديو الابن دراسة زيج ابن يونس وكذلك كتاب المراكشي (القاهرة حوالي ١٢٨٠م) الخاص بالآلات الفلكية، ومقدمة «الزيج السلطاني» تأليف ألغ بك (سمرقند حوالي ١٤٢٥م)، وقام سيديو الأب بتحليل مقدمة ابن يونس لجداوله ولم يتم نشر هذا العمل -بل ليس من المعروف إن كان ما زال موجودا، ولكن لحسن الحظ قام بسرده الباحث ج ب ديلامبر Delambre في كتابه «تاريخ الفلك في العصور الوسطى» (١٨١٩م). كما قام سيديو الأب أيضا بترجمة النصف الأول من كتاب المراكشي وهو الجزء الذي يتناول علم الفلك الكروي والساعات الشمسية، في حين قام سيديو الابن في مرحلة لاحقة بتلخيص الجزء الثاني الذي يتناول الآلات الأخرى. وقد نشر سيديو الابن أيضا في ١٨٤٧_١٨٥٣م النص الفارسي مع ترجمة مقدمة "الزيج" للفلكي ألغ بك، غير أنه لم ينشر أي عالم من هؤلاء العلماء أيا من الجداول الكثيرة الواردة في زيجي ابن يونس وألغ بك.

وفي عام ١٨٣١م نشر ف روزين Rosen النص العربي لكتاب «الجبر والمقابلة» للخوارزمي (بغداد حوالي ٨٢٥م) مع ترجمة إنجليزية، وبعد عشرين سنة قام فرانز فوبكه Woepcke بنشر كتاب «الجبر» لعمر الخيام (شمال إيران حوالي ١٠٨٠م) مع ترجمة بالفرنسية، وفي عام ١٨٧٤م نشر فوبكه أيضا مبحثين حول الآلة الهندسية التي أطلق عليها اسم البركار التام.

وفي مدينة سانت بطرسبرج قام العالم شيليروب Schjellerup في عام ١٨٧٤م بنشر ترجمة فرنسية لكتاب «صور الكواكب» تأليف عبد الرحمن الصوفي (شيراز حوالي ٩٦٥م)، وقد تم نشر النص العربي لهذا الكتاب في حيدر آباد بعد ذلك بثمانين عاما (راجع أدناه).

ونشر إي ساخاو Sachau نص وترجمة عملين كبيرين من تأليف البيروني (غزنة حوالي ١٠٢٥م): وهما كتاب «الآثار الباقية» المتعلق بالتواريخ المختلفة (١٨٧٨، ١٨٧٩) وموسوعة عن الهند معروفة باسم «كتاب في تحقيق ما للهند» (١٨٨٨، ١٩١٠).



رسوم بيانية من رسالة فلكي القرن الثالث عشر القاهري أبي على المراكشي توضح أنواعا مختلفة من شبكات الأسطرلاب. وكان من المعتقد أن هذه التعديلات للشبكة المعتادة إنما هي تعديلات افتراضية غير ذات بال. ولكننا نعلم الآن أن المراكشي أخذ هذه التعديلات عن رسالة عالم الإسلام الكبير أبي الريحان البيروني، الذي كان قد أخذها بدوره عن رسالة للسجزي. ويخبرنا السجزي بأسماء مخترعي الأنواع المختلفة - وبأسماء الأفراد الذين أهديت لهم آلات معينة. (من مخطوط القاهرة ك ٣٨٢١، بإذن دار الكتب المصرية).

ونشر المستشرق الفرنسي ر دوزي Dozy في عام ١٨٧٣ النص العربي لكتاب «الأنواء» وهو تقويم شعبي سنوي تأليف عريب بن سعد (قرطبة عام ٩٦١) وأعيد طبع الكتاب عام ١٩٦١ مع ترجمة فرنسية قام بها شارل بيلا Pellat. وقام رينو Renaud بنشر نص كتاب «الأنواء» المنسوب لابن البناء (مراكش حوالي ١٣٠٠). وقد نشر بيلا Pellat مؤخرا نصوص عدة تقاويم مصرية تنتمي للعصور الوسطى. ويتم حاليا طبع تحقيق وترجمة مزودة بالمذكرات والملاحظات لنص التقويم الزراعي الهام لأحد سلاطين الدولة الرسولية، السلطان الأشرف، وهذه الطبعة من تحقيق دانيال م فاريسكو D M Varisco.

وفي عام ١٨٩١ نشر أ كاراثيودري A Carathéodory في القسطنطينية نص رسالة نصير الدين الطوسي في الشكل القطاع التي تتناول المضلع الرباعي الكروي، واعتقد أن هذه الطبعة هي أول طبعة أكاديمية يتم طبعها لنص علمي عربي في العالم الإسلامي.

وفي السنوات الأولى من القرن الحالي كانت الإسهامات الرئيسية في موضوعنا هي الإسهامات التي قدمها علماء كتبوا باللغة الألمانية باستثناء العالم الإيطالي نالينو Nallino. وفي عام ١٩١٤ نشر هاينريش زوتر النص اللاتيني لكتاب الزيج للخوارزمي (بغداد حوالي ٨٢٥) مع المقدمة والجداول ولكن الأصل العربي مفقود. وبعد ذلك بعشرات السنين قام أوتو نويجيباور Otto Neugebauer بترجمة هذا النص إلى اللغة الإنجليزية وأضاف إلى ذلك تعليقا رائعا على المقدمة والجداول. ثم قام زوتر ومن بعده كارل شوى Carl Schoy بإصدار ترجمات ألمانية للعديد من الرسائل العربية. ونشر كارلو نالينو Nallino النص العربي لكتاب الزيج للبتاني (الرقة حوالي ٩١٠) وكذلك ترجمة لاتينية لهذا النص. وقام ماكس كراوزه بإعداد طبعة لكتاب البيروني عن الفلك (غزنة حوالي ١٠٢٥) بعنوان «القانون المسعودي» وتم نشره لاحقا في حيدرآباد. كما أنه نشر أيضا نص الترجمة العربية لكتاب منلاوس Menelaos بعنوان «كتاب الأكر».

ونشر رمزي رايت R Ramsay Wright في عام ١٩٣٤ طبعة مصورة طبق الأصل لكتاب البيروني عن الفلك والتنجيم بعنوان «التفهيم في صناعة التنجيم» ولكن الترجمة التي نشرها على الصفحات المقابلة تم إنجازها أصلا من مخطوط مترجم إلى الفارسية (وهذه النقطة يشار إليها بوضوح في المقدمة ص١٢ـ١٣ ولكن ذلك ليس معروفا بوجه عام).

وفي عام ١٩٣٦ نشر كارل جاربرز Karl Garbers النص العربي لرسالة ثابت بن قرة (بغداد حوالي ٩٠٠) في نظرية الساعات الشمسية، وفي عام ١٩٣٧ـ١٩٣٨

قام باول لوكي Paul Luckey بترجمة هذا العمل إلى اللغة الألمانية. والواقع أن هذا أقدم مخطوط علمي عربي لدينا ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٧٠ هجرية (٩٨٠/٩٨١ ميلادية). وللأسف لم يتم حتى الآن نشر رسالة الدكتوراة التي أعدها نفس العالم وهي إعداد طبعة محققة لنص نظرية إبراهيم بن سنان (بغداد حوالي ٩٢٥) عن الساعات الشمسية وترجمة النص.

وفي الأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن قامت مطبعة دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد، الدكن، بنشر العديد من النصوص العربية . وفي حين أن بعض هذه النصوص لا تعدو أن تكون مجرد منقولة عن المخطوطات فإن بعضها الآخر، كنص زيج البيروني الذي يطلق عليه اسم «القانون المسعودي» يمكن أن يعول عليها بدرجة كبيرة. وتضم هذه النصوص كل اتجاهات وميادين العلوم الإسلامية بداية بـ«كتاب الأنواء» لابن قتيبة، الذي يتناول الفلك الشعبي، (دينور حوالي ٨٦٠) ونهاية بمختلف مؤلفات البيروني وابن الهيثم. ومهما تكن عيوب هذه الطبعات فإن معظم النصوص التي تقدمها كان يمكن أن تظل دون نشر لولا جهود مطبعة حيدر أباد. لقد كانت سنوات الأربعينيات والخمسينيات في أوروبا خلال هذا القرن سنوات غير مشجعة أو مواتية لمجال تخصصنا. ولكن ظهر علماء جدد ليواصلوا المسيرة بنفس الروح التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الثانية وانتقل ميدان العمل من ألمانيا إلى أماكن أخرى في العالم لاسيما أسبانيا (ميلاس فاليكروسا Millás Vallicrosa ومدرسته) ولبنان (كيندي ومدرسته) والاتحاد السوفيتي سابقا (مجموعة من العلماء استلهموا فكرهم من أ.بي. يوشكيفتش A P Youschkevitch).

إننا ندين بالفضل للعالم ج. ميلاس فاليكروسا لما قام به من عرض جيد لكل المادة المتاحة عن الفلكي الزرقالي (طليطلة حوالي ١٠٧٥) فضلا عن طبعة لكتاب ابن الصفار (قرطبة حوالى العام الألف) عن الأسطرلاب وكذلك طبعاته لأعمال مختلفة باللغة العبرية. وقام خلفه خوان فيرنيه Juan Vernet بنشر مقدمه كتاب الزيج لابن البناء بدون جداوله. وكان الإسهام الذي قدمه زميل خوان فيرنيه، خوليو سامسو Julio Samsó يتمثل في ترجمة عدة رسائل من تأليف أبي نصر بن عراق قد نشر نصها في حيدر آباد سابقا.

وفي عام ١٩٦٢ حقق المستشرق الروسي بي. بولجاكوف Bulgakov الكتاب الذي اكتشف حديثا للبيروني عن الجغرافيا الرياضية بعنوان «تحديد نهايات الأماكن». ونشر إي س كيندي ترجمات لعدة أعمال للبيروني وتعليقات عليها بما في ذلك "التحديد" و "الظلال" حول ضبط الوقت بوجه عام والظلال بوجه

خاص. كما أصدر هذا العالم طبعة طبق الأصل لرسالة الكاشي حول آلة لتمثيل حركات الكواكب السيارة مع ترجمة مهمشة، كما قام بإعداد طبعة طبق الأصل لجداول الكاشي الفلكية المسماة «الزيج الخاقاني». واشترك مع ديفيد بينجري D Pingree وغيره من العلماء في إصدار دراسة عن التاريخ التنجيمي لما شاء الله (بغداد حوالي ٨٠٠) وكذلك كتاب عن النظريات الكامنة وراء كتب الزيج للهاشمي (بغداد حوالي ٩٠٠). وقد أمدنا ديفيد بينجري بنص ترجمة يونانية بيزنطية للزيج المفقود للفهاد (شيروان حوالي ١١٧٥) وترجمة بيزنطية لـ «جداول طليطلة»، وكذلك النص العربي لمجموعة المواد الشبه علمية المعروفة باسم "بيكاتريكس" Picatrix. وقد نشر هذا العالم أيضا الشذرات المتبقية من الكتابات الفلكية لعدد من أوائل علماء الفلك المسلمين ولا سيما الفزاري ويعقوب بن طارق وأبي معشر. وقد أتاحت العالمة ماري - تيريز ديبارنو Marie-Thérèse Debarnot الفرصة لنشر النص والترجمة والتعليق على "مقاليد علم الهيئة" للبيروني، وهو كتاب على جانب كبير من الأهمية في الفلك الكروي وعلم المثلثات الكروية.

وفي لندن أصدر جيرالد ر. تيبتس Tibbets ترجمة لكتاب «الفوائد» لابن ماجد، بحار المحيط الهندي في القرن الخامس عشر، وهو أكبر مبحث عربي أساسي حول الملاحة. وقبل ذلك تم نشر ترجمة فرنسية لهذا الكتاب وكتب أخرى للمؤلف نفسه وقام بنشرها جي. فيراند G. Ferrand . وفي الآونة الأخيرة أمدنا إبراهيم خوري من دمشق بالنصوص العربية لكل الرسائل الموجودة لابن ماجد وملاح القرن السادس عشر سليمان المهري .

وقد نشر العالم إي. ميلاس فندريل E. Millás Vendrell الترجمة اللاتينية لتعليق ابن المثنى (الأندلس، ربما في القرن العاشر) على زيج الخوارزمي. وفي الفترة الأخيرة نشر ب.ر. جولدشتاين B.R.Goldstein نص ترجمتين لهذا التعليق باللغة العبرية وأيضا مع الترجمة وألحق بها تعليقا. وقد فعل نفس الشيء بالنسبة لكتاب حول نظرية حركة الكواكب تأليف البطروجي (إشبيليه حوالي ١١٩٠). وقد أدت به أبحاثه حول تركيب أفلاك الكواكب السيارة المنسوب إلى بطليموس وإن كان غير مذكورة في أعماله المعروفة، أدت به إلى اكتشاف أن الفقرة المتعلقة بهذا الأمر في «الافتراضات الكوكبية» لبطليموس قد تم حذفها من النص المنشور. ولذلك فقد نشر هو صورة طبق الأصل لمخطوطة لندن الفريدة مع ترجمة وتعليق على تلك الفقرة. وفي الفترة الأخيرة نشر ريجيس موررلون Régis Morelon الأعمال الفلكية لثابت بن قرة (بغداد حوالي ٩٠٠)، ومرة

أخرى نجد أن طريقة المعالجة هي الطريقة المثلى: النص المحقق والترجمة والتعليق.

وفي سنة ١٩٧٥ نشر باول كونتش Paul Kunitzch ـ وهو من ميونيخ - كتاب ابن الصلاح (بغداد حوالي ١١٥٠) الذي ينتقد إحداثيات الكواكب الواردة حينذاك في ترجمات كتاب «المجسطي» (راجع أدناه بشأن أعمال هذا العالم المتعلقة بالمجسطي).

وفي جامعة هارفارد كان موضوع رسالة الدكتوراة للباحث أنطون هاينن Anton Heinen موضوعا شاقا وهو تحقيق نص هام توجد منه عدة نسخ وعنوانه «كتاب الهيئة السنية في الهيئة السنّية» للسيوطي (القاهرة حوالي ١٥٠٠)، وهو كتاب يتناول الكونيات (الكوزمولوجيا) من وجهة نظر دينية، وقد أمدنا هذا الباحث بترجمة للنص المحقق وتعليق عليه. ومن الاكتشافات الهامة التي توصل إليها أنه كانت ثمة تقاليد كاملة تقوم على هذا النوع من المباحث قبل السيوطي وبعده - وهي تقاليد تستوجب دراسة مفصلة.

وقدم لنا الراحل الأردني أحمد سعيدان - رحمه الله - خدمات جيدة في ميدان علم الحساب، فقد نشر حساب الأقليدسي (دمشق حوالي ٩٥٠)، ورياضيات إبراهيم بن سنان، وعدة نصوص أخرى. وفي سنة ١٩٨٦ نشر سامي شهلوب في حلب كتاب «الكافي في الحساب» تأليف الكرجي (بغداد حوالي ١٠٠٠).

وقد لقيت الكتب الإسلامية الخاصة بالجبر اهتماما لا بأس به. فسبق أن ذكرنا الطبعة التي حققها روزين Rosen لكتاب «الجبر» للخوارزمي. وفي سنة ١٩٦٢ نشر أيدين سايلي Sayili كتاب «الجبر» لابن ترك، وهو أحد معاصري الخوارزمي، وألحق الباحث بهذه الطبعة ترجمة إنجليزية للنص. وقام رشدي راشد بتحقيق كتاب «الجبر» لشرف الدين الطوسي (دمشق حوالي ١١٦٥) وعدة بحوث لابن الهيثم ، كما اشترك مع أحمد جبار في تحقيق كتاب «الجبر» لعمر الخيام ومع س. أحمد في تحقيق كتاب «الجبر» للسموأل (بغداد حوالي ١١٨٠). وفي سنة ١٩٦٤ نشر عادل عنبوبه نص «البديع في الجبر» للكرجي. ونشر عبد الحميد صبره وباربرا هاربر Barbara Harper طبعات منقحة ومبنية على الأصول لكتابي «حل شكوك كتاب إقليدس» و«شرح مصادرات إقليدس» لابن الهيثم. ومؤخرا قام لين بيرجرين Len Berggren بنشر المراسلات بين عالمي الرياضيات الكوهي والصابئي في أواخر القرن العاشر . وقد ترجمت إيفون دولد ساملونيوس Yvonne Dold-Samplonius « كتاب المفروضات» ومؤلفه غير معروف.

وحقق جيرالد تومر Gerald Toomer طبعة لمخطوطة مشهد الفريدة للبحث الخاص بالمرايا المتوهجة لديوكليس، والأصل اليوناني مفقود، وتوجد حاليا الترجمة الإنجليزية مضافا إليها تعليق على النص. كما أننا ندين لتومر أيضا لما قام به من ترجمة إنجليزية رائعة لكتاب «المجسطي» لبطليموس وكذلك لتحقيقه طبعة للكتاب الخامس والسادس والسابع من «المخروطات» لأبولونيوس Apollonius (وهو الآن موجود باللغة العربية فقط)، ولعرضه لمختلف المكونات في «جداول طليطلة» اللاتينية وتقوم أساسا على المصادر العربية. وقام يان هوجنديك Jan Hogendijk بتحقيق وترجمة «تمام كتاب المخروطات» الذي ألفه ابن الهيثم بغرض إكمال «مخروطات» أبولونيوس الناقص (القاهرة حوالي ١٠٢٥). و قام تسيفي لانجرمان Tzvi Langermann ـ وهو من القدس ـ مؤخرا بإصدار كتاب عن أفلاك الكواكب لابن الهيثم.

وهناك أربعة من خريجي مدرسة "ميلاس ـ فيرنيه ـ سامسو" في برشلونة وهم روزير بوتش Roser Puig و م فليندااس M V Villuendas وميرسي كوميس Mercè Comes وإميليا كالفو Emilia Calvo ، قاموا بتحقيق نصوص الكتب التالية وترجمتها والتعليق عليها: كتاب المثلثات لابن معاذ (جيان حوالي ١٠٢٠)، ورسالتان عن "الصفيحة" العالمية تأليف الزرقالى (طليطلة ١٠٧٠) ،ورسالة عن "صفيحة" عالمية من اختراع ابن باصو (قرطبة حوالي ١٢٩٥)، ودراسة عن مختلف المباحث الأندلسية عن آلات تمثيل حركات الكواكب السيارة. وحقق جوان كرنديل Joan Carandell طبعة لمبحث عن صنع الساعات الشمسية لابن الرقام (تونس حوالي ١٣٢٥).

وفي أكتوبر ١٩٩١ وصلني كتابان جديدان أحدهما من ماريا أنجيليس نافارو Navarro من غرناطة، وهذا الكتاب عبارة عن طبعة محققة لتقويم أندلسي مؤلفه غير معروف، والكتاب الثاني كان من الزميل جورج صليبا Saliba من نيويورك، وهو نص محقق عن الفلك غير البطليموسي للعرضي (مراغه حوالي ١٢٥٠).

والأعمال التالية تنتمي إلى هذا المجال ولكن لم يتم طبعها بعد. قام جميل راغب Rageb بإعداد دراسة مفصلة عن كتاب «التذكرة» لنصير الدين الطوسي (مراغة حوالي ١٢٦٠) حول نظرية الأفلاك. وأعد جورج صليبا Saliba طبعة وترجمة وتعليقا لمبحث ابن الشاطر عن نظرية الكواكب (دمشق حوالي ١٣٥٠) وسيكون دون شك بنفس المستوى العلمي الذي يتميز به كتابه الجديد عن العرضي. وستصدر قريبا طبعات للنصوص العربية واللاتينية لكتاب «الأكر»

لثيودوسيوس Theodosius ويقوم بتحقيقها رتشارد لورتش Richard Lorch كما يتم إدماجها في دراسة علمية ستساهم بدرجة كبيرة في مساعدتنا على فهم عمليات النقل من اليونانية إلى العربية ومن العربية إلى اللاتينية. وينوي س م ر أنصاري Ansari أن يحقق كتاب «الزيج» تأليف جاي سنغ Jai Singh (جيبور حوالي ١٧٢٥)، وسيكون نشر هذا الكتاب خطوة هامة تساعدنا في معرفة الفلك الهندي في مراحله المتأخرة. والتحليل الذي قمت أنا به لفلك الكواكب في كتاب «الزيج» لابن يونس منذ سنوات عديدة، وكذلك التحليل الذي قمت به مؤخرا لمجموع جداول ضبط الوقت التي كانت تستخدم في دمشق من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، لم يتم نشرهما حتى الآن، وكلاهما سيكون أكثر فائدة إذا أمكن توفير المخطوطات الخاصة بهما على شكل طبعات مصورة طبق الأصل ـ راجع أدناه.

وينبغي علينا ألا نغفل في هذا الصدد ذكر الطبعة الهائلة لكتاب «المناظر» لابن الهيثم والتي يقوم حاليا بنشرها عبد الحميد صبره. (وهذه الطبعة التي تنم عن التقدير لعالم البصرة كان يتم طبعها في الكويت قبل الاعتداء عليها في سنة ١٩٩٠). وعلى نحو مماثل فإن نصوص وترجمات مختلف المؤلفات المتعلقة بالهندسة الميكانيكية والساعات من تحقيق سيفيم تيكلي Sevim Tekeli ودونالد هيل Donald Hill وأحمد يوسف الحسن قد زادت من معرفتنا بهذا الجانب الهام من العلوم الإسلامية.

إن القائمة الوارد ذكرها أعلاه تعتبر ناقصة وسوف يدرك ذلك بوضوح أي قارئ ينظر إلى المعلومات عن البيروني أو ابن الهيثم في استعراض سيزكين للببليوجرافيا والتراجم الخاصة بالعلماء المسلمين، ناهيك عن الصفحات العديدة في المجلدات بأسرها. ذلك أن هدفي يقتصر هنا على إعطاء فكرة عن الجهود التي بذلت عبر العالم أجمع لبناء أساس قوي لمجال تخصصنا. ورغم أن كثيرا من الأعمال متوفرة على نحو أو آخر إلا أنه يجب ألا يعتقد أي شخص أن مهمتنا تكاد تكون قد اكتملت. والحق أن المطبوعات الوارد ذكرها أعلاه إنما تمثل في الواقع جزءا متواضعا للغاية من الإبداعات الهائلة للعلماء في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى.

عروض لموضوعات فردية

إن الدراسات التي تشكل عرضا ناقدا لمختلف أنواع الكتابة العلمية الإسلامية، والتي تتناول على سبيل المثال الفلك النظري والآلات الفلكية

والحساب والمساحة والهندسة النظرية والجبر، تكون دون شك مفيدة. ومن أمثلة ما نشر من هذا النوع من الدراسات ما جمعه ديفيد بنجري Pingree لشذرات أعمال أوائل الفلكيين المسلمين مثل الفزاري ويعقوب بن طارق. وكذلك العرض العام للجبر الإسلامي في مراحله الأولى الذي قام به عادل عنبوبه، وبحث كتبته جالينا ماتفيفسكايا Matvievskaya عن نظرية الأعداد التربيعية الصماء في الجبر، والأعمال العديدة التي كتبها باول كونيتش Kunitzch عن الأسماء العربية للنجوم والأجرام السماوية الشائعة في العالم الإسلامي وأوروبا، والبحث الذي كتبه يان هوجنديك Hogendijk عن الرسائل التي تتناول موضوع إنشاء المسبع (وهو الشكل السباعي الأضلاع)، وكتابات فيلبور كنور Knorr عن إنشاء المتناسبين الوسط وتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، والأبحاث المتنوعة التي ألفها لين بيرجرين Berggren عن إنشاء منحنيات السمت على صفائح الأسطرلاب، والدراسة التي أجراها رتشارد لورتش Lorch حول نص يتناول الأشكال متساوية المحيط، والإسهامات التي قدمها جاك سيسيانو Sesiano عن المربعات السحرية وكتابات سونيا برنتيس Brentjes عن التقاليد النيخوماخية في الرياضيات الإسلامية، والدراسات المتنوعة التي أجراها جورج صليبا Saliba عن نماذج الكواكب غير البطليموسية، والدراسات التي أجريتها شخصيا عن مختلف أنماط الإجراءات بداية بالفلك الشعبي كما سانده الفقهاء والفلك الرياضي كما اقترحه ونادى به العلماء المسلمون لتنظيم التقويم القمري وضبط الوقت وتحديد مواقيت الصلاة وتحديد اتجاه القبلة لأي مكان. وقد قامت مدرسة "ميلاس- فيرنيه - سامسو" في برشلونة بنشر العديد من المجلدات التي تشمل مختلف الدراسات، ونشير أدناه إلى بعض النصوص التي قاموا بتحقيقها.

كانت هناك مدارس إقليمية للفلك في العصور الوسطى المتأخرة وكانت هذه المدارس متباينة في اهتماماتها وأذواقها حتى إنها تستحق الآن إجراء دراسات مستقلة عليها. وقد قام جوليو سامسو بإعداد عرض رائع للفلك الأندلسي سيتم نشره في عام ١٩٩٢ بمناسبة معرض عن العلوم الأندلسية يقام في مدريد. وتمت معالجة بعض جوانب علم الفلك الذي كان سائدا في مدينة طليطلة في القرن الحادي عشر في مقال شيق كتبه لوتز ريشتر - بيرنبرج Lutz Richter-Bernburg. وقد نشر كينيدي E S Kennedy مقالات عامة عن الفلك في عصر الدولة السلجوقية والدولة التيمورية في شمال إيران وآسيا الوسطى. وقد استعرض الكاتب الحالي تاريخ الفلك في مصر وسوريا واليمن والمغرب، كما

كتب أحمد جبار عدة دراسات عن تاريخ الرياضيات في المغرب. وفيما يختص بتركيا في العصر العثماني والهند في ضوء الحكم الإسلامي فإن أكمل الدين إحسان أوغلي و س م ر أنصاري يشرفان على المصادر والبحوث في ذلك، ومن المتوقع أن يقدما عروضا عامة. وفيما يتعلق بتأثيرعلم الفلك العثماني في البلقان فإن لدينا الدراسات المفيدة التي أجراها جاسمينكو مولامرفيتش Mulaomerovic من ساريبفو، وقد تناول بيرنارد جولدشتاين Goldstein في عدد من الدراسات الجادة أثر التقاليد الإسلامية في التقاليد العبرية والعكس. كل هذا ولكننا في الوقت نفسه نشير إلى أنه لا توجد عروض موجزة جيدة لعلم الفلك الإسلامي في مراحله الأولى، أو لاستقبال المسلمين للأعمال اليونانية، أو لكيفية انتقال الأعمال العربية إلى أوروبا أو حتى لعلم الفلك الإسلامي بوجه عام.

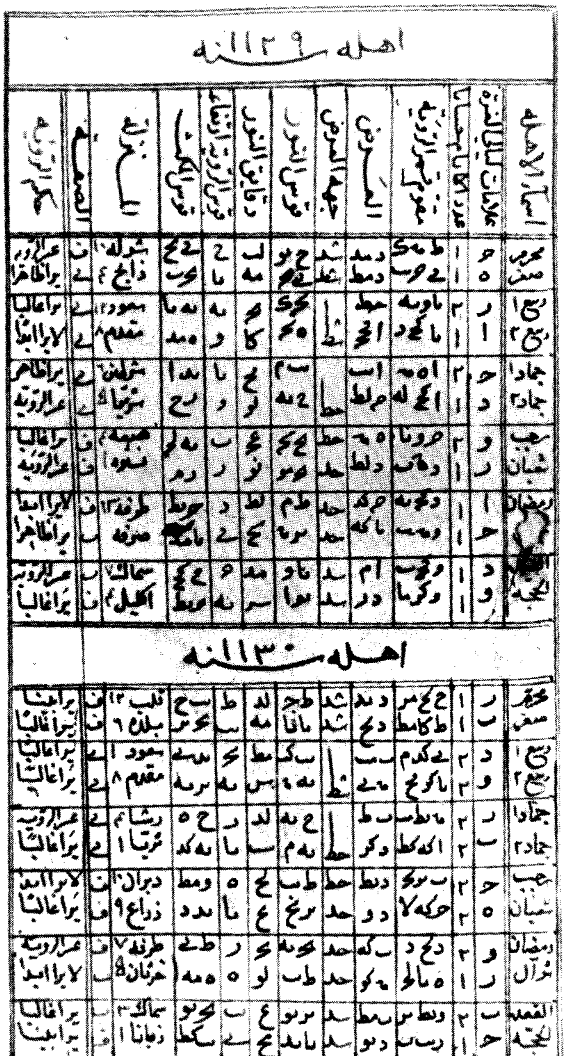
وتوجد مقالات عن مختلف جوانب علم الفلك الإسلامي والرياضيات الإسلامية في المجلدات المخصصة لتكريم أبو Aaboe وهارتنر Hartner، ولا سيما المجلد لتكريم كيندي Kennedy الذي ساهم فيه خمسة وثلاثون من كبار علماء العالم في تاريخ العلوم بمقالات هامة. ويمكن الاطلاع على مقالات أخرى من هذا النوع في المجلات الرئيسية المختصة بتاريخ العلم، وفي ثلاث دوريات متخصصة في تاريخ العلم الإسلامي وهي مجلة تاريخ العلوم عند العرب (حلب) *Journal of the History of Arabic Science* ومجلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية (صادرة في فرانكفورت وهي بالألمانية:

Zeitschrift für Geschichte der arabisch-islamischen Wissenschaften)

ومجلة «العلوم والفلسفة العربية» الصادرة في كامبريدج ـ المملكة المتحدة هي بالإنجليزية *Arabic Science and Philosophy*. كما أن جلسات المؤتمرات المختلفة تعتبر هامة في هذا الصدد ولا سيما المؤتمرات التي عقدت في حلب سنة ١٩٧٦ وإستانبول سنة ١٩٧٧ و ١٩٨٦ وتونس سنة ١٩٨٩.

الكتب الفلكية المزودة بالجداول (الأزياج)

تعتبر الجداول الفلكية التي تخدم مختلف الأغراض عنصرا هاما من العناصر التي تتكون منها المخطوطات بحيث أنها كانت أدوات البحث القياسية التي استخدمها الفلكيون في العصور الوسطى. وقد قام كيندي بتوثيق كتب الفلك ذات الجداول والنصوص الإيضاحية المسماة بكتب الزيج أوالأزياج، وفي العرض الذي نشره في سنة ١٩٥٦ عن مؤلفات الأزياج الإسلامية تم إدراج ١٢٥ مؤلفا من هذه المؤلفات وما نعرفه الآن يقترب من ٢٠٠ مؤلف ويتناول الزيج



جدول مصري يبين حسابات احتمال رؤية الهلال لكل شهر من سنتي ١١٢٩ و ١١٣٠ هـ (١٧١٦-١٧١٧م). وضعت الحسابات لليوم الأول من كل شهر، ويأتي حكم الرؤية (أو التنبؤ) في العمود الأخير - فإن احتجب الهلال في يوم، يعلن مطلع الشهر الجديد في اليوم التالي. وقد استطاع علماء المسلمين من القرن التاسع أن يحسبوا احتمال رؤية الهلال في ليلة معينة في أي موقع. (من مخطوط القاهرة دص ١٦٦، بإذن دار الكتب المصرية).

كل المادة المعتادة الخاصة بالفلك في العصور الوسطى فيشمل الجداول الخاصة بالتحويل التقويمي وحساب مواقع الشمس والقمر والكواكب، وكذلك توقعات كسوف الشمس وخسوف القمر ووضوح القمر والكواكب ، وإحداثيات النجوم ، وقوائم بمواقع مختلفة وخطوط الطول والعرض التي تحددها. وكان لكل منطقة مجموعة من الأزياج تعمل بها، وكثيرا ما كان يتم تحديث الثوابت التي بنيت عليها الجداول. وهذه الثوابت الخاصة بجدول من الجداول وكذلك الأخطاء الحسابية التي قد يحتوي عليها تسهل لنا الآن الربط بين زيج وآخر، ولا سيما والحاسب الإلكتروني يمكننا من استحضار جداول تشتمل على آلاف البنود في دقائق قليلة، وهذه الجداول كانت تتطلب من الفلكيين في العصور الوسطى قضاء عدة أسابيع لحسابها. ولا يخفي على أي مؤرخ ما ينطوي عليه هذا الكم الهائل من المواد من أهمية واضحة. وعندي دراسة شاملة تستعرض الجداول الإسلامية لضبط الوقت وتنظيم مواقيت الصلاة وهي جاهزة للنشر. والملاحظ أن هذه الجداول لم تكن مدرجة بشكل عام في مؤلفات الزيج وتعتبر هامة لدراسة تاريخ النواحي الدينية الإسلامية ودراسة العلوم الإسلامية على السواء.

مقالات عن العلماء المسلمين

وبالإضافة إلى مختلف الأعمال الخاصة بالببليوجرافيا والتراجم المشار إليها فيما سبق، يجب علينا أن نشير إلى المقالات التي تتناول مختلف العلماء المسلمين على المستوى الفردي والتي ظهرت في الموسوعة الإسلامية *Encyclopaedia of Islam* ومعجم التراجم العلمية *Dictionary of Scientific Biography*. وهذه المقالات يكتبها عادة باحث يعرف الكثير عن العالم الذي يكتب عنه، كما أنها تشتمل على ببليوجرافيا مفيدة. ومن الأمثلة المتميزة نذكر المقالات التي كتبت عن أبي معشر والبيروني وابن الهيثم والكرجي والإقليدسي وشرف الدين الطوسي والخيام في «معجم التراجم العلمية» وهذه المقالات ساهم بها بنجري وكيندي وعبد الحميد صبره ورشدي راشد وأحمد سعيدان وعادل عنبوبه ويوشكفتش وروزنفلد: علماء من الأردن والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ولبنان ومصر .

إعادة نشر ببليوجرافيا وتراجم العصور الوسطى عن العلماء المسلمين:

إن إعادة طبع النص الذي حققه جوستاف فلوجل Fluegel في ١٨٧١ـ١٨٧٢ لفهرست ابن النديم (بغداد حوالي ٩٧٥) ستكون من الأعمال التي تنطوي على فائدة بالغة. وللأسف لم يتم حتى الآن تحقيق طبعة مبنية على الأصول ويمكن أن يعول عليها لكتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسي. وسيمر وقت وطويل قبل أن يقوم أي باحث بإصدار طبعة جديدة لأعمال التراجم الهامة لابن القفطي (حلب حوالي ١٢٣٠) وابن أبي أصيبعة (دمشق، الخ، حوالي ١٢٥٠). وطبعات القاهرة القديمة تستحق فعلا إعادة الإصدار بشكل محقق تحقيقا علميا حديثا. ومن حسن الحظ أن لدينا الآن طبعة يمكن أن يعول عليها لكتاب «إرشاد القاصد» لابن الأكفاني (القاهرة حوالي ١٣٣٠) نشرها يان يوست ويتكام Jan Just Witkam في سنة ١٩٨٩.

طبعات طبق الأصل للمخطوطات الهامة

في حين أنه لا يوجد بديل عن الطبعات المبنية على الأصول للنصوص، فإن هناك العديد من المصادر الأولية الهامة والقليل جدا من العاملين في البحث العلمي في هذا المجال بحيث أنه يكون من المفيد للغاية أن تصدر طبعات "فاكسيميلي" مطابقة للأصل وصحيحة. وقد نشرت مؤخرا في فرانكفورت طبعات " طبق الأصل" للأعمال التالية:

١ ـ مخطوط إسكوريال الفريد لنص منقح لكتاب «الزيج الممتحن» للفلكيين في عهد الخليفة المأمون (بغداد حوالي ٨٢٥).

٢ ـ مخطوطات دمشق وميونخ الفريدة، وهي نصفا رسالة عن التنجيم لابن هبنتا (بغداد حوالي ٨٢٠).

٣ ـ مخطوطات جيدة لرسالة عبدالرحمن الصوفي عن استعمال الأسطرلاب، ولكتابه عن مجموعات الكواكب والنجوم (شيراز حوالي ٩٥٠).

٤ ـ مخطوط من كتاب «الجبر» لأبي كامل (مصر حوالي ٨٧٥).

٥ ـ مخطوطات إستانبول وليدن لـ"كتاب في حل شكوك كتاب إقليدس" لابن الهيثم (القاهرة حوالي ١٠٢٥).

٦ ـ مخطوطات جيدة لـ«جامع المبادئ والغايات» للمراكشي (راجع أعلاه).

٧ ـ مخطوط إستانبول الفريد «كتاب الدلائل» للحسن بن بهلول ويتعلق بعلم الفلك الشعبي (سوريا حوالي ٩٩٠).

ومع ذلك فإن هذه الطبعات ليست دائما صورة طبق الأصل للمخطوطات. والأمل معقود على أنه سيتم التخلي عن بعض الممارسات التي يؤسف لها والتي تتمثل في إزالة أرقام الصفحات الأصلية، أو إلحاق إضافة أو إضافات بالنص لترميم آثار تآكل المخطوط، أو تحسين الرسومات التوضيحية لجعلها أكثر جمالا أو أناقة، أو إدماج أجزاء من مخطوطات مختلفة بدون إشارة إلى ذلك.

إن إصدار طبعات مصورة طبق الأصل، "فاكسيميلي" بالمعنى الصحيح، للأعمال التالية ذات الأهمية الكبرى من الأمور التي تفيد مجال تخصصنا فائدة بالغة (وتعني عبارة "أفضل مخطوط" في القائمة التالية النسخة التي تعتبر أقرب إلى الأصل من غيرها):

١ ـ مخطوطي إستانبول وبرلين لزيج حبش الحاسب، (نشرت ديبارنو M.Th.Debarnot دراسة مستفيضة عن مخطوط إستانبول الذي يعتبر أقرب إلى الأصل .

٢ ـ مخطوط إسكوريال عن زيج البتاني (لمقارنته بالنص المنشور).

٣ ـ أحد مخطوطات برلين لكتاب عن صناعة الأسطرلاب للفرغاني ويشمل هذا المخطوط النسخة الوحيدة المعروفة لرسالة عن صناعة الأسطرلاب للخوارزمي.

٤ ـ شذرات أكسفورد وباريس وليدن من زيج ابن يونس (راجع أعلاه).

٥ ـ أفضل مخطوط (يتم تحديده) لزيج كوشيار بن لبان (إيران حوالي عام ١٠٠٠).

٦ ـ مخطوط ليدن (وهو في الغالب أفضل مخطوط موجود) لرسالة البيروني في صناعة الأسطرلاب .

٧ ـ أفضل مخطوط (يتم تحديده) لزيج البيروني (لمقارنته بالنص المنشور).

٨ ـ مخطوط إستانبول الفريد لـ "تحديد" البيروني (لمقارنته بالنص المنشور).

٩ -أفضل مخطوط (وقد يكون مخطوط القاهرة) لكتاب هام في علم التنجيم بعنوان «روضة المنجمين» من تأليف شاهمردان رازي (الري؟ حوالي ١٠٧٠).

١٠ ـ جميع المخطوطات الموجودة لكتاب يوسف المؤتمن بن هود ملك سرقسطة (حوالي عام ١٠٦٠)ويرجع الفضل لكل من جان هوجنشيكJan Hogendijk وأحمد جبار للفت انتباه الزملاء لهذا العمل الهام.

١١ ـ مخطوط باريس الفريد للزيج المعروف باسم "دستور المنجمين"، ويحتمل أن يكون قد تم جمعه في ألاموت في أوائل القرن الثاني عشر (وقد أجرى ف. زيمرمان F.Zimmermann دراسة تمهيدية لهذه الوثيقة الهامة).

١٢ - مخطوط لندن أو مخطوط الفاتيكان لزيج الخازني (مرو حوالي عام ١١٢٠)، وهو كتاب على جانب كبير من الأهمية وإن لم يبحث بعد.

١٣ - مخطوط أكسفورد الفريد وهو مقدمة لزيج بقلم ابن الهائم (الأندلس حوالي ١٢٠٥)، ويعتبر مرجعا أساسيا لفهم تراث الزيج في الأندلس.

١٤ - مخطوط حيدر أباد الفريد لزيج ابن إسحاق (تونس حوالي ١١٩٥)، وهو أهم عمل في علم الفلك يتم تأليفه في المغرب، وقد اكتشف مصادفة خلال زيارة لمكتبة "أندرا براديش" عام ١٩٧٨ ويجري بحثه حاليا في برشلونة.

١٥ - أفضل مخطوط موجود (يتم تحديده - ربما في القاهرة)، لكتاب «الزيج الإيلخاني» بقلم نصير الدين الطوسي (مراغه حوالي ١٢٦٠).

١٦ - مخطوط طوب قابي لـ «الأعمال المتوسطات»، وهي مؤلفات يونانية ثانوية قام بترجمتها وتحقيقها باحثون مسلمون.

١٧ - مخطوط كامبريدج لكتاب «الزيج المظفري» بقلم محمد بن أبي بكر الفارسي (عدن حوالي ١٢٦٠)، وهو مبني على الأعمال العربية المفقودة للفهاد، وتوجد هذه الآن في الترجمة اليونانية التي قام بنشرها دافيد بينجرى David Pingree.

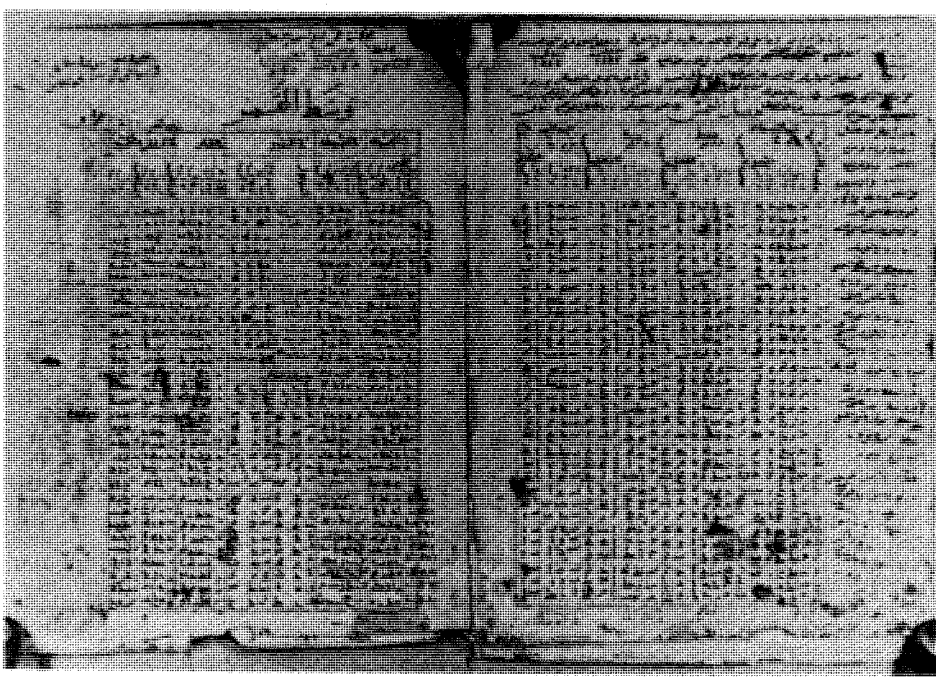
١٨ - مخطوطات القاهرة الخاصة بتقويمين سنويين كتبا إبان الدولة الرسولية (تعز ١٣٢٦ و ١٤٠٥)، وتم اكتشاف هذه المخطوطات خلال مشروع الفهرسة في السبعينيات (ولم تصلنا أية تقويمات فلكية أخرى ترجع إلى مثل هذا التاريخ المبكر).

١٩ - مخطوط القاهرة لكتاب سلطان الدولة الرسولية السلطان الأشرف (تعز حوالي ١٢٩٥) حول صنع الأسطرلاب والساعات الشمسية والبوصلة المغنطيسية.

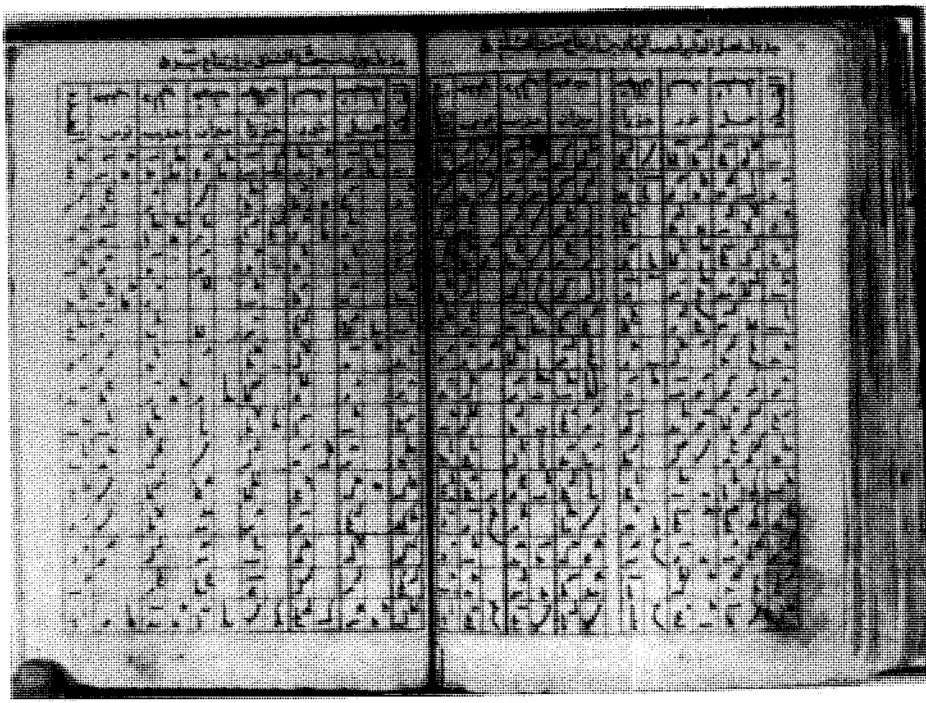
٢٠ - مخطوط ليدن لكتاب من العصر المملوكي عن ضبط الوقت بعنوان «كنز اليواقيت»، وتقوم حاليا بدراسته مرجريتا كاستيلس Castells، وهي من برشلونة.

٢١ - أفضل مخطوط (يتم تحديده) لزيج ابن البناء، ولم ينشر حتى الآن من هذا الكتاب سوى مقدمته (راجع أعلاه).

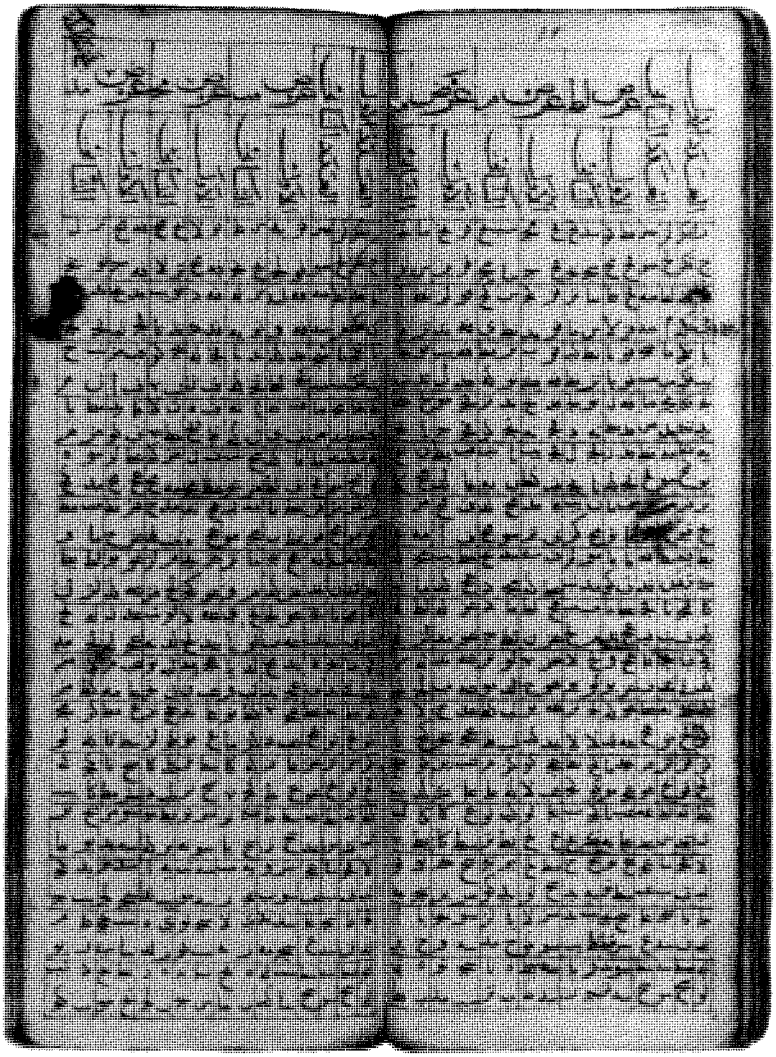
٢٢ - أفضل مخطوط (يتم تحديده) للزيج الشامل ، وهو الزيج الرئيسي الذي استعمل لعدة قرون في المناطق التي تضم العراق حاليا ومناطق الحدود بجنوب تركيا .



جداول للشمس والقمر في مخطوطة يمنية لزيج كوشيار بن لبان (إيران، حوالي العام الألف). وتمكن هذه الجداول مستعملها من حساب مواضع الشمس والقمر في أي وقت، وتعتمد الجداول على نظريات بطليموس الإسكندري مع تحديث الثوابت الفلكية. ويحتوي الزيج في العادة على أكثر من مائة صفحة من الجداول و شروحها. ويشكل ما وصل إلينا من الأزياج الإسلامية (وهي حوالي مائتي مثال) مصدرا أساسيا لمعرفتنا بالفلك الإسلامي. (مأخوذة من مخطوط القاهرة رقم دم ٤٠٠، بإذن دار الكتب المصرية.)



نماذج من مجموعة الجداول لحساب الزمن التي كانت تستعمل في القاهرة من القرن الثالث عشر إلى التاسع عشر. وتستلهم الكثير من هذه الجداول أفكار الفلكي ابن يونس (القرن العاشر). وكانت الجداول تستعمل في حساب الزمن نسبة إلى الشمس – وفى تنظيم مواقيت الصلاة المحددة فلكيا. وألهمت هذه الجداول القاهرية مجموعات أخرى من جداول حساب الزمن فى إستانبول، وتعز، وتونس، ودمشق، والقدس، ومكة. ولم يجر أي بحث حديث على هذه الجداول قبل عام ١٩٧٠. يبين هذان الجدولان الموعد (قبل الظهر) الذي تبين فيه الشمس الاتجاه إلى مكة، كما يبين مدة مغيب الشفق لكل درجة من طول الشمس (وهي مرادفة تقريبا لليوم الواحد). وهذه الأوقات مضبوطة في حدود ثوان قليلة. (مأخوذة من مخطوط دبلن٣٦٧٣، بإذن مكتبة تشستر بيتى.)



جداول لتحديد اتجاه القبلة من أي موقع في العالم الإسلامي، حسبها المؤقت شمس الدين الخليلي في دمشق في منتصف القرن الرابع عشر. وتبين الجداول القبلة كزاوية مع خط الزوال، يعبر عنها بالدرجات والدقائق لكل درجة عرضية (هنا من ٣٩ - ٤٤ درجة)، ولكل درجة طولية تفرقها عن مكة (من ١ إلى ٦٠ درجة). وتضم الجداول مجموعة لحساب الوقت عن طريق الشمس ومجموعة لتنظيم أوقات الصلاة - مصممة لمدينة دمشق . كما تضم مجموعة لحل كل مسائل الفلك الكروى العادية في أي خط عرضي. واستعملت جداول الخليلي في دمشق حتى القرن التاسع عشر، ووصفت لأول مرة في الأبحاث الحديثة في السبعينيات من هذا القرن. (من مخطوط باريس BN ar ٢٥٥٨ ، بإذن المكتبة الوطنية.)

٢٣ ـ مخطوط دبلن الأنيق والخاص بمجموع جداول ضبط الوقت وتنظيم مواقيت الصلاة التي كانت تستخدم في القاهرة في العصور الوسطى.
٢٤ ـ مخطوطات باريس الخاصة بنسختين متغايرتين من «الزيج المصطلح» وهو أكثر الكتب شيوعا في الفلك في مصر في العصور الوسطى.
٢٥ ـ مخطوط دبلن الفريد الخاص لرسالة ابن السراج حول الآلات الفلكية (حلب حوالي ١٣٢٥).
٢٦ ـ مخطوط أكسفورد لزيج ابن الشاطر (دمشق حوالي ١٣٦٥).
٢٧ ـ مخطوط باريس لمجموع الجداول الخاصة بضبط الوقت ومواقيت الصلاة تأليف شمس الدين الخليلي (دمشق حوالي ١٣٦٥)، وكانت هذه االجداول تستخدم في دمشق حتى القرن التاسع عشر.

ولا تزال القائمة تمتد ولم نصل حتى إلى زيج ألغ بك. وإني أدرك ضرورة التوصل إلى نص سهل الاستعمال للترجمات العربية لكتاب «المجسطي» لبطليموس وكتاب «الأصول» لإقليدس، وإنه في نية جورج صليبا أن يحقق«المجسطي»، ولكن ليس ثمة أمل حاليا في الحصول على نص محقق لـ"الأصول" ، ولذلك فإن طبعة طبق الأصل تكون مفيدة للغاية. والواقع أن التعقيد الملحوظ في الطبعة التي حققها مؤخرا باول كونيتش Kunitzch للترجمة العربية لقائمة بطليموس الخاصة بالنجوم يدل على مدى صعوبة إعداد طبعات مبنية على الأصول لمثل هذه الأعمال.

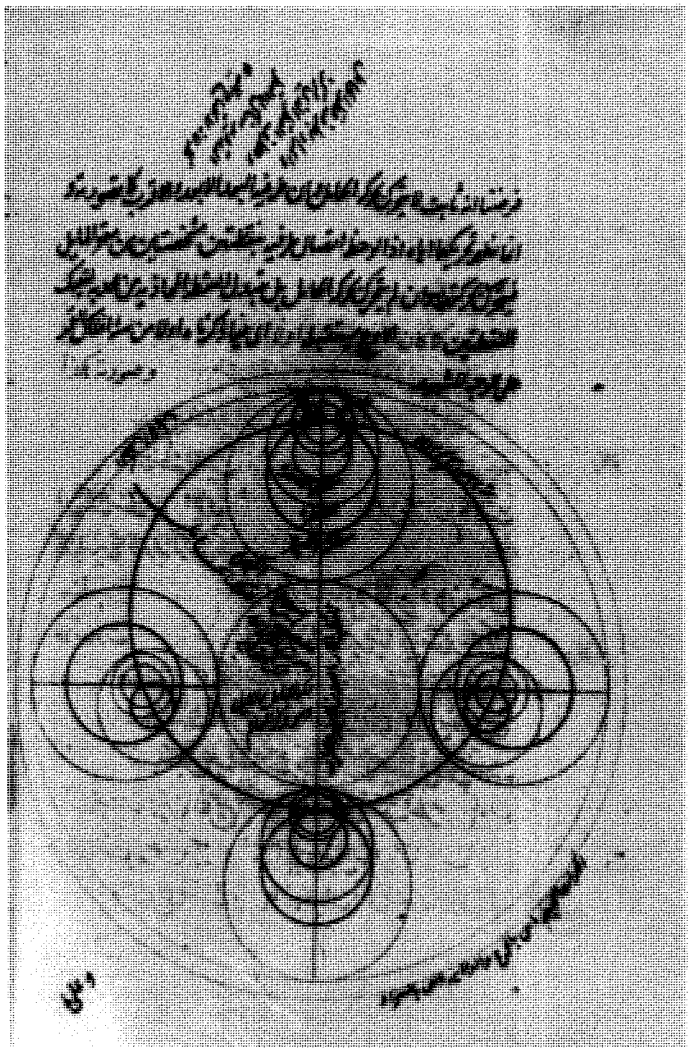
ومن الأمور التي من شأنها أن تعزز موضوع دراستنا أن يتم توفير المخطوطات المختلفة لعدد من الرسائل القصيرة (ما يطلق عليها بالعربية اسم "مجاميع" أو بالألمانية Sammelbände) في شكل طبعات طبق الأصل (فاكسيميلي) وهي ما يلي:
١ ـ مخطوط بانكيبور رقم ٢٤٦٨ (قدم عرضا له أحمد سعيدان و يان هوجنديك).
٢ ـ مخطوطي إستانبول مكتبة آيا صوفيا رقم ٤٨٣٠ ورقم ٤٨٣٢ (غير مفهرس وقام م. كراوزه بإدراج بعض محتوياته في قائمة).
٣ ـ مخطوطي القاهرة بدار الكتب رقم م ر ٤٠ و ٤١ (قام بفهرستها الكاتب الحالي) ومجموعتان عثمانيتان من الرسائل العربية المفندة لبعض الأعمال اليونانية (وبعضها غير موجود في أية أماكن أخرى) ورسائل إسلامية مبكرة تتعلق بالفلك والرياضيات .

٤ ـ مخطوط باريس بالمكتبة الوطنية رقم ٢٤٥٧ (فهرسه دي سلين) ومن المحتمل أن يكون بخط السجزي (حوالي ٩٧٠).
٥ ـ مخطوط أكسفورد بمكتبة البودليان رقم مارش ٦٣٣ (مفهرس).
٦ ـ مخطوط دمشق رقم ٤٨٧١ (قام بوصفه جميل راغب وكيندي).
٧ ـ مخطوط برنستون رقم يهودا ٣٧٣ (فهرسه رودلف ماخ) وهو مجلد عثماني يضم عدةرسائل خاصة بالآلات.

وجميع المخطوطات (فيما عدا رقم ٢) أعلاه مفهرسة أو موصوفة بإيجاز في المراجع الثانوية، وهي تشمل (فيما عدا الأخير) أعمالا مبكرة عن الفلك والرياضيات لم تتم دراستها على نحو مرض. ويعتبر كل مخطوط من هذه المخطوطات كنزا ثمينا للباحثين ولكن غالبا ما تكون محاولة اقتناء الميكروفيلم واستعماله مصدرا للمتاعب. أما أن يقتنتي الباحث نسخ طبق الأصل من هذه المجلدات (قام عالم متخصص بوضع مقدمة جيدة لها) ويضعها على رفوف مكتبته الخاصة فهذا يعتبر بمثابة الحلم.

الرسوم التوضيحية في المخطوطات العلمية الإسلامية

تناولت موضوع الرسوم التوضيحية في المخطوطات العلمية الإسلامية وذلك في مؤتمر "الكتاب الإسلامي" الذي نظمه الدكتور جورج عطية في واشنطن في شهر نوفمبر عام ١٩٩٠. والواقع أن دراسة هذا الموضوع لم تكد أن تبدأ . ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن جون ميردوك Murdoch في كتابه «ألبوم العلم ـ العصور القديمة والوسطى» (١٩٨٤)، والمحتوي على أكثر من خمسمائة لوحة، لم يورد سوى عشرين رسما مأخوذا من المخطوطات العربية. ونذكر مع هذا أن الدكتور سيد حسين نصر استطاع أن يزود كتابه عن العلوم الإسلامية، والذي أعده للمهرجان الإسلامي في لندن في سنة ١٩٧٦، بمجموعة فاخرة من الرسومات التوضيحية (الكثير منها بالألوان) المأخوذة من المخطوطات العلمية الإسلامية . ويشتمل العرض الذي قمت به شخصيا لمخطوطات القاهرة على مائتين وأربعين لوحة تقريبا، وهي أقل فخامة ولكنها تشتمل على كثير من الرسومات التوضيحية لنماذج الكواكب أو الآلات وأمثلة لمختلف أنواع الجداول ولخط يد بعض الفلكيين وأشياء أخرى ذات قيمة تاريخية. ومن الواضح أن هناك حاجة إلى كتاب مشابه للألبوم المذكور أعلاه يشتمل على رسومات توضيحية من المخطوطات الإسلامية، كما أن هناك حاجة إلى بحوث في تاريخ الفن تدرس أنماط الرسومات التوضيحية المختلفة.



نموذج هندسي للكوكب "عطارد" من رسالة في الفلك النظري لقطب الدين الشيرازي (مراغة، حوالي سنة ١٢٩٠). اكتشف في الخمسينات أن علماء الفلك المسلمين قاموا بتطوير وتحسين نماذج بطليموس الهندسية للشمس والقمر والكواكب السيارة. ونبعت بعض هذه التطورات من مواقف فلسفية البعض الآخر من أرصاد واقعية جديدة - وإن ظلت النماذج الإسلامية تتخذ من الأرض مركزا للكون. ودفعت نفس الأسباب السالفة كوبرنيكوس إلى تطوير نماذجه الجديدة (التي اتخذت من الشمس مركزا للكون) والتي تطابق رياضيا بعض نماذج سابقيه من علماء المسلمين. ولم نجد حتى الآن دليلا قاطعا على أن كوبرنيكوس قد أطلع على أعمال الفلكيين المسلمين. (مأخوذة من مخطوط القاهرة رقم ك ٣٧٥٨، بإذن دار الكتب المصرية.)

بعض الآلات الفلكية الهامة

تعتبر الآلات مصدرا هاما آخر من مصادر معرفتنا عن تطور العلوم الإسلامية، وفي استطاعتنا الآن أن نقيم الأسطرلابات والأرباع والكرات الفلكية والساعات الشمسية الصادرة عن مختلف المدارس الفلكية في العالم الإسلامي من القرن التاسع إلى القرن التاسع عشر. وغالبية هذه الآلات موجودة بالمتاحف، والأقلية ـ وهي عدد لا بأس به ـ يقتنيها بعض الأفراد. وقيمة هذه الآلات التاريخية تنعكس في الأسعار العالية التي تباع بها في المزادات العامة.

وقد نشرت مؤخرا مقالا مطولا ومزودا بالصور التوضيحية الكثيرة عن الآلات الإسلامية. وحاليا يمكن استعمال كتاب ماير Mayer عن صناع الأسطرلاب الإسلاميين والفهرس الذي أعدته إيميلي سافيج ـ سميث Savage-Smith عن الكرات الفلكية الإسلامية، يمكن استعمالهما لتحديد أماكن وجود الكثير من هذه الآلات . و من المتوقع أن نشر بريو Brieux وماديسون Maddison لفهرس "ريبرتوار"، وكذلك نشر الفهرس الذي قمت بإعداده (وكلاهما مشار إليه أعلاه) سيثير إهتماما كبيرا بالآلات الإسلامية.

إن علو أسعار الآلات الأصلية يجعل اقتنائها خارج حدود إمكانيات معظم المؤسسات الأكاديمية، ولكن النماذج طبق الأصل (المصنوعة حديثا) لتلك الآلات التاريخية تفي بأغراض التدريس والعرض وتعتبر حلا جيدا. فباستخدام الأساليب الحديثة يمكن استنساخ صور طبق الأصل للآلات التاريخية بأسعار معقولة، وهناك مختلف الشركات التجارية التي تقوم بهذا العمل. وقد قام معهد تأريخ العلوم الإسلامية والعربية في فرانكفورت بإعداد حوالي مائتي نموذج حديث للآلات الإسلامية، ولكن هذه المجموعة الخاصة ليست مفتوحة للجمهور العام حتى الآن.

والآلات التالية هي من أهم الآلات الفلكية الإسلامية:

١ ـ أسطرلاب نسطولس (وتاريخه ٣١٥هـ/٩٢٧ أو٩٢٨م) وهو من الأسطرلابات الإسلامية الأولى (الكويت، دار الآثار الإسلامية).

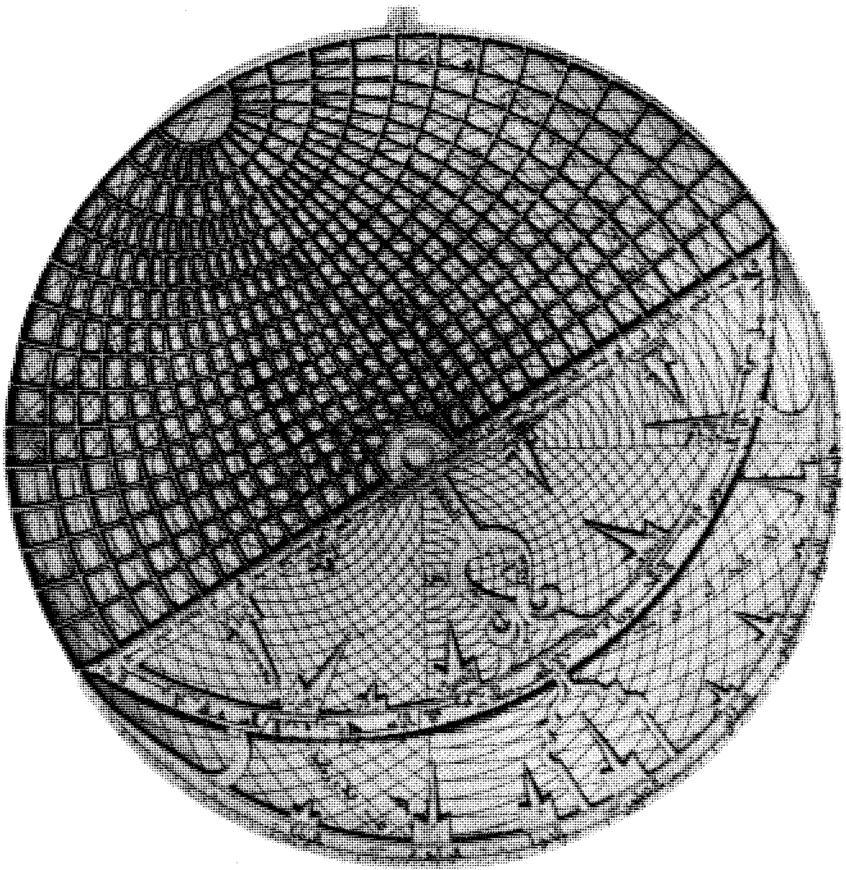
٢ ـ الأسطرلاب الرائع الخاص بالفلكي المعروف الخجندي (وتاريخه٣٧٤هـ/ ٩٨٥م) ويمثل ذروة صناعة الآلات في العصر العباسي (مجموعة خاصة).

٣ ـ الأسطرلاب الرائع الخاص بعبد الكريم المصري (وتاريخه ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠ أو ١٢٤١م) (لندن، المتحف البريطاني)، وأسطرلاب جلال الكرماني (وتاريخه ٨٣٠هـ/١٤٢٦ أو ١٤٢٧م) الذي أهداه للفلكي ألغ بك، (كوبنهاجن، مجموعة ديفيد).

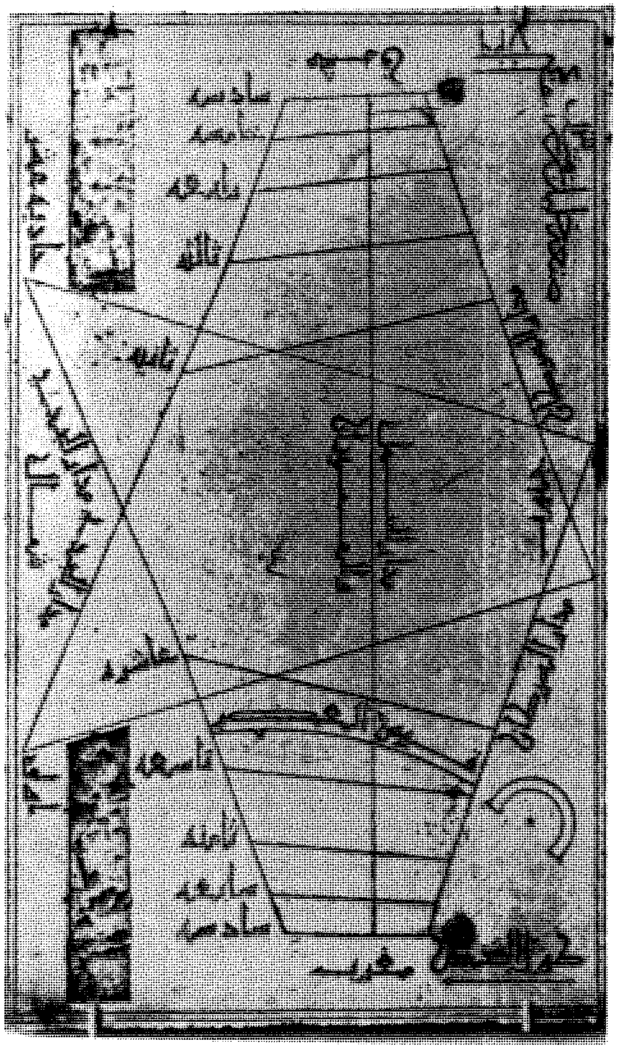
٤ ـ الكرة الفلكية الخاصة بمحمد ابن الفلكي مؤيد الدين العرضي والمصنوعة في

مراغة في أواخر القرن الثالث عشر (درزدن، صالون الفيزياء والرياضيات).
٥ ـ الساعة الفلكية الكبيرة في مسجد القرويين في فاس، وقد صنعت (في سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م) لتحل محل ساعة سابقة عليها (ولم يبقى سوى وجه الساعة واختفت آليات التحريك).
٦ ـ الأسطرلاب الفاخر الخاص بابن السراج الحلبي (وتاريخه ٧٢٩هـ/١٣٢٨ أو ١٣٢٩م) ويمكن استخدامه بخمسة طرق مختلفة لأي خط عرض على الكرة الأرضية، ويعتبر دون شك أكثر الأسطرلابات تطورا على الإطلاق (أثينا، متحف بناكي).
٧ ـ الساعة الشمسية بالغة التعقيد الخاصة بابن الشاطر وصنعت في سنة (٧٧٣هـ/١٣٧١ أو١٣٧٢م) للجامع الأموي في دمشق (دمشق، دار الآثار [أجزاء فقط متبقية من الأصل، ونموذج يطابق الأصل صنع في القرن التاسع عشر و لا يزال في الموقع الخاص به من الجامع]).
٨ ـ الجهاز الخرائطي الرائع لتحديد اتجاه القبلة والمصنوع في إصفهان (حوالي ١٧٠٠م) وباستخدامه يمكن إيجاد اتجاه القبلة لأي موقع بين أسبانيا والصين مباشرة من الخريطة (مجموعة خاصة).

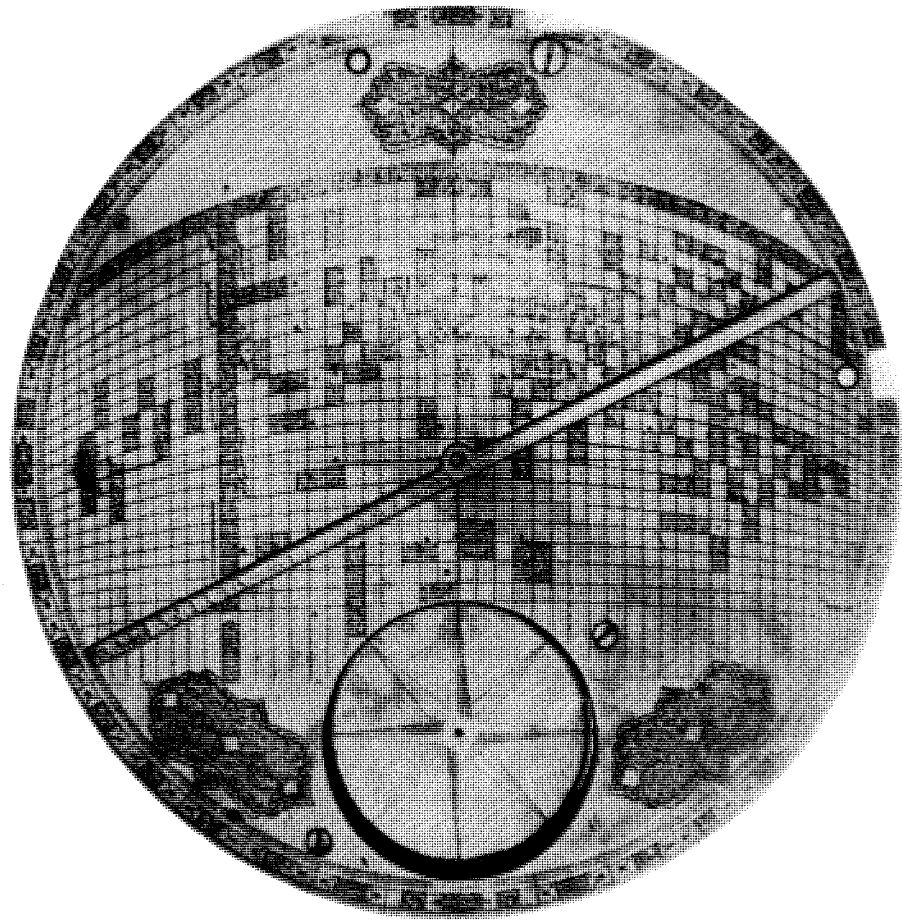
هذا عدد محدود فقط من الآلات الإسلامية التي يزيد عددها عن ألف آلة والتي بقيت حتى الآن. وتنطوي الآلات الوارد ذكرها في الرسائل المعاصرة على أهمية تاريخية خاصة. ومن الأمثلة على ذلك نشير إلى الأسطرلاب العالمي الخاص بابن السراج والذي انتقلت ملكيته في القرن الخامس عشر إلى الفلكي المصري عز الدين الوفائي. وكان هذا الأخير قد اشتكى من أن سلفه الشهير لم يؤلف كتابا عن استخدام الآلة، ولذلك فإنه أخذ على عاتقه هذه المهمة. وقبل اكتشاف رسالة الوفائي لم يكن واضحا على الإطلاق كيف كانت تستعمل بعض الأجزاء التي يتكون منها الأسطرلاب. كذلك يمكن أن نشير إلى الأسطرلاب الذي وقع عليه سلطان الدولة الرسولية السلطان أشرف في سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وكان هذا السلطان قد ألف كتابا عن صنع الأسطرلاب. وقد ألحق بهذا العمل بعض الملاحظات التي أدلى بها معلموه حول كل الأسطرلابات التي صنعها، ومن بينها نستطيع أن نتعرف على الأسطرلاب الوحيد الذي بقي حتى يومنا هذا وهو الآن في متحف "متروبوليتان" للفن في نيويورك. ولكن كثيرا من الآلات الهامة لا يوجد وصفها إلا في بطون الكتب. ويقوم رتشارد لورتش Lorch حاليا بتحقيق كل النصوص الموجودة على الأسطرلابات غير



علامات فلكية على أسطرلاب ابن السراج العالمي (حلب ٧٢٩ هـ/١٣٢٨-١٣٢٩م). يعد أسطرلاب ابن سراج أكثر الأسطرلابات تطورا على الإطلاق، ويمكن استخدامه بخمسة طرق مختلفة لأي خط عرض على الكرة الأرضية. وقد اكتشف في عام ١٩٨٢ في مكتبة تشستر بيتي بدبلن مخطوط لكتاب ابن سراج عن جميع الآلات التي اخترعها أو عرفها. وهناك أيضا رسالة اكتشفت حديثا لفلكي مصري كان يمتلك أسطرلاب ابن سراج فيصف كيفية استعماله - ولم يكن هذا واضحا من قبل. (بإذن متحف بناكي بأثينا).



ساعة شمسية للقاهرة، صنعها الخليل بن رمتاش في ٧٢٦هـ (١٣٢٥-١٣٢٦م). وتبين الساعة الخطوط لساعات النهار (حسب كل فصل من فصول السنة) ولصلاة العصر، كما تبين اتجاه القبلة في القاهرة، وهي إحدى الساعات النادرة التي بقيت من العصور الوسطى. وقد شغل علماء المسلمين بنظريات وصناعة الساعات الشمسية من القرن التاسع إلى التاسع عشر وزينت مساجد كثيرة في العصور الوسطى بساعات شمسية فاخرة. ولعل أفخم ساعة شمسية من ذلك العصر هي التي صنعت للجامع الأموي في القرن الرابع عشر حين كانت دمشق هي المركز الرائد للتوقيت الفلكي في العالم. (بإذن متحف فيكتوريا وألبرت الملكي بلندن).



آلة لايجاد القبلة صنعت في إصفهان (حوالي ١٧٠٠م) . وهي فريدة من نوعها وتبين شبكة خرائطية حددت عليها مدن عديدة فيما بين الأندلس والصين، مع مسطرة قطرية. وباستخدام الجهاز يمكن إيجاد القبلة والمسافة إلى مكة من أي موقع بشكل مباشر. وعرف علماء المسلمين منذ القرن التاسع حساب القبلة والمسافة إلى مكة، وقاموا من وقتها بوضع جداول تبين اتجاه القبلة لجميع خطوط الطول والعرض. وتمثل هذه الآلة ذروة الاستعمال العملي لعلم الخرائط والرياضيات التطبيقية الإسلامية. (مجموعة خاصة).

العادية. وقد اخترعت هذه في القرنين التاسع والعاشر، ولدينا رسائل عنها كتبها عدد من العلماء المسلمين أمثال السجزى والبيروني والمراكشي وابن السراج، ولكن لم تصل الينا آلة واحدة من هذا النوع سالمة من غدر الزمان. ويذكر السجزي أسماء الأفراد الذين صنعت لأجلهم أنواع الأسطرلابات المختلفة.

الدراسات المجمعة

تتوافر الآن البحوث المجمعة التي ألفها الزملاء من الجيل الحالي والجيل الماضي في مجلدات معادة الطبع. ففي عام ١٩٤٤ نشرت أرملة الباحث نالينو Nallino بحوثه غير المنشورة في الفلك والتنجيم. كذلك أعيد طبع البحوث العديدة لكل من ميلاس فاليكروسا Millás Vallicrosa و خوان فيرنيه Juan Vernet . وقامت دار النشر "فيرلاج" بطبع بعض البحوث المجمعة لكل من إيلهارد فيدمان Wiedemann (مجلدان) و فيلي هارتنر Hartner (مجلدان). ويرجع الفضل لمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت في أن لدينا الآن البحوث المجمعة لمختلف العلماء في القرنين التاسع عشر والعشرين وهم: فرانتس فوبكه Woepcke (مجلدان) وكارل شوي Schoy (مجلدان) و هاينريش زوتر Suter (مجلدان)، وبعض مجلدات تحوي أوائل الدراسات عن الآلات الفلكية الإسلامية. وبالرغم من أن الكثير من هذه الدراسات المبكرة تعتبر الآن قائمة على أفكار قديمة وتم تجاوز بعضها إلى آفاق جديدة - إلا أن هذه المجلدات ذات قيمة كبيرة وتعمل على توفير العديد من الساعات التي يقضيها الباحث في تصوير المواد من دوريات القرن التاسع عشر. وقد كرمت الجامعة الأمريكية في بيروت أستاذها المتفرغ كيندي E S Kennedy وذلك بإعادة نشر حوالي خمسة وسبعين بحثا من تأليفه أو إلهامه (وكانت إسهاماته مدونة أساسا في الكتب لا في الدوريات) في مجلد واحد كبير. ويرجع الفضل لدار النشر البريطانية "فاريورم" في إعادة طبع البحوث التي كتبها في الفترة الأخيرة بيرنارد جولد شتاين Goldstein (مجلد واحد) و ديفيد كنج King (مجلدان والثالث تحت الطبع) وباول كونيتش Kunitzch (مجلد واحد) وفرانز روزنتال Rosenthal (ثلاثة مجلدات). وينتظر أن يعاد طبع أعمال دافيد بنجري Pingree وخوليو سامسو Samsó في نفس سلسلة هذه الطبعات.

وهناك عدة أعمال تتناول مختلف جوانب العلوم الإسلامية وتستحق أن يعاد طبعها. ومن الأمثلة على ذلك كتاب «المرصد في الإسلام» تأليف أيدين

سايلي Sayili . فعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد صدر منذ أكثر من ثلاثين عاما فإنه لا يزال دون نظير ولا يحتمل تجاوزه أو التفوق عليه لمدة طويلة. وقد أعيد طبعه مرة فى ١٩٨١م ومع هذا لم يزل من الصعب الحصول على نسخة منه. وهذا الكتاب يجب أن يصل إلى جمهور من القراء أكبر وأوسع ممن قرأوه حتى الآن. وفي الآونة الأخيرة أعادت الجمعية الفلسفية الأمريكية طبع دراسة «الزيج» التي أجراها كيندي في عام ١٩٥٦ والتي كان يصعب الحصول عليها منذ مدة طويلة.

إقامة مكتبة جديدة للعلوم الإسلامية

يجب على أي مكتبة جديدة لمراجع العلوم الإسلامية أن تقتني ما يلي:

١ ـ أعمال بروكلمان وسيزكين.

٢ ـ الأعمال الموسوعيةالمذكورة أعلاه.

٣ ـ جميع أعمال مدرسة كيندي.

٤ ـ مطبوعات معهد العلوم عند العرب في جامعة حلب .

٥ ـ كل المطبوعات التي يعيد طبعها معهد فرانكفورت لتاريخ العلوم العربية والإسلامية.

٦ ـ كل مطبوعات مدرسة برشلونة.

٧ـ كل المطبوعات المتعلقة بالموضوع والصادرة من CNRS في باريس .

٨ ـ كل المجلدات المتعلقة بالموضوع والصادرة من "فاريورم" و مطبعة جورج أولمس.

٩ ـ المجلات المتخصصة المذكورة سابقا.

ويمكن أيضا إقتناء أعمال مختارة إضافية حسب احتياجات الباحثين الذين يستخدمون المكتبة.

ملاحظـــات ختاميـــة

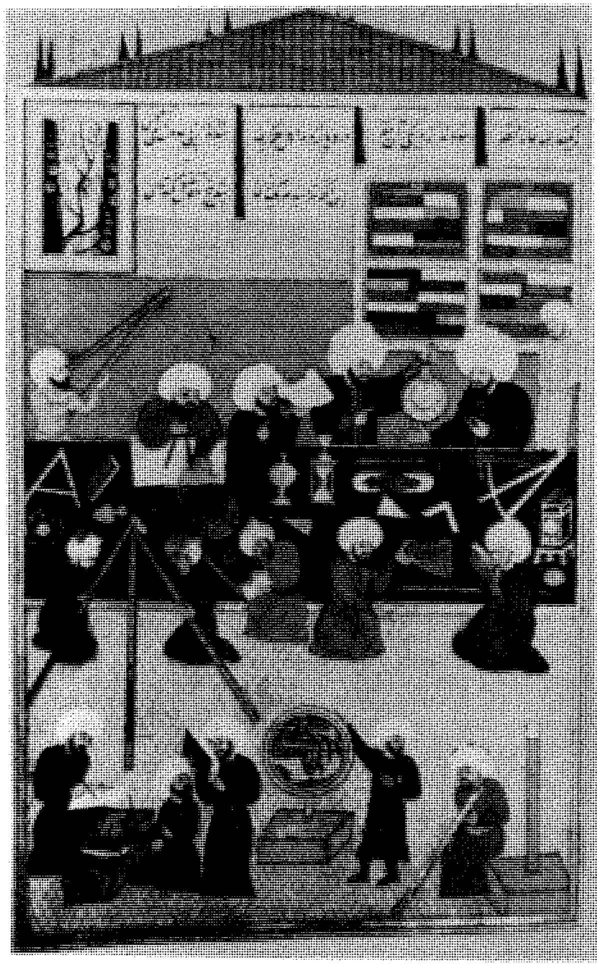
إن هذا المجال الذي نعمل فيه مجال مثير، يتعلم الباحث فيه أن يحترم العلماء المسلمين في العصور الوسطى، ويحاول أن يمشي على خطى العلماء المحدثين من مختلف الجنسيات والتخصصات الذين مهدوا لنا طريق البحث ووضعوا له المعايير التي نسعى للحفاظ عليها. وهكذا فإن الفرد منا لا يعمل

وحده وإنما ينعم بانتمائه لجماعة متزاملة من الباحثين في مختلف أرجاء العالم.

إن مهمة تحقيق النصوص هي أصعب مهمة تواجهنا، كما أنها المهمة التي تنطوي على الأهمية العظمى على المدى البعيد. وهي من الصعوبة بحيث يتحاشاها بعض الباحثين. وعندما كنت طالب دراسات عليا كان لي أستاذ لديه تفهم للصعوبات الخاصة بتحقيق النصوص ونصحني هذا الاستاذ قائلا: "ليس النص الذي تعمل في تحقيقه هو المهم - المهم أن تتأكد أنه لا يوجد منه سوى مخطوط فريد". ومن حسن الحظ أن معظم الباحثين الوارد ذكرهم أعلاه كانوا على درجة أكبر من الجرأة.

شكر وتقدير

أود أن أشير إلى استفادتي من التصحيحات والإضافات التي أدين بها لعدد من الزملاء. وأعبر عن شكري بوجه خاص للدكتور يان هوجنديك (أوترخت) والبروفيسور هنري كنج (ليتل شلفونت، المملكة المتحدة) والبروفيسور باول كونيتش والدكتور رتشارد لورتش (وكلاهما من ميونيخ) والبروفيسور جورج صليبا (نيويورك) والبروفيسور خوليو سامسو (برشلونة) وهم بالطبع غير مسؤولين عن أي تقصير أو سهو من جانبي.



منمنمة تبين مرصد إستانبول في أواخر القرن السادس عشر. ويرى مدير المرصد، تقي الدين ممسكا بأسطرلاب. وقد كتب تقي الدين كتبا في صناعة الأسطرلاب والساعات الشمسية ، كما كتب رسالة في الساعات الآلية (الميكانيكية)، وكان هذا الأخير تحت النفوذ الأوروبي. والكرة الأرضية المبينة هي أيضا من أوروبا. بعض الكتب التي نراها خلف تقي الدين موجودة الآن بمكتبة جامعة ليدن، ولا تزال علامة ملكيته مقروءة على الصفحة الأولى، ومعظمها لم يدرس في العصر الحديث. وكان علم الفلك العثماني مركبا من التراث الفلكي المصري والسوري والآسيوي (من وسط آسيا)، ويبين نفوذا متزايدا لعلم الفلك الأوربي. ويحتوي المرصد الحديث بـ"قنديلي" قرب إستانبول على مجموعة كبيرة من المخطوطات والآلات، يعود معظمها إلى ما بعد عصر تقي الدين وزملائه. (مأخوذ من مخطوط إستانبول UL يلدز ١٤٠٤، بإذن مكتبة الجامعة).

نوادر المخطوطات الأدبية في خزانة البغدادي

عبد العزيز أحمد الرفاعي

القسم الأول: إيضاح

بالرغم من إحساسي بأن الزمن المحدد لا يتسع للمقدمات، بل يتطلب الدخول الفوري إلى الموضوع المخصص، أشعر أن ما سأورده من معلومات لن يكون جديدا عليكم، أو على الكثير منكم، بل أن من بينكم الخبراء المتخصصين، الذين هم أعرف وأكثر علماء، ولئن سمحت لنفسي - أو فلأقل لجهلي - أن يخوض في هذا الموضوع، فإنما ذلك لمسوغين اثنين.. أولهما، أنني لم أستطع رفض إشارة من أحسن بي الظن.. وثانيهما: الرغبة في أن تكون مقالتي هذه بمثابة إثارة للحوار، لعلي أستطيع أن أضيف منه إلى معلوماتي الضئيلة شيئا جديدا، وأنى لي أن أجد فرصة أوسع من هذه للتزود بالمعرفة.. وجزى الله خيرا من أتاحها.

لقد كان بودي حقا أن أتحدث عن نوادر المخطوطات الأدبية المبثوثة في العالم، التي لم تر النور بعد، ولكن هذا الموضوع من السعة بحيث يتطلب مؤلفا كبيراً، ولعل هناك من عنى بالتأليف عنه.. وهو أيضا مما تضيق به محاضرة محدودة الزمن. لذلك فقد اتجهت إلى أن أحصر الحديث في نطاق يليق بهذا الزمن المحدود، ويعينني على الخوض فيه.

لقد اخترت أن أحدثكم عن نوادر المخطوطات الأدبية التي كانت موجودة في خزانة البغدادي، صاحب الخزانة.. (أعني عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠.

ـ ١٠٩٣هـ) وكتابه «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»، ووقع اختياري عليه، لأنه من الأعلام المتأخرين، فهو كما ترون من أعيان القرن الحادي عشر، عصره لا يبعد عنا سوى ثلاثة قرون فقط.. وكانت خزانة كتبه حافلة بمخطوطات كثيرة، منها مخطوطات أدبية جمة، سردها في مقدمة كتابه «الخزانة»، وأقصد بكلمة "الأدبية" هنا، ما له صلة بالأدب الفني، وليس الفكر في عمومه، أي أنني لن أدور في ذلك الفلك الواسع الذي دار فيه بروكلمان أو البروفيسور سزكين.

ومن الطبيعي أن أحصر الحديث أيضا عن المخطوطات التي لم تنشر بعد، والتي تنتشر في مكتبات العالم العامة أو الخاصة، مغفلا الحديث عن المفقود، أو ما يظن أنه مفقود حتى الآن.

لقد اقتنى البغدادي مكتبة كبيرة.. حدثنا عن بعض نفائسها عندما ذكر بعض مصادره في مقدمة كتابه النفيس.. كما ردد الحديث في كل مناسبة تطلبت ذلك، ليذكر لنا أن هذا الكتاب أو ذاك في خزانة كتبه، أو أنه اطلع عليه.

وقد يسر الله لهذا الكتاب الفذ، محققا فذا، هو الأستاذ عبد السلام هارون - يرحمه الله - الذي أولاه عناية فائقة.. كما يسر له ناشرا هماما هو الأستاذ محمد الخانجي صاحب دار الخانجي الذي أخرجه مع فهارسه في ثلاثة عشر مجلدا إخراجا متقنا.

حدثنا الأستاذ هارون (ص٥ وما بعدها من مقدمته في مستهل الجزء الأول من «الخزانة»)، أن البغدادي رحل إلى مصر سنة ١٠٥٠هـ، وكان في العشرين من عمره، فاتصل بشهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) صاحب «ريحانة الألباء».. وكانت له مكتبة كبيرة - يقول الأستاذ هارون (ص ٧):

«وقد كان لمكتبة الشهاب فضل عظيم على صاحب الخزانة، في أثناء حياة الشهاب، بمقتضى ملازمته له، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩هـ لأن البغدادي تملك أكثر كتبه كما ذكره المحبي، في خلاصة الأثر ٢:٤٥٢: (ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه، وجمع كتبا كثيرة غيرها، وأخبرني عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة)، فمن ذلك ما نرى أن ثبت مكتبة البغدادي مما يقف أمامه الناظر وقفة العجب والدهشة، لما حواه من نوادر التصنيف، وعجائب التأليف..» أ هـ

هذا ما قاله الأستاذ (هارون) عن مكتبة البغدادي الحافلة. وبغض النظر عن احتمال المبالغة في رواية المحّبي عنها، إلا أن هذا يعطينا فكرة عن مدى ضخامة هذه المكتبة، وما اشتملت عليه من نوادر الكتب والدواوين.

لقد استوقف نظري .. (وقفة العجب والدهشة)! ما جاء في مقدمة البغدادي في الفصل المعنون منها: الأمر الثاني في ذكر المواد التي اعتمدنا عليها، وانتقينا منها وهي ضروب وأجناس ص ١٨، فقد مضى يعدد في حوالي عشر صفحات أهم المراجع التي رجع إليها.. أقول: أهمها وليس كلها، فهو يقول: فمنها ومنها.... الخ.. مما يدل على التبعيض، لا الحصر.

ومن حقنا أن نتساءل عن مصير هذه المكتبة الكبيرة التي اقتناها البغدادي، وحدثنا عن جانب منها، فإن لم نستطع أن نحدد مصيرها على وجه الدقة، فلا أقل من أن نحاول معرفة مصير مفرداتها، أو بعض مفرداتها، مما لم يقدر له الظهور بعد.

لقد أحصى الأستاذ عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ في تعريفه بكتاب خزانة الأدب ١:٢٠، عنوانات المصادر التي أسماها البغدادي في مقدمته فوجدها نحوا من ٩٤٥ عنوانا، وقال: (إذا ضمت إلى تلك العنوانات شروحها والكتب المؤلفة في تلخيصها أونقدها جاوزت أربعة آلاف كتاب، كثير منها قد فقد أو ضاع) أ.هـ

وأنا أفترض، وأرجو أن لا أكون مخطئا، أن جل هذه العنوانات هي من كتب الأدب واللغة، التي تتصل بشواهد النحو وشروحها، أو بتراجم الشعراء أصحاب تلك الشواهد.. كما يدل على ذلك عناية البغدادي بالجانب الأدبي في خزانته، كأنما يجد راحة نفسية كلما تطرق الحديث إلى هذه الناحية، فيميل إلى إشباعها.

وإذا كانت الظروف قد بددت شمل هذه المكتبة الكبيرة، فلم يعرف لها مصير محدد، وهو أمر مؤسف حقا، فقد وجد الباحثون، شوارد منها، ارتحلت شرقا وغربا.. وشمالا وجنوبا.

ويُحدثنا الأستاذ هارون ـ رحمه الله ـ في إشارات خاطفة، في مقدمة تحقيقه لـ«الخزانة»(ص.١) عن بعض الشوارد من مكتبة البغدادي، فيذكر أنه وجد بخطه نسخة من كتاب «فُرحة الأديب» لأبي محمد الأعرابي الغُندجاني، مودعة في دار الكتب المصرية، كتبها لنفسه، وإن لم يتحدث عن مالك نسخة الأصل الذي استنسخ منه.

كما يذكر في الصفحة ذاتها أن الأستاذ عبد العزيز الميمني ـ رحمه الله ـ ذكر أن نسخة «مجمع الأمثال» للميداني، المحفوظة في خزانة (بانكي بور) في الهند عليها عبارة بخط البغدادي، تدل على تملكه لها، وكذلك على كتاب «المعمرين» للسجستاني، الذي طبع في ليدن من هذا الأصل، وكذا «الوصايا»

للسجستاني أيضا، وكذلك في أوروبا جزء من كتاب «شرح شواهد شرح الشافية» بخطه.

والانطباع الذي خرجت به، وأنا ألقي النظر على مجمل تلك الصفحات العشر التي أشار فيها البغدادي إلى بعض مراجعه؛ هو:

١- أنه يكاد يجمع في مكتبته مؤلفات كل عالم أو أديب من مشاهير أرباب الفن، حتى يكاد لا يغادر منها شيئا.. خاصة في علم النحو.

٢- أنه جمع عددا كبيرا من كتب شروح الشواهد، وأهمية هذه الكتب معروفة للمعنيين بالأدب والشعر، لما تحويه من نصوص وتراجم، ومعلومات تاريخية مهمة.

٣- ويقترب من ذلك تفسير أبيات المعاني المشكلة، التي تشتمل على الفوائد ذاتها، للباحثين في التاريخ الأدبي.

٤- أنه جمع أيضا عددا كبيرا من دواوين الأشعار، التي سردها في حوالي ثلاث صفحات، وأن من حق الباحث أن يعجب كيف وصلت هذه الدواوين جميعها إليه عبر ما يزيد عن ألف سنة.. ثم .. ما مصير كل هذه الدواوين؟

٥- أنه كان يملك مجاميع مختلفة، لفنون من علوم العربية، وآدابها، مما يدعو حقا إلى الانبهار.

وقد استوقف نظري بصفة خاصة ما ذكره (ص٢٦) عن كتب «أغلاط اللغويين».. وهذا جانب مهم من جوانب التأليف نسقه البغدادي في عبارة واحدة، وكأنما جمعها في رف خاص من رفوف خزانته العامرة.. استمد منه عونا على روحه الناقدة المحققة، التي تجلت في كتاب «الخزانة».

ومع ذلك الشتات الذي أصاب مكتبة البغدادي، كما أصاب غيرها من مكتبات أمثاله من مشاهير المتأخرين، لا ينبغي أن ننسى جانبا إيجابيا مطمئنا، هو احتفاظ مكتبات إستانبول بكثير من نفائس كتب التراث، ومن أهم ذلك مكتبة كوبريلي.. وهذا الوزير الخطير، أعني أحمد باشا بن محمد كوبريلي (توفي ١٠٨٧هـ) كان له شأن في حياة البغدادي، لا ينبغي أن نغفل الإشارة إليه، فقد اتصل به البغدادي، فأدناه وأكرمه، وجمع بينهما حب العلم والأدب والكتب، ولا شك أن البغدادي، كما استفاد من مكتبة أستاذه الخفاجي، فقد استفاد أيضا من مكتبة صديقه كوبريلي، وإن كنت لا أملك تفصيلات عن مدى هذه الاستفادة، ولكن يترجح لدي أنه لولعه بالكتب، لا بد أن يكون قد استنسخ منها ما استنسخ.

ويدل حديث البغدادي في سرد مصادره، أنه كان محتفيا بكتب أبي علي الفارسي (الحسن بن أحمد، توفي ٣٧٧هـ)، وتلميذه ابن جني (عثمان ابن جني، توفي ٣٩٢هـ)، وأنه جمع مؤلفاتهما جميعها.. ونحن نعلم أهمية مؤلفات هذين العلمين.. كما نعلم الشتات الذي أصابها، ويكفي أن أضرب مثلا بكتاب «التذكرة القصرية» الذي ذكر الزركلي في أعلامه أنه يقع في عشرين مجلدا، وأنه في علوم العربية.. مع أن هذا الكتاب المهم مجهول المصير الآن بالرغم من أنه كان موجودا في خزانة البغدادي.

ولقد أردت من حديثي هذا، أن أتتبع ـ ما وسعني الجهد ـ مسميات تلك المخطوطات النادرة، وأن أدل على مواطنها ما وسعني إلى ذلك سبيل، وإن كنت أعلم أن مؤسسة الفرقان ـ جزى الله خيرا صاحبها ومعضديه ـ تبذل الجهد لفهرسة نوادر المخطوطات وتجميع ما أمكن منها، أو تصويره، وما محاولتي هذه إلا مشاركة في هذا السبيل.. أسأل الله التوفيق إليه.

كما لا يفوتني أن أذكر أن هناك جهودا مشكورة، تبذل لتحقيق كثير من المخطوطات النادرة، بما فيها نوادر المخطوطات الأدبية، ولكن الملحوظ أن غالبية هذه الأعمال، تظل بدورها مخطوطات لا تجد طريقها إلى النشر، حيث تظل حبيسة لا ترى النور، مع أهمية بروزها لعشاقها.. وأن الجامعات بالمملكة العربية السعودية، تضطلع بدور ملحوظ في اتجاه تحقيق المخطوطات، وتوجيه طلاب الشهادات العالية إليها، لتكون طريقهم إلى الماجستير أو الدكتوراة.. ولكن هذه الأعمال لا تجد سبيلها إلى النشر..

ولكن مما يدعو إلى الارتياح، أن هناك مراكز متعددة في العالم العربي، تهتم بفهرسة المخطوطات، والعناية بها، وجمعها، بيد أنني أود أن تكون هناك رابطة تربط هذه المؤسسات بعضها ببعض، لتنسق جهودها، وتتوزع مهماتها، وتتلافى التكرار، وتجد وسائل مجدية للتعاون الحقيقي المثمر، لخير التراث العربي والإسلامي.

وبعد، فإني أضع بين أيدي السادة الحضور مع كلمتي الموجزة هذه، بيانات المخطوطات الأدبية في خزانة صاحب الخزانة، مقتصرا فيها على ما غلب عليه ظني من أنه لم يطبع بعد، فكما لا يخفاكم أن الجهود في نشر كتب التراث لا تزال موصولة، على بطئها وقلتها، وهي متوزعة في أنحاء العالم، يضطلع بها الأفراد والمؤسسات في الشرق والغرب، مما يجعل ملاحقة هذه الجهود، أمرا ليس من السهولة بمكان..

وجدير بالذكر كذلك أنه بالرغم من الجهود التي تبذل أيضا في الفهرسة.. فإن هناك مكتبات خاصة في أنحاء مختلفة من العالم العربي والإسلامي، لم تصل إليها جهود المفهرسين.. وقد لا يتسنى لها أن تصل.. وأن هذه المكتبات، قد تشتمل على نوادر من المخطوطات يظن أنها مفقودة تماما، وهذه لا حيلة للباحثين عنها إلا الصبر، حتى يأذن الله بظهور ما يتيسر من المعلومات عن ذخائرها..

القسم الثاني ـ بيانات

أغلاط الجوهري لصلاح الدين الصفدي
(خليل بن أيبك، توفي ٧٦٤هـ)

ص٢٧ من الخزانة

اسمه (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم).
ـ يوجد مخطوطا في مكتبة (شهيد علي باشا) بإستانبول رقم ٢٧٠١ (٩٥ ورقة) من القرن الثاني عشر للهجرة. نقلت عن نسخة بخط المؤلف تاريخها سنة ٧٥٧هـ

سزكين: ٤١٢/١/٨ (رقم ٢٥)
نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا
/رمضان ششن: ١٦٦/٢

ـ ومنه نسخة أخرى في المكتبة العمومية بإستانبول رقم ٦٨٣٤، (١٠٩ ورقات) كتبت سنة ٩٧٩ هـ بخط أحمد بن أبي بكر السنفي (كذا) المالكي.
فهرس معهد المخطوطات: ٣٧٦/١

الأوائل لابن هبة الله الموصلي
(إسماعيل بن هبة الله بن باطيش توفي ٦٥٥هـ)

ص٢٣ من الخزانة

اسمه (غاية السائل ـ أو الوسائل ـ إلى معرفة الأوائل)
ـ يوجد منه نسخة في كمبردج برقم ٧٠١
قال بروكلمان: ألفه لطغرل بك الأتابكي المتوفى سنة ٦٣١هـ عن أوائل المخترعين للأشياء، ومنهم الرودكي من حيث هو أول شاعر فارسي.
بروكلمان(الترجمة العربية): ١٦٦/٦

ـ وذكر الدكتور عبد الله الجبوري أن في خزانته نسخة مصورة من الكتاب كتبت سنة ٨٨٥هـ عن نسخة المؤلف. ولم يذكر مكان حفظ النسخة التي صور عنها.

طبقات الشافعية للأسنوي، تحقيق د. عبد الله الجبوري: ٢٧٥/١ (هـ٣)

التقريب في علم الغريب لابن خطيب الدهشة
(محمود بن أحمد توفي ٨٣٤هـ): هو ابن صاحب المصباح المنير

ص ٢٥ من الخزانة

- يوجد منه نسخة في مجلدين بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٩/١٢٧
الجزءالأول: أتم تأليفه في ١٨رجب سنة ٨٠٤هـ وهو بخط محمد بن محمد بن عثمان الحنفي، فرغ منه صبيحة نصف شوال سنة ٨٠٤هـ، أوراقه (٢٣٤ ورقة).
الجزء الثاني: أتم تأليفه في ١٣رمضان سنة ٨٠٤هـ وهو بخط الجزء الأول، أوراقه (٢٣٣ ورقة).

فهرس الكتب العربية المحفوظة
بالكتبخانة الخديوية: ٢٨٦/١

- يوجد الجزء الأول من نسخة أخرى في المكتبة البلدية بالإسكندرية برقم ٧٩١-ب. كتبت سنة ٨٢٣هـ بخط عادي جميل، وينقص من أوله الصفحة الأولى فقط. وينتهي إلى مادة (ظهر)، (٢٤٤ ورقة).

فهرس معهد المخطوطات: ٣٤٥/١

والكتاب مختصر في غريب الحديث يتعلق بالموطأ والصحيحين.

فهرس الخديوية

قال الزركلي (في ترجمته): له كتاب «تهذيب المطالع لترغيب المطالع» - خ، في ستة مجلدات، الموجود منها خمسة، هذب به «مطالع الأنوار» لابن قرقول في «غريب الحديث»، واختصره فسماه «التقريب في علم الغريب» - خ.

حماسة الأعلم الشنتمري
(يوسف بن سليمان توفي ٤٤٩ هـ)

ص٢٢ من الخزانة

- توجد منه نسخة في مكتبة مجلس شوراي ملي بطهران.

[فهرس مجلس شوراي ملي الجزء العاشر،
القسم الثاني، صفحة ١٠٠٠ ـ رقم ٣٣٢١]

- وذكر الدكتور عبد الله عسيلان أنه وجد «الحماسة» بين ما لم يفهرس من تراث معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ولم يذكر الأصل الذي صورت عنه.

حماسة أبي تمام وشروحها ص٥١

حماسة أبي تمام / تحقيق د.عسيلان: ٤٩/١

شرح أبيات الآداب، المسمى بالعباب

ص٩١ من الخزانة

صاحب الآداب: جعفر بن شمس الخلافة (جعفر بن محمد توفي ٦٢٢ هـ).
وصاحب العباب: شرف الدين، الحسن بن علي بن صالح العدوي اليمني البكري.
ذكر بروكلمان من العباب النسخ التالية :

- المتحف البريطاني ثان ١١١١(i)
- الأمبروزيا ٤٢٦ D
- وقطعة منه في الأمبروزيانا (RSOIII A 75.IV
585) بدون ذكر المؤلف).

بروكلمان (الترجمة العربية): ٦٧/٥

شرح أبيات إصلاح المنطق لابن السكيت ليوسف ابن السيرافي
(يوسف بن الحسن ت ٣٨٥هـ)

ص١٩ من الخزانة

يوجد منه النسخ التالية :

١) نسخة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٢٩٦. بخط نسخ مشكول، في

(٩٦ ورقة) x ٢٨سطرا، كتبت في القرن الخامس أو السادس. ومنها مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة.

فهرس مكتبة كوبريلي:٢/٥٨

فهرس معهد المخطوطات: ١/ ٣٥٧

٢) نسخة أخرى في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٣٠٠، بخط نسخ مشكول، في (٢٥٢ ورقة) x ١٣سطرا، كتبت في أوائل القرن السادس. ومنها مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة.

فهرس مكتبة كوبريلي: ٦٠/٢

فهرس معهد المخطوطات: ٣٨٦/١

٣) مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة في ثلاثة مجلدات:
- المجلد الأول كتب سنة ٤٠١هـ ويشتمل على الأجزاء الأربعة الأولى من الكتاب، في (١٧٣ ورقة).
- المجلد الثاني كتب سنة ٤٠١هـ ويحتوي على الأجزاء الخامس والسادس والسابع والثامن، في (١٨٢ ورقة).
- المجلد الثالث كتب سنة ٤٠١هـ ويحتوي على الأجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، في (١٨٢ ورقة).

ثلاثتها مصورة عن (دار الكتب ٤٦٢٥ أدب/ مصورة عن كوبريلي).

فهرس معهد المخطوطات: ٤٩١/١

وواضح أنها غير النسختين المذكورتين آنفا عن مكتبة كوبريلي، ولم أجد لهذه النسخة ذكرا في فهرس كوبريلي؟!

٤) نسخة في مكتبة فيض الله أفندي بإستانبول برقم ١٥٦٠.

٥) نسخة في باريس: باريس أول ٤٢٣٢ (برواية ابن كيسان)؟

بروكلمان (الترجمة العربية): ٢٠٦/٢

وفي النفس شيء من قول بروكلمان عن نسخة باريس: (برواية ابن كيسان)، لأن ابن كيسان توفي سنة ٩٩ هـ ، وعليه فإن صح أن نسخة باريس برواية ابن كيسان فهناك أحد احتمالين:

الأول: أن يكون الموجود في باريس هو إصلاح المنطق ذاته (برواية ابن كيسان).

الآخر: أو يكون الموجود هناك (إصلاح المنطق ـ برواية ابن كيسان) وشرح أبياته للأعلم.
نُسبت نسخة مكتبة كوبريلي رقم ١٢٩٦ خطأً إلى (إبراهيم) ابن المؤلف وكذلك في فهرس معهد المخطوطات: ٣٥٧/١، وتكرر ذلك في فهرس معهد المخطوطات بالنسبة لنسخة كوبريلي رقم ١٣٠٠، وقد ذكر مفهرس مكتبة كوبريلي أن إبراهيم هو الراوي.

شرح أبيات الإيضاح والمفتاح في علم المعاني

(ص١٩)من الخزانة

كذا ذكره دون اسم المؤلف، وكذلك ذكره بروكلمان (النص الألماني، الذيل: ١٦/٢) ولم يذكر اسم مؤلفه، ولم تشر فهارس المكتبات الموجود فيها الكتاب إلى ما يعين مؤلفه سوى الثانية من نسختي دار الكتب، وما جاء فيها لا يشفي غليلا، إذ لم أجد ترجمة لفخر الدين الخوارزمي المذكور فيها.

أما الإيضاح، فلجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (توفي ٧٣٩هـ).
وأما المفتاح (مفتاح العلوم)، فللسكاكي (يوسف بن أبي بكر توفي ٦٢٦هـ).
يوجد من شرح أبيات الإيضاح والمفتاح ثماني نسخ:
١)نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم٢١م، نسخة في مجلد بقلم عادي.
فهرس الخديوية: ١٣٨/٤
فهرس دار الكتب: ٢٠٤/٢ ط ـ ١٩٢٦م

٢) نسخة أخرى في دار الكتب المصرية برقم ٢٨١، مكتوب على ظاهر الورقة الأولى منها: (شرح أبيات الإيضاح لمولانا فخر الدين الخوارزمي).
فهرس دار الكتب: ٢٠٤/٢ ط ـ ١٩٢٦م

٣) نسخة في مكتبة نور عثمانية بإستانبول برقم ٤٤٣٠، خط نسخ.
دفتر كتبخانة نور عثمانية ص٢٥٤

٤) نسخة في مكتبة جامع أياصوفيا في إستانبول برقم ٤٣٨٧
دفتر كتبخانة أيا صوفيا ص٢٦٠

٥) نسخة في مكتبة بانكيبور بالهند، برقم (٢١٩٨)، في (١٩٤ ورقة)، ١٥سطرا. لعلها (بخط محمد صالح بن جوهر، سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م، عن نسخة كتبت سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م).

فهرس مكتبة بانكيبور (باللغة الانكليزية): ٢٠/٢٠٢

٦)نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٩٧٦٨، في (١٣٤ ورقة)، ٢١ سطرا، بخط معتاد مقروء معجم، فيه بعض الشكل كتبه سلمان ابن محمود سنة ٧٨٣هـ في تبريز مدرسة قاضي القضاة الشيخ علي...، عليها شروح وتعليقات وتصويبات.
٧)نسخة أخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٨٥١٩، في (١٣٨ ورقة :١أ-١٣٨ب) من مجموع عدد أوراقه ٢١١ ورقة بخط فارسي معتاد مهمل غالبا، فيه بعض الشكل أحيانا، مسطرتها ٢٥ سطرا. عليها تصويبات وشروح، لا سيما في أولها.
٨) نسخة أخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم ٣٣٤٣، في (١٦٣ ورقة)، كتبت سنة ٧٨٤هـ، بخطوط متفاوتة، والنسخة مصححة حسنة.

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ
علوم اللغة العربية (اللغة، البلاغة، العروض، الصرف)
ص ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٩٨ – ٢٩٩

النسخ (١ و ٣ و ٤ و ٥) ذكرها بروكلمان في الموضع المذكور.

شرح أبيات الجمل لابن هشام اللخمي
(محمد بن أحمد بن هشام توفي ٥٧٧هـ)

ص١٩ من الخزانة

ذكره الزركلي في ترجمته باسم (الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل، وإصلاح ما وقع في أبيات سيبويه وفي شرحها للأعلم من الوهم والخلل).. مخطوط في خزانة عابدين بدمشق.

الأعلام: ٣١٨/٥ الطبعة الخامسة ١٩٨٠م،
دار العلم للملايين ببيروت

شرح أدب الكاتب للزجاجي
(عبد الرحمن بن إسحاق توفي ٣٤٠هـ)

ص٢٥ من الخزانة

كذا ذكره في مقدمته: (الخزانة: ١/٢٥)..
قال عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ هذا غير شرحه لخطبته..

خزانة الأدب: ١٣/٧(هـ١)

وقد نقل عن شرح خطبة أدب الكاتب (فقط) مرتين.
يوجد من شرح أدب الكاتب ثلاث نسخ:
١) نسخة في المتحف البريطاني: أول ٤٢٦ رقم ٨
٢) نسخة في مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول رقم ٢٥١
٣) نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم (٣٩ ش أدب)، في (٧٠ ورقة)، كتبت سنة ٥٨٦هـ.
وقد سمى بروكلمان النسخة الأخيرة (نقلا عن فهرس دار الكتب: ١٩٧/٣، ط ١٣٤٥هـ /١٩٢٧م): شرح خطبة أدب الكاتب.

بروكلمان(الترجمة العربية):٢/٢٢٦

قال عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ وهو خطأ يخالفه الواقع.

مقدمة تحقيقه لأمالي الزجاجي ص١٢

وذكر الزركلي في ترجمته، ضمن مؤلفاته: (شرح خطبة أدب الكاتب ـ خ) رسالة، في خزانة المنوني بمكناس.

شرح بانت سعاد لابن الأنباري
(محمد بن القاسم توفي ٣٢٨هـ)

ص٢٢ من الخزانة

ـ يوجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم ١٠٣ شعر في (٢٢ ورقة).

سزكين: ٢/٢/٢١٣ (رقم ٥)

شرح البردة لابن مرزوق
(محمد بن أحمد توفي ٧٨١هـ)

ص٢٢ من الخزانة

يوجد منه النسخ التالية:

١) نسخة في مكتبة برلين، برقم ٧٧٨٨، باسم (طب الحبيب في شرح قصيدة الحبيب)، في (٢٥٤ ورقة).

فهرس برلين/لالورد: ٤٦/٧

٢) نسخة في كمبردج برقم ٥٧

٣) نسخة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٣٠٦، باسم (صدق المودة في شرح البردة)، بخط نسخ في (٢٠٠ ورقة)، كتبت في القرن الحادي عشر، وبلغت مقابلة وتصحيحا.

فهرس مكتبة كوبريلي: ٦٤/٢

٤) نسخة في باريس برقم ٣٠٨٨

٥) نسخة في كمبردج أيضا.. كمبردج ثالث ١٦٦

٦) نسخة في خزانة القرويين بفاس رقم ٧٤٢

٧) نسخة في مكتبة سليم أغا بإستانبول برقم ٩٦٦، باسم (إظهار صدق المودة) في (٢٨٨ ورقة).

دفتر كتبخانة سليم أغا، ص٨٢

٨) نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، برقم ٢٣١٣، باسم (إظهار صدق المودة)، كتبت سنة ١١٢٢هـ

فهرس دار الكتب: ١٥/٣، ط ١٩٢٦م

٩) نسخة في مكتبة قوله (في دار الكتب المصرية): ١٨٦/٢

١٠) نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية: برقم ٦٣٧ أدب. مكتوبة بقلم نسخ جميل سنة ١١٣٩هـ

فهرس مكتبة البلدية بالإسكندرية، أدب ص١٠

وقد ذكر النسخ العشر بروكلمان (الترجمة العربية): ٨٣/٥ (رقم ٧).

شرح الحماسة لأبي الفضل الطبرسي

ص ٢٢ من الخزانة

اسم الكتاب: (الباهر في شرح الحماسة)
اسم المؤلف: (أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي توفي ٥٤٨هـ)
ـ توجد نسخة من المجلد الأول منه في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٦٤٢، في (١٤٩ ورقة)، ٣٩ سطرا، بخط نسخي دقيق ليس بكامل الإعجام ، من القرن السادس الهجري.

سزكين: ٢/١/١١٥ (رقم ٢٦)
حماسة أبي تمام وشروحها،
د. عبد الله عسيلان: ص١٧٢

شرح درة الغواص لابن بري
(عبد الله بن بري توفي ٥٨٢هـ)
وشرح درة الغواص لابن ظفر
(محمد بن محمد توفي ٥٦٨هـ)

ص٢٧ من الخزانة

وهما في مجلد واحد.
١) يوجد منه مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (١١١لغة) بعنوان: حاشية على درة الغواص للحريري.
تأليف أبي محمد عبد الله بن بري، وأبي عبدالله محمد بن ظفر.
نسخة كتبت سنة ١٠٧٠هـ ، بخط تعليق جميل، مصورة عن مكتبة عاشر أفندي بإستانبول رقم ٧٨٣، في (٣٨ ورقة) حجم متوسط.
فهرس معهد المخطوطات: ٣٥٢/١

٢) توجد مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم (١٩٨مجاميع م) بعنوان: حواش على درة الغواص للحريري، منسوبة للإمامين ابن بري وابن ظفر.
فهرس دار الكتب:١٢/٢، ط ١٩٢٦م
بروكلمان(الترجمة العربية):١٥٢/٥

٣) نسخة في مكتبة أصفية بالهند: ١٤٨/١، رقم ١٢١-١٢٣
بروكلمان(الترجمة العربية):١٥٢/٥

شرح درة الغواص لابن الحنبلي
(محمد بن إبراهيم توفي ٩٧١هـ)

ص٢٧ من الخزانة

- يوجد في دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوط بعنوان:
(الألحاظ في وهم الألفاظ)، وورد في موضع آخر من الفهرس بعنوان: (سهم الألحاظ في وهم الألفاظ)، لابن الحنبلي الحنفي المعروف بابن العفيفي.
قال المفهرس: وهو ذيل على درة الغواص للحريري.

فهرس دار الكتب: ٢/٤ و١٨، ط ـ١٩٢٦م

وقد ذكر بروكلمان هذه النسخة لدى حديثه عن درة الغواص وما ألف حولها، بعد ذكره لشرحي ابن بري وابن ظفر.

بروكلمان(الترجمة العربية): ١٥٢/٥

- ويوجد في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة لمخطوط بعنوان: (عقد الخلاص في نقد كلام الخواص)، لابن الحنبلي المذكور.. نسخة كتبت سنة ٩٦٣هـ، بخط العلامة ابن الملا الحنفي عن خط المؤلف.. رقمها (١٧٥ لغة)، مصورة عن مخطوط شهيد علي باشا بإستانبول رقم (٨/٢٧٤٦)، في (٥٣ ورقة).
قال المفهرس: وهو نقد الحريري في درة الغواص.

فهرس معهد المخطوطات: ٣٦٠/١.

ولم أجد مخطوطا بعنوان: (شرح درة الغواص).

شرح ديوان المتنبي لابن جني
(عثمان بن جني توفي ٣٩٢هـ)

ص١٨ من الخزانة

لابن جني شرحان: صغير، واسمه (الفتح الوهبي)، وهو مطبوع. وكبير، واسمه (الفسر)، أو (فسر شعر المتنبي).
وبمقارنة نقول البغدادي مع الفتح الوهبي تبين أنه لم ينقل منه شيئا، وهذا يدل على أن النقل كان من الشرح الكبير.

ويوجد من الشرح الكبير عدة نسخ هي:
١)نسخة في مكتبة يوسف أغا بقونية، الرقم الجديد ٥٤٩٢، الأرقام القديمة:
٥٩٨٤: الجزء الأول ، من قافية الألف إلى الدال، (٢٢٦ ورقة) كتب حوالي سنة ٦٠٠هـ
٥٩٨٥: الجزء الثاني، من قافية الذال إلى اللام، (٢٣٨ ورقة).
٥٩٨٦: الجزء الثالث، من قافية اللام إلى الياء، (٢٥٤ ورقة).
٢) نسخة أخرى في مكتبة يوسف أغا بقونية، برقم ٧٥٠٦، في (٣٠٧ ورقات)، كامل، كتب سنة ٦١٥هـ
٣) نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، برقم ٢٣ أدب، نسخة في مجلدين (١٨٠ و ١٨٢ ورقة)، كتبت سنة ٥٣٣هـ، بقلم عادي.
٤) نسخة أخرى في دارالكتب المصرية بالقاهرة، برقم ٥٨٦٥ أدب، نسخت سنة ١٣٣٥هـ
٥) نسخة في المتحف البريطاني، مخطوطات شرقية، رقم ٢٩٥٨، الجزء الأول، في (١٤٨ ورقة)، كتبت سنة ١٠٤٥هـ
٦) نسخة في مكتبة الإسكوريال، برقم ٣٠٩، الجزء الثاني في (٢٥٢ ورقة)، كتبت سنة ٨٨٢هـ
٧) نسخة أخرى في مكتبة الإسكوريال برقم ١/٣٠٦، قطعة منه ضمن مجموع، الأوراق (١ـ٧٧)
٨) نسخة في المتحف الآسيوي بلينينغراد، رقم ٢٧٥، الجزء الثاني في (١٩٦ ورقة).
٩) نسخة في الأزهر، برقم ٢٣٢ أدب، في (٣٦٧ ورقة)، كتبت سنة ١٣٠١هـ
١٠) نسخة في مكتبة علي كاشف الغطاء بالنجف، برقم ١١٦ أدب، من القرن السادس الهجري.
١١) نسخة في مكتبة محفوظ بالكاظمية.
١٢) نسخة في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ١١٥٧، في (٣٨٧ ورقة)، كتبت سنة ٥٨١هـ
١٣) نسخة في المكتبة الحمزاوية بالرباط، رقم ١٢٩
١٤) نسخة في جامعة إستانبول برقم R615

نشر صفاء خلوصي الشطر الأول من الجزء الأول منه في بغداد سنة ٩٦٩ م على مخطوطات يوسف أغا والمتحف البريطاني.

سزكين: ٢/٤/٣١ـ٣٢ وبروكلمان: ٢/٨٨ـ٨٩ (رقم١)

وعن النسخة رقم (٣): فهرس دار الكتب: ٣/١٩١ ط ١٩٢٦م

وفهرس دار الكتب: ٢/٣٢ ط ١٩٦٢م

شرح الفصيح للتدميري
(أحمد بن عبد الجليل توفي ٥٥٥هـ)

ص٢٥ من الخزانة

يوجد منه نسخة في مكتبة نور عثمانية بإستانبول برقم ٣٩٩٢ في (٩٧ ورقة)، من القرن السابع للهجرة.

سزكين: ٢٥٤/١/٨ (رقم ٢٧)
بروكلمان (الترجمة العربية): ٢١١/٢-٢١٢ (رقم٣)
دفتر كتبخانة نور عثمانية ص٢٢٨،
وسمى فيه المؤلف -خطأ- الترمذي
الأعلام: ١٤٣/١، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م،
دار العلم للملايين ببيروت.
وقد سماه الزركلي: (التصريح لشرح غريب الفصيح)

شرح الفصيح/ للبلي
(أحمد بن يوسف توفي ٦٩١هـ)

ص٢٥ من الخزانة

ذكر السيوطي أن اللبلي صنف شرحين.

بغية الوعاة: ٤٠٢/١ و ٤٠٣،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
ط- المكتبة العصرية

ولم يسم البغدادي الشرح الذي نقل منه، والموجود الآن هو الشرح المسمى (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح).
نسخه:
١) نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم (٢٠ش) الجزء الأول، بخط محمد محمود الشنقيطي (ت١٣٢٢هـ)، وهي ناقصة تنتهي في شرح الباب الرابع من الفصيح عند قوله: (انقطع الرجل فهو منقطع به)، وتقع في (٨٤ ورقة).
٢) نسخة في المكتبة العامة بالرباط، الحمزاوية (١٣١)، الجزء الأول.
سزكين: ٢٥٦/١/٨ (رقم ٣٦)

٣) قال الميمني ـ رحمه الله ـ : هداني الله ـ وله الحمد ـ في حجتي المذكورة (سنة١٣٧٦هـ) إلى نسخة مغربية كاملة في مجلدتين ضخمتين: أولهما عن نسخة اللبلي في (٢٤١ ورقة) متينة. والأخرى ـ ولعلها بخط اللبلي نفسه ـ في (٢٤٧ ورقة) وعليهما خط المؤلف. وأنا مزمع على بث سره، ونشر خبيئة أمره، لكل من استوثق منه بنشره وإحيائه، إن شاء الله.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق/ مجلد ٣٧، ص٥٢١

٤) نسخة في مكتبة أحمد خيري بمصر، بخط أندلسي، ذكرها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق/مجلد ٣٧، ص ٢٠٥
وقد ذكر أنه في حدود سنة ١٣١٥هـ بيعت نسخة من شرح اللبلي بتونس ولم يعرف من اشتراها ولم يجدها في مظان وجودها في المكتبات العامة والخاصة بتونس، قال: وليس يبعد أن تكون هذه النسخة (نسخة أحمد خيري) هي التي كانت في تونس.
نشر الميمني مقدمة (تحفة المجد الصريح) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق/مجلد ٣٥، ص٥٤١ ـ ٥٤٥

شرح الفصيح للمرزوقي
(أحمد بن محمد توفي ٤٢١هـ)

ص٢٥ من الخزانة

ـ يوجد منه نسخة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم (١٣٢٣) في (١٩٦ ورقة)، كتبت سنة ٥٣٤هـ بخط أبي الكرم مسعود بن ظفر بن عبد الله ابن يحيى بن علي.

فهرس مكتبة كوبريلي: ٧١/٢
بروكلمان: ٢١١/٢ (رقم٢)
سزكين: ٤٢٩/١/٨ (رقم ٤)

قال القفطي: وهو كتاب جميل في نوعه.

إنباه الرواة: ١٤١/١

شرح الفصيح لابن هشام اللخمي
(محمد بن أحمد توفي ٥٧٧هـ)

ص٢٥ من الخزانة

يوجد منه النسخ التالية:

١) نسخة في الخزانة الملكية في المغرب برقم (١٩٤٤)، في (١٠٠ ورقة)، نسخة حديثة.

٢) نسخة في خزانة الأستاذ محمد الفاسي، جيدة كتبت سنة ١١١١هـ (مجلة البحث العلمي، العدد ٧، السنة ٣، ص (؟) الصادرة سنة ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م)، مبحث للأستاذ محمد الفاسي: (الخزانة السلطانية ونفائسها).

٣) نسخة في المكتبة الأحمدية (خزانة جامع الزيتونة) بتونس برقم (٢٩٦٥)، ضمن مجموع بخط مغربي قديم، الأوراق (٣٧ ـ ٨٥).

أبن درستوية ـ د. عبد الله الجبوري ـ ص ١٥٢

النسخة الثالثة مذكورة في فهرس المكتبة الأحمدية ـ ص. ١٤

٤) نسخة في المكتبة العامة بالرباط، مجموعة الكتاني ٢/٣٥٩ (ص٣٣ ـ ٢٤٢)، كتبت سنة ٦١٦هـ

سزكين: ١/٨ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ (رقم ٢٩)

وقد ذكر أيضا النسختين ١ و ٢

شرح لامية العرب للخطيب التبريزي
(يحيى بن علي توفي ٥٠٢هـ)

ص ٢٢ من الخزانة

يوجد منه نسختان:

١) نسخة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٦٦٢، الأوراق (من ٩٠ ب إلى ٩٣أ)، من القرن السابع الهجري.

٢) نسخة في مكتبة آياصوفيا بإستانبول برقم ٢/٣٩٣٣، في (١٤ ورقة) كتبت سنة ٨٢٩هـ بقلم محمد بن حسام شمس الدين السلطاني، بخط نفيس جميل، نقلا عن ياقوت المستعصمي.

سزكين: ٢/٢/٢ ٥ (رقم ٢)

فهرس المخطوطات: ١/٥١٥

ذكر بروكلمان (الترجمة العربية: ١٠٩/١، رقم ١٢) أنه توجد نسخة منه في مكتبة جامعة برنستون (مجموعة جاريت ٨).
وبالرجوع إلى فهرس مجموعة جاريت، تبين أنه معزو فيه للمبرد وليس للتبريزي.

منتهى الطلب من أشعار العرب
(محمد بن المبارك بن ميمون، توفي بعد ٥٨٩هـ)

ص٢٢ من الخزانة

قال بروكلمان: وقد بقيت ثلاثة من الأقسام العشرة لهذه المجموعة. وقال سزكين: وصلت إلينا ثلاثة مجلدات من المجلدات الستة.
وذلك على النحو التالي:
١) نسخة في مكتبة لاله لي بإستانبول برقم ١٩٤١ هـ، في (١٦٤ ورقة)، كتبت سنة ٩٩٥هـ عن نسخة بخط المؤلف: المجلد الأول، ويضم الجزء الأول والثاني وبعض الثالث.
٢) نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، برقم (١/٥٣ أدب ش) مجلد كالسابق، كتبت سنة ١٢٩٦ هـ قال فؤاد سيد: (ولعله منسوخ من النسخة السابقة).
٣) نسخة أخرى في دار الكتب المصرية بالقاهرة، برقم (٥٣/أدب ش) في (١٠٩ ورقات)، كتبت في القرن الثالث عشر، بخط مغربي، وتبدأ بالقسم الخامس.
٤) نسخة في جامعة ييل بالولايات المتحدة برقم (S53)، في (٢٦٦ ورقة)، كتبت سنة ٨٦٦هـ المجلد الثالث، وتضم أخر القسم الرابع، والقسم الخامس كله، وبداية القسم السادس.
٥) نسخة أخرى في جامعة ييل بالولايات المتحدة برقم، (S54)، في (٢٢٤ ورقة)، كتبت سنة ٨٦٧هـ، المجلد الخامس، وتضم القسم الثامن، وقسما كبيرا من التاسع.

بروكلمان(الترجمة العربية):١/٧٧
سزكين: ١٢٦/١/٢ـ١٢٧ (رقم ٢٣)

وفي النسختين : (٢ و ٣) يضاف:

فهرس دار الكتب: ٣٨٩/٣
فهرس معهد المخطوطات: ٥٣٦/١

استفاد منه بعض الباحثين العراقيين، ونشروا مجموعات من قصائده.

نوادر ابن الأعرابي
(محمد بن زياد توفي ٢٣٠، أو ٢٣١ أو ٢٣٢هـ)

ص٢٣ من الخزانة

- يوجد الجزء الأول منه (برواية ثعلب) في المكتبة الخالدية بالقدس والنسخة فريدة قيمة قديمة العهد.
- المخطوطات العربية في فلسطين، أبحاث جمعها وقدم لها د.صلاح الدين المنجد ص٣٩
- نقلا عن مقال للمرحوم أسعد طلس بعنوان (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها) في مجلة المجمع العربي بدمشق مجلد ٢٠

بروكلمان(الترجمة العربية):٢/٢٠٤

اليواقيت لأبي عمر المطرز
(محمد بن عبد الواحد، غلام ثعلب توفي ٣٤٥هـ)

ص٢٥ من الخزانة

وصل إلينا كتاب بعنوان: (الياقوتة في غريب القرآن) للمطرز، فلعله فصل منه (كما قال سزكين).
وتوجد من هذا الأخير ثلاث نسخ:
١) نسخة في مكتبة لاله لي بإستانبول رقم ٢/٢٥٥، الأوراق (٥٧أ ـ ٧٦ب)، كتبت سنة ٧٨٤ هـ بخط نسخ مشكول.
٢) نسخة في مكتبة رشيد أفندي بإستانبول رقم ٣/٣٤٨، الأوراق (٤٦ أ ـ ٧٤ب)، كتبت في أوائل القرن التاسع، قوبلت بالأصل الذي نقلت منه في خامس جمادى الأولى سنة ٨١١هـ

سزكين: ٢٧٩/١/٨

نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا/د.رمضان ششن:٢/٢٧٢

٣) نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم ١٦٠٠، في (٣١ ورقة).

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية-

علوم اللغة العربية(اللغة،البلاغة،العروض،الصرف،ص١٦٩

مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية
من منتصف القرن الخامس
إلى نهاية القرن التاسع الهجري

محمد الحبيب الهيله

إذا كانت الوظيفة الأساسية لفقهاء المسلمين أن يضعوا أحكاما لكل ما يحدث للناس من أقضية في مجتمعاتهم - ضمن إطار العصر الذي يعيشونه، فإنهم يقومون - في نفس الوقت - بوظائف أخرى أهمها:

أ) تقديم اجتهادات، وأحكام يمكن أن تستفيد منها الأجيال اللاحقة في ما يعرض لهم من قضايا عصورهم.

ب) التصوير الصادق، والحقيقي، للكثير من الواقع المعاش - يقدم للباحثين في التأريخ، والحضارة عناصر تاريخية - لا يرقى إليها شك - تمكنهم من دراسة علمية جادة ونزيهة.

وهكذا يظل الفقه الإسلامي من أكثر العلوم مسايرة للتطور البشري، واستجابة لمتطلبات التحول الطبيعي في الأمم، إذ هو يقدم للأجيال اللاحقة زبدة التجارب التشريعية التي وضعتها الأجيال السابقة.

ولعل كتب الفتاوى من أكثر الكتب الفقهية استجابة، وتصويرا لمعطيات التطور البشري، ذلك لأنها تقدم لنا صورا اجتماعية واقعية، إذ هي بمثابة سجلات المحاكم الجامعة لأهم النوازل، والقضايا الشائكة في العصر.

وإذا كانت كتب الفقه تقدم أحكاما تصورها الفقيه، أو مجموعة من الفقهاء، وعلموها بحسب تجاربهم الخاصة ـ مما يعتبر أمرا محدودا ـ فإن كتب

الفتاوى تقدم لنا تصويرا لواقع حياة كل طبقات المجتمع على اختلاف مشاربهم، وتبين لنا أنواع التعامل الحقيقي بين هؤلاء الأفراد، والجماعات، وتسجل لنا واقع ردود الفعل الاجتماعية لكل ما يعترضها من مشاكل سياسية، وغيرها، وتكشف لنا عن معطيات، ونتائج التطور البشري.

إذ كل فتوى - من هذه الآلاف المؤلفة من الفتاوى - تمثل حادثة واقعة عرضها صاحبها بكل واقعية، ودون تحوير، ثم يأتي المفتي ليقدم الحكم الشرعي نتيجة لاجتهاده، وهو حكم سيجد غالبا من الفقهاء، وأهل العلم غربلة ونقدا. لذلك اعتبر أهل الرأي من الباحثين المعاصرين كتب الفتاوى من أهم مصادر الفائدة في مجالين هامين:

أولهما: المجال التشريعي القضائي.

وثانيهما: مجال الدراسات التاريخية والحضارية.

ولقد اهتم فقهاء المسلمين من أهل المشرق، والمغرب بالفتاوى، وجمعوها، وسجلوها في دواوين ومؤلفات، إلا أن الغالب على أهل المشرق أن يطلقوا عليها تسمية "الفتاوى" في حين أن المغاربة، والأندلسيين لا يكتفون بتسميتها "بكتب الفتاوى" بل أطلقوا عليها أيضا "كتب النوازل" لأنها بينت أحكام حوادث نزلت، "وكتب أجوبة" حيث أجيب بها عن أسئلة وردت، "وكتب أسئلة" لأنها حدثت بعد أسئلة "وكتب أحكام" لأنها بينت أحكاما خاصة بحوادث خاصة، مما جعل المتأخرين من المغاربة يسمون المفتي بالنوازلي[1] لأنه اختصاصي في الإجابة عما يحدث من النوازل.

وقد أردت أن أخصص مداخلتي هذه للحديث عن النوازل الأندلسية، والمغربية - من منتصف القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن التاسع - لأنها كتبت في مرحلة تاريخية هامة وغنية بالأحداث:

- ففيها اشتدت بالأندلس مشاكل ملوك الطوائف، وظهرت بالمغرب نتائج زحف بني هلال.

- وفيها بدأ الهجوم النصراني على بلاد الأندلس، فسقطت طليطلة، تلتها قرطبة وإشبيلية، وأخيرا غرناطة، وتعددت حملات النورمان على السواحل الشرقية للمغرب.

- وفيها ظهرت دول إسلامية كبرى كالمرابطين، والموحدين، والمرينيين، وتخلل ذلك تفككها إلى دويلات صغيرة.

- وفيها حدثت التحركات البشرية في هجرات متداخلة متعاكسة، كهجرة الأندلسيين من شمال بلادهم إلى وسطها، ثم إلى جنوبها، وبعدها إلى

المغربين - الأقصى والأدنى- وكهجرات المغاربة الداخلية التي كانت بسبب تناوب الدول، واعتمادها على العصبية القبلية.

فهو بذلك عصر كثر فيه المد والجزر بين حدود البلاد الإسلامية، والنصرانية مع تعدد المواجهات بين الطرفين، وتنوع التعامل بينهما، من عسكري حربي إلى ثقافي حضاري، وهو ما دعى الفقهاء إلى الاستجابة لظروف حياة المسلمين في مختلف هذه التأثيرات، والتحولات، فوضعوا من الفتاوى والأجوبة ما يمكن أن يفيد في مجال المعاملات، وخاصة بين المسلمين، وغير المسلمين، ويصلح بعضه أن يكون سوابق فتوى وأحكام يسترشد بها الفقيه في مختلف العصور، وخاصة عصرنا هذا.

وعلى الرغم من أننا نعتبر كتب النوازل المغربية، والأندلسية من نوع واحد، فإن دواعي تأليفها، وظروف جمعها، وتصنيفها تختلف أحيانا فينشأ عن ذلك تنوع في مناهجها، وتغاير في أشكالها، وأساليبها التأليفية، بناء على تغاير الدوافع والمسببات، وقد أمكنني - بعد تتبع وتمحيص - أن أميز أربعة أصناف رئيسية - من المناهج التأليفية لكتب النوازل - أقدمها إليكم مع إيراد أمثلة مقتضبة:

أولا- الصنف الأول من كتب النوازل هي التي يؤلفها أحد الفقهاء المفتين، فيجمع فيها أجوبته، وأجوبة غيره - من معاصريه أو من السابقين له - من مختلف البلاد، ويرتبها على ترتيب أبواب الفقه، فيأتي ديوانه كبيرا جامعا للعديد من النوازل، يتضح لنا فيه ثراء الأجوبة، واتساع دائرة اجتهاد الفقهاء، مع وفرة المعلومات التأريخية والحضارية. ومن أشهر المؤلفات - في هذا الصنف - معلمتان بارزتان، إحداهما لتونسي هو: البرزلي، والثانية لمغربي هو : الونشريسي.

أ) «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام» ويسمى فتاوى، أو نوازل، أو ديوان البرزلي، مؤلفه هو: أبو القاسم بن أحمد البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي (٨٤١هـ/١٤٣٨م) [٢] وهو كتاب كبير الحجم تعددت موارده، واتسعت مادته، وظل من المصادر المعتمدة للكثير من كتب الفقه والفتاوى، رتب على تبويب كتب الفقه إلا أنه أضاف في النهاية أبوابا تتعلق بالأدعية والوعظ والطب، وغير ذلك من المسائل المتفرقة التي لا تتصل بالفقه، وهو كتاب ما زال مخطوطا، توجد نسخه في مكتبات تونس والمغرب ومصر وغيرها.[٣]

وضعت لنوازل البرزلي اختصارات ثلاثة، أحدها: لتلميذه أبي عبد الله البوسعيدي البجائي كتبه سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م[٤] وثانيها: لتلميذه أحمد بن عبد الرحمن اليزليتني المعروف بحلولو القروي (كان حيا سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م)،[٥] وثالثها: للفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني.[٦]

ب) أما المعلمة الثانية في هذا الصنف من النوازل فهي كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب»[٧] لمؤلفه أحمد ابن يحيى الونشريسي التلمساني (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م)،[٨] ومن بين أهميات الكتاب المتعددة: أنه جمع الكثير من نصوص كتب فتاوى الأندلسيين، والمغاربة، فاحتفظ ببعض ما ضاع منها، ورتبه صاحبه على أبواب الفقه، ونقل فيه بعض الرسائل التي ألفت إجابة عن أسئلة متنوعة المواضيع، وأتم تأليفه سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م.

ثانيا- الصنف الثاني من كتب النوازل هي تلك التي جمعت أجوبة فقهاء ينتسبون إلى منطقة واحدة، أو إلى مدينة واحدة، فمن تلك التي جمعت فتاوي شيوخ منطقة واحدة يمكن أن نذكر مثالين بارزين هما:

أ) كتاب «أحكام ابن سهل» وهو المعروف بكتاب «الإعلام بنوازل الأحكام» ألفه عيسى بن سهل الأسدي الغرناطي (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م)،[٩] وهو يعتبر من أقدم ما بين أيدينا من مجاميع النوازل الأندلسية في هذا المجال، حيث جعله صاحبه خاصا بفتاوى الأندلسيين، ولم يورد فيه إلا القليل النادر من فتاوى فقهاء القيروان، وقد اشتمل على مادة ثرية من المعلومات التأريخية، والحضارية الخاصة ببلاد الأندلس - في القرن الخامس الهجرى - ويبين أنماطا نادرة من العلاقات بين مختلف المتساكنين بالأندلس من مسلمين، ونصارى، ويهود، رتبه صاحبه على ترتيب أبواب الفقه، وقد استفاد منه بعض الباحثين المعاصرين - في دراساتهم الأندلسية - كالأستاذ عبد الرحمن الفاسي[١٠] والدكتور محمد عبد الوهاب خلاف،[١١] وأتمت تحقيقه الباحثة السعودية نورة التويجري.[١٢] والذي يجدر بي أن أنبه إليه هو: أن لهذا الكتاب نسخا متعددة، أهمها ثلاث نسخ قديمة، وذات أهمية، إحداها نسخة أندلسية كتبت سنة ٥٠١هـ[١٣] وثانيتها نسخة أندلسية الأصل تونسية المقر كتبت سنة ٦٩١هـ[١٤] وثالثتها نسخة مغربية الأصل سعودية المقر[١٥] كتبت بخط الشيخ أحمد الونشريسي صاحب «المعيار» المذكور سابقا.

ب) كتاب «الدرر المكنونة في نوازل مازونة» تأليف الفقيه يحيى بن موسى المازوني المغيلي[١٦] (ت ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) وهو كتاب جمع فيه ـ كما صرح به في المقدمة ـ نوازل علماء تونس، وبجاية، والجزائر، وتلمسان، ودرس المستشرق جاك بيرك J Berque جوانب محدودة منه اعتمادا على الجزء الثاني[١٧] فقط، وقد أمكنني العثور على النسخة الكاملة،[١٨] والاستفادة منها، وهي مرتبة على أبواب الفقه أيضا.

أما كتب النوازل التي جمعت أجوبة فقهاء ينتسبون إلى مدينة واحدة فيمكنني أن أسوق مثالين اثنين لها أيضا:

أ) كتاب «الحديقة المستقلة النضرة، في الفتاوى الصادرة عن الحضرة» (غرناطة) لمؤلف مجهول،[١٩] قال مؤلفه إنه جمع فيه النوازل الصادرة عن علماء حضرة غرناطة، وبعد تتبع النص دلنا الاستنتاج على أنه ألف بعد سنة ٨٤٨ هـ : سنة وفاة ابن سراج - آخر المفتين الذين يترحم عليهم المؤلف - وقبل سنة ٨٦٥هـ سنة وفاة الفقيد محمد السرقسطي- الذي يذكره كثيرا فيقول حفظه الله - (..٩هـ/١٤٩٤م) وقد عرضت المسائل فيها دون ترتيب، ولا تبويب، جمعت فتاوى تسعة من الأندلسيين وعددا محدودا جدا من فتاوى فقيهين مغربيين،[٢٠] والملاحظ أنه لم يذكرمن فتاوى ابن لب شيئا.[٢١]

ب) مجموع فتاوى علماء غرناطة[٢٢] تأليف أبي القاسم محمد بن طركاظ العكي الأندلسي. تولى قضاء المرية سنة ٨٥٤هـ/١٤٥١م، ولم يعرف تاريخ وفاته، جمع فيه بعض نوازل فقهاء غرناطة من بينهم ابن لب.[٢٣]

ثالثا- الصنف الثالث من كتب النوازل هي تلك التي جمعت أجوبة فقيه واحد، جمعها، أو جمعت له من أحكامه خلال مدة قضائه، وتوليه الفتوى، أو أجاب بها عن مجموعة أسئلة وجهت إليه من جهة معينة.

فمن أمثلة النوازل التي تجمع للفقيه فتاوى أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)،[٢٤] جمعها تلميذه محمد بن أبي الحسن بن الوزان (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) (٢٥) وعرضها دون ترتيب، وفتاوى القاضي عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤ هـ/١١٤٩م)[٢٦] التي عنوانها «مذاهب الحكام في نوازل الأحكام»[٢٧] وأكملها ابنه أبو عبد الله محمد بن عياض (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م).[٢٨]

ونوازل مفتي الأندلس أبي سعيد فرج بن قاسم بن لب (ت ٧٨٢هـ/١٣٨١م)[٢٩] التي جمعت ـ كما يغلب على ظني ـ مرتين من مؤلفين مجهولين،

أحدهما جعل عنوان كتابه: «تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد»، ومخطوطته بالإسكوريال[٣٠] والثاني جعل عنوان كتابه: «نوازل ابن لب» وعرض المسائل في ترتيب يخالف ترتيب سابقه، منه نسخة تونسية الأصل مدنية القرار.[٣١]

أما النوع الثاني - من هذا الصنف، والذي يمثل أجوبة الفقيه الواحد عن أسئلة محددة- فمن أوضح أمثلته كتاب لأبي عبد الله محمد الرصاع التونسي (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٩م)،[٣٢] الذي جعل عنوانه «الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية»[٣٣] فقد كان الرصاع أكبر شيوخ عصره في تونس، فهو مفتيها وعالمها، ورد عليه خمسة وعشرون سؤالا من شيخ غرناطة، ومفتيها أبي عبد الله محمد المواق (ت٨٩٧ هـ/١٤٩٢م)،[٣٤] وهي فتاوى في أغلبها تتعلق بمسائل خلافية في الفقه، وسبع مسائل تتعلق بأحكام الطاعون، ومسألتان في أحكام المساجد. والنسخة الفريدة - المعروفة منه - قرئت على مؤلفها الرصاع في حياته، وكتب عليها بخطه، وهي هامة جدا، رغم رداءة حالها، وصعوبة قراءتها.

رابعـا:- الصنف الرابع من كتب النوازل هي تلك التي يؤلفها صاحبها للإجابة عن قضية واحدة، وقد تعدد التأليف في هذه النوازل المفردة، فكان منها ما يتناول قضايا العبادات، والمعاملات، وكان بعضها يتناول السياسة الشرعية، ومن هذا النوع الأخير أنتقي نمطين هامين، أولهما: يتعلق بسياسة المسلمين مع أهل الذمة، ومع غير المسلمين عامة، وثانيهما: يحدد موقف بعض الفقهاء من بقاء المسلمين - تحت سلطة النصارى - في الأندلس.

أ) ألف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)[٣٥] رسالة أولى سميت «الرسالة المنصورية» وعنوانها «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»[٣٦] وهي جواب عن سؤال يطلب منه توضيح ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة، وخاصة يهود ناحية توات من جنوب البلاد الجزائرية، إذ ذكرت المصادر أن مشكلة خطيرة اندلعت في المنطقة بسبب تصرف اليهود بها، وردود فعل العلماء، ووقف الشيخ المغيلي موقفا شديدا متصلبا أثارالكثير من ردود العلماء المعاصرين له، منهم القاضي العصنوني، والتنسي، وابن زكري، والرصاع، ويحيى الغماري، وابن سبع،[٣٧] وغيرهم ممن وضعوا أجوبة للنازلة، ومما كان له الصدى البعيد في بعض المؤلفات التاريخيةالمعاصرة له.[٣٨]

ب) وللشيخ المغيلي - أيضا - سبع أجوبة، عن سبع أسئلة، وجهها إليه أحد ملوك السودان الغربي - هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بأسكيا - وأغلب هذه الأجوبة(٣٩) تتعلق بالسياسة الشرعية، وطرق الدعوة، ونشر الإسلام بين عبدة الأوثان من القبائل المجاورة، فكانت أجوبته واضعة الخطوط الرئيسية لسياسة دولة إسلامية حديثة العهد بالتكوين.

أما النمط الثاني: فتمثله رسالة من تأليف أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) صاحب كتاب «المعيار» وعنوان الرسالة «أسنى المتاجر، في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر»(٤٠) وفيها من الشدة ما جعله يمنع كل موالاة للنصارى، ويحرم كل تعايش معهم، وفي جوارهم، وكان حكمه قاسيا على المورسكيين (هم مسلمو الأندلس بعد سقوطها، والاسم نسبة إلى مراكش "المغرب")، مما كانت له عواقب وخيمة، فقطع الطريق بينهم وبين صلاتهم بالبلاد الإسلامية، خاصة وأن هذه الفتوى صدرت فى ظروف عصيبة، حيث كانت بعد سقوط مدينة غرناطة في أيدي النصارى، وموقفه الشديد - هذا - يذكرنا بفتوى علم الفقه المالكي - في عصره - الإمام المازري المهدوي (ت٥٣٦هـ/١١٤١م) التي تجيب على نفس الموضوع، وفي ظروف تاريخية مشابهة، حيث صدرت بعد سقوط صقلية في أيدي النرمان سنة٤٨٤هـ/١٠٩١م، إلا أن المازري أظهر من حسن النظر، وبعد الفهم ما جعله واقعيا ومتسامحا في جوابه، فترك الارتباط بين المدجنين، بصقلية وبقية بلاد الإسلام بإفريقيا قائما، فظل الأثر الحضاري العربي الإسلامي باقيا في صقلية خلال مدة طويلة من الزمن.(٤١)

ولعل هذا العرض السريع يمكننا من بيان أهمية كتب النوازل، والفتاوى حتى تتضافر جهود المؤسسات العلمية الجادة، وهمم الباحثين المختصين لفهرستها، ودراستها، والاستفادة منها.

والله الموفق...

الحواشي

(١) من ذلك ما وصف به أبو المحاسن القصري (ت١٠١٣ هـ) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ٢٩٥:١

(٢) ترجمه ترجمة واسعة وعرف بالكتاب محمد الحبيب الهيله في بحث عنوانه الإمام البرزلي في النشرة العلمية للكلية الزيتونية بتونس السنة الاولى ١٣٩١/١٩٧١ ص ١٦٩-٢٣٣، ودرس الكتاب سعد غراب في حوليات الجامعة التونسية العدد ١٦ سنة ١٩٧٨م.

(٣) من أهمها نسخة تونس ٤٨٥١ ونسخة الأزهرية ٢٩٩٢ - ٢٩٩٣ ونسخة كتبت في القرن العاشر محفوظة بمكتبة شستربيتي برقم ٤٤٠٧ (الجزء الرابع).

(٤) ترجمه محمد مخلوف في شجرة النور الزكية ٢٤٥:١ ومن اختصاره نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس برقم ٣٤.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٢٦٠-٢٦١؛ أحمد بابا: نيل الابتهاج ٨٣-٨٤. من اختصاره نسخه بدار الكتاب الوطنية بتونس برقم ١٨٧٠٥.

(٦) من اختصاره نسختان في الخزانة العامة بالرباط رقم ١٤٤٧د ورقم ٢١٩٨ د؛ ونسختان بالمكتبة العامة بالرياض برقم ٧٦/ق و ١٢٠٧/ق.

(٧) طبع في ١٢ جزءا طبعة حجرية بفاس سنة ١٣١٥ هـ وطبعة ثانية بإشراف المحقق محمد حجي دار الغرب الإسلامي، لبنان ١٤٠١ في ١٢ جزءا مع فهارس.

(٨) ابن مريم: البستان ٥٤؛ أحمد بابا: نيل الابتهاج ٨٧ -٨٨؛ محمد مخلوف: شجرة النور ٢٧٥:١.

(٩) ابن بشكوال: الصلة، الترجمة رقم ٩٤٢؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ٩٦.

(١٠) عبد الرحمن الفاسي: خطة الحسبة في النظر والتطبيق، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(١١) فنشر دراسات كثيرة معتمدة على هذا المخطوط منها كتابه قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م، ووثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، القاهرة ١٩٨١ وغير ذلك كثير.

(١٢) في أطروحتها التي قدمتها لنيل الدكتوراة بجامعة الإمام بالرياض سنة ١٩٩١ م.

(١٣) هي نسخة الزاوية الناصرية في تمكروت بالمغرب ومصورتها في الخزانة العامة بالرباط، وصفها الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٢٦، الجزء الثاني سنة ١٩٨٢.

(١٤) نسخة حسن حسني عبد الوهاب المحفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس برقم ١٨٣٩٤ بخط أندلسي حسن دقيقة الضبط.

(١٥) نسخة جامعة الملك سعود رقم ٥٢٢٣ وقد اقتنتها أخيرا من بعض المكتبات الخاصة بالمغرب.

(١٦) أحمد بابا: نيل الابتهاج ٣٥٩؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ١:٢٦٥؛ الحفناوي: تعريف الخلف ١:١٨٦ـ١٨٧.

(١٧) مخطوطة الجزائر رقم ١٣٣، ٦/٥ J Berque: *Studia Islamica*, No.32/1970, pp.31-39

(١٨) الجزء الأول بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ١٨٧٠٥ والثاني برقم ٢٣٥٠٢.

(١٩) القسم الأول من المجموع ١٠٩٦ بالإسكوريال، من ورقة ١ الى ورقة ٤٩ ب.

(٢٠) منها فتوى عبد الله العبدوسي في حكم عدول وقضاة المدجنين بالأندلس ورقة ٣١ ب.

(٢١) في حين أن أبا سعيد بن لب يعتبر من أشهر وأكبر المفتين في ذلك العصر.

(٢٢) منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط برقم ١٤٤٧د.

(٢٣) درس الكتاب وحلله صديقنا الباحث حسن الوراكلي في مداخلته التي قدمها لندوة المؤرخين والأسبان والمنعقدة بالرباط سنة ١٤٠٤/١٩٨٤، ونشرها ضمن كتابه أبحاث أندلسية ص ٩ ـ ٣٩ (طنجة سنة ١٩٩٠ م). ولعل المقارنة بين نوازل ابن طركاظ وكتاب الحديقة المستقلة تقدم لنا توضيحات عن مؤلف كتاب الحديقة.

(٢٤) أنظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٢٨. أما فتاواه فقد حققها ونشرها المختار التليلي، دار الغرب الإسلامي في ٣ أجزاء سنة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م وكان قد حققها محمد بن الحبيب التجكاني كرسالة قدمت لدار الحديث الحسنية بالرباط. واستفاد من مخطوطاتها الباحثون عبد العزيز الأهواني وإحسان عباس ومحمد حجي في دراسات نشرت في مجلات علمية.

(٢٥) ترجمه الضبي في بغية الملتمس ١٠١.

(٢٦) هو عالم الأندلس والمغرب، أنظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨: ١٦ـ١٧.

(٢٧) طبع بتحقيق الباحث محمد بن شريفة دار الغرب الإسلامي لبنان سنة ١٤١٠/١٩٩٠.

(٢٨) ترجمة ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢٩) تراجمه كثيرة، أنظر مثلاً الإحاطة لابن الخطيب ٤: ٢٥٣: ودرة الجال لابن القاضي ٢: ٤٥٣ وبقية المصادر المذكورة في معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٥٨.

(٣٠) وهو المجموع الذي ذكر سابقا واحتوى على كتاب الحديقة المستقلة النضرة ورقمه بالإسكوريال ١٠٩٦.

(٣١) محفوظة بمكتبة الحرم المدني برقم ٢١٧/٢/١٢١. والكتابان يختلفان في الترتيب على الرغم من أن كليهما لا يعتمد ترتيب أبواب الفقه، وكان كلاهما يضع المسائل كما تأتي له أو كما عثر عليها. ومن أمثلة هذا النوع أجوبة ابن الحسن الصغير (ت ٧١٩ هـ/١٣١٩ م) التي جمعها تلميذه إبراهيم التسولي (١٣٤٧/٧٤٨) ورتبها إبراهيم السجلماسي (١٤٨٣/٩٠٣) وطبعت بفاس ١٣١٩ هـ بعنوان «الدر النثير على أجوبة ابن الحسن الصغير» سركيس:

معجم المطبوعات ٢٧٨. وكتاب أجوبة إبراهيم ابن هلال الصنهاجي السجلماسي (١٤٨٣/٩٠٣) مرتب الكتاب السابق ـ طبع بفاس مرتين سنة ١٣١٠ هـ ١٣١٨ هـ أنظر سركيس: معجم المطبوعات ٢٧٧.

(٣٢) هو صاحب فهرست الرصاع المطبوع بتونس سنة ١٩٦٧. أنظر ترجمته في مقدمة الفهرست والسخاوي: الضوء اللامع ٨: ٢٨٦ـ٢٨٨، الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية ١: ٦٧٣، بيروت ١٩٨٥.

(٣٣) المجموع رقم ١٩٦٤٦ بدار الكتب الوطنية بتونس به ١٠٧ ورقة.

(٣٤) ترجمة السخاوي في الضوء اللامع ١٠: ٩٨ وأحمد بابا في نيل الابتهاج ٣٢٤ـ٣٢٥.

(٣٥) ابن مريم: البستان ٢٥٣؛ أحمد بابا: نيل الابتهاج ٣٠٢؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ١: ٢٧٤.

(٣٦) منها نسخ خطية كثيرة وطبعت طبعتين حجريتين في أول القرن الهجري السابق ثم طبعت أخيرا بالجزائر بتحقيق رابح بونار سنة ١٩٦٨. وتحدث عنها G Vajda في الكتاب المهدى إلى Levi Provencal الجزء ٢ ص ٨٠٥ ـ ٨١٣.

(٣٧) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ١: ٢٧٤

(٣٨) من أهم هذه المصادر كتاب دوحة الناشر لمحمد بن مصباح المعروف بابن عسكر ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ من طبعة Les Archives Marocaines الجزء ١٩ سنة ١٩١٣ م والحسن الوزان (ليون الإفريقي) في وصف إفريقيا (الرياض) ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨، ومحمد الطيب ابن الحاج عبد الرحمن التواتي التمنطيطي القرشي في كتابه البسيط في أخبار تمنطيط (نسخة خاصة) ذكرها ووصفها وحللها المهدي البوعبدلي في بحث عنوانه أضواء على مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات. أنظر مجلة الثقافة (الجزائرية) العدد ٩٤ السنة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.

(٣٩) منها نسختان بمركز IFAN في دكار بالسنغال برقمي ٢٢ و ٢٣. درس المخطوط وترجمه إلى الفرنسية الحاجي روحان مباي في مجلة المركز المذكور المجلد ٣٤ العدد ٢ ص ٢٣٧ ـ ٢٦٧.
(٤٠) طبعت الرسالة ضمن كتاب المعيار للونشريسي ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤ (لبنان) ودرسها حسين

مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس ص١٢٩ ـ ١٩١ سنة ١٩٥٧م اعتمادا على مخطوطة الإسكوريال رقم١٧٥٨ (مجموع).

(٤١) حقق الرسالة ودرسها عبد المجيد التركي في بحث عنوانه فتوى الإمام المازري في المسلمين المقيمين بصقلية في حماية النرمان. ضمن كتابه: قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي ٦٣ـ٨٠، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٩/١٩٨٨.

موجز القول عن النسخ الخطية
في الفلسفة الإسلامية

مهدي محقق

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من نتائج حركة الترجمة في الحضارة الإسلامية، أنها وضعت الأعمال الفلسفية لعلماء الإغريق في متناول أيدي المسلمين. [1] ولم يقتصر الأمر إذ ذاك على نقل المترجمين لمختلف كتب أرسطو وأفلاطون وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة إلى العربية فحسب، بل لقد قام بعض العلماء بترتيب آثار فلاسفة اليونان والفهرسة لها . ويمكننا أن نشير من بينها إلى كتابي أبي نصر الفارابي، قدم في أحدهما آثار أفلاطون،[2] وفي الآخر آثار أرسطو.[3] كما أن حنين بن إسحق - في رسالته إلى علي بن يحيى ـ يعدد مائة وتسعة وعشرين كتابا ترجمها هو وأعوانه، ويعدد أسماءها كتابا كتابا، ويشرح له بالتفصيل كيف حصل على تلك المخطوطات، وكيف قارنها الواحدة بالأخرى ليصل إلى نص صحيح كامل، فالسعي للحصول على المخطوطات من آثار السابقين، والبحث عنها كان دائما محل يقظة العلماء المسلمين وعنايتهم واهتمامهم.

يقول أبو الريحان البيروني في رسالته: "بقيت أربعين سنة ونيف أتحرق شوقا إلى رؤية كتاب «سفر الأسرار» لماني - الذي تأثر به محمد بن زكريا الرازي في تحرير كتابه «العلم الإلهي» - وعانيت كثيرا حتى أتى بريد من همدان إلى خوارزم يحمل كتبا لي كان من بينها ضالتي «سفر الأسرار»".[4]

ويقول ابن سينا: "لقد قرأت كتاب أرسطو «ما بعد الطبيعة» أربعين مرة، ولم أفهم معانيه، حتى اتفق أن عرض شخص علي في دكان أحد الوراقين كتابا مقابل ثلاثة دراهم، ولما كان صاحبه ذا حاجة فقد اشتريته، ولم ألبث أن عرفت أن الكتاب هو «أغراض ما بعد الطبيعة» للفارابي، وبواسطته استطعت أن أذلل ما واجهني من صعوبات في الكتاب".[٥] ويقول حنين بن إسحق: "وحتى أحصل على نسخة يونانية كاملة من كتاب «البرهان» لجالينوس، سافرت إلى الجزيرة، والشام، وفلسطين، ومصر، فلم أعثر على شيء منه حتى في الإسكندرية، إلى أن ظفرت في دمشق بنصف من الكتاب فحسب.".[٦] ومن طليعة العلماء المسلمين الذين بذلوا جهدهم فى التعريف بالمخطوطات، والكتب العلمية، والفلسفية، ابن النديم (المتوفى بعد عام ٣٥٠ هـ)، الذي وصف مخطوطات العلوم والفنون المختلفة الموجودة في زمانه . ويجب أن نذكر أيضا ممن جاءوا بعده أشخاصا كابن القفطي (المتوفى عام ٦٤٦ هـ)، صاحب «أخبار الحكماء»، وابن أبي أصيبعة (المتوفى عام ٦٦٨ هـ)، صاحب «عيون الأنباء»، والشهرزوري (المتوفى بعد عام ٦٨٧ هـ)، صاحب «نزهة الأرواح».

لقد كان للعلوم العقلية الإسلامية وسائر شعبها[٧] - وخاصة الفلسفة، والكلام، والمنطق - على مدى ألف سنة من التطور والتغير، سهم مرموق في الارتفاع بمستوى الفكر البشري؛ إلا أن مقدار ما نعرفه من هذا التراث وما وصل إلى علمنا لم يبلغ حتى العشرين في المائة مما خلفه السلف لنا. وإنها لمهمة الباحثين المعاصرين المتخصصين في الإسلام ، أن يبذلوا غاية مافي وسعهم لتعريف العالم بهذه الآثار حيثما كانت، وأن يعدوا لها فهرسا واحدا شاملا، حتى تتيسر للأيدي وتسهل مهمة تحقيقها، ونشرها، وتحليلها، ودراستها، والإفادة منها. فالأمر في إيران لا يقتصر على المكتبات الكبيرة التي تتمتع بالفهارس ـ مثل المكتبة المركزية بجامعة طهران، ومكتبة «أستان قدس رضوي» و «ملي ملك» و «ملى فرهنگ» و «آية الله المرعشي» بمدينة قم حيث توجد مئات الكتب والرسائل والمجاميع الفلسفية، فحسب - بل أن المكتبات الشخصية التي عرفت أخيرا، وفهرس لها ـ بهمة ـ علماء مثل محمد تقي دانش پژوه، لتجذب النظر بما عمرت به من نفائس المخطوطات ونوادرها.

إن هذا البحث الموجز لا يتسع للحديث عن جميع النسخ الخطية الفلسفية الموجودة في مكتبة واحدة، أو كافة ما تركه أحد الفلاسفة من آثار، فمراعاة لمقتضى الحال ، نكتفي هنا بالإشارة المجملة إلى بعض النسخ الخطية التي وقعت عليها عين كاتب المقال؛ على أن نذكر قبل ذلك أن الفلاسفة،

والمتكلمين، والمناطقة الإسلاميين قد ألفوا ـ في هذا المجال ـ أربعة أنواع من الكتب:

النوع الأول:

كتاب كبير جامع حاو لعلوم مختلفة أو أبواب مختلفة لعلم خاص، مثل «الشفاء» لابن سينا؛ فهو شامل لجميع شعب العلوم الإلهية والرياضية والطبيعية والمنطق،[8] و «رسائل إخوان الصفا» المؤلفة من اثنتين وخمسين رسالة في العلوم المتداولة في ذلك الزمان وفنونه، و «الحاوي» للرازي وكلها بالعربية، و «ذخيرة خوارزم شاهي» بالفارسية، وهو كتاب يشتمل على جميع مباحث الطب، والعلل من الرأس إلى القدم.

النوع الثاني:

كتاب ينفرد بمبحث خاص monograph ، وهذا على نوعين: إما مفصل ومبسوط للمعلمين والمتخصصين، وإما مختصر وموجز للمتعلمين والمبتدئين. وكانوا يطلقون على الأول صفة "الكبير"، وعلى الثاني صفة "الصغير"؛ مثلما كان للرازي من كتب باسم «النفس الكبير»، و «النفس الصغير» و «الهيولى الكبير» ، و «الهيولى الصغير».[9]

النوع الثالث:

ما يقوم العلماء فيه بشرح كتب غيرهم وتفسيرها، وهذه الشروح إما أن تكون منفصلة عن المتن بحيث يبدأ المتن بكلمة "قال" والشرح بكلمة "أقول"، وإما أن يمتزج الشرح بالمتن، وذلك ما كانوا يطلقون عليه «الشرح المزجي». ومن أكثرالشروح الفلسفية شهرة في الإسلام «شرح الإشارات والتنبيهات» لابن سينا، الذي شرحه فخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦هـ كما شرحه أيضا نصير الدين الطوسي المتوفى عام ٦٧٢ هـ ومنها كذلك «شرح حكمة الإشراق» لشهاب الدين السهروردي المقتول سنة ٥٨٧ هـ الذي شرحه قطب الدين الرازي المتوفى سنة ٦٦٧ هـ وثالث هو «شرح شواهد الربوبية» لمؤلفة صدر الدين الشيرازي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ، وشرحه حاجي ملاّ هادي السبزواري المتوفى سنة ١٢٨٩هـ وهذا العالم الأخير كتب شرحين لمنظومته في المنطق، والفلسفة، الأول باسم : «شرح اللآلىء المنتظمة»، والآخر باسم «شرح غرر الفرائد».[10]

النوع الرابع:

التعليقات، يعني ما يعلق به عالم على كتاب عالم سبقه، ونذكر من بينها «تعليقة صدر الدين الشيرازي» على كتاب «الشفاء» لابن سينا. وفي العصر

الحديث، إلى «تعليقه ميرزا مهدي الآشتياني» المتوفى سنة ١٣٧٢ هـ على «شرح منظومة الحكمة»، يعني «شرح غرر الفرائد».(١١)

ومما يستحق الذكر أيضا أن الرسائل القصيرة الموجزة لأحد العلماء كانت أحيانا تضم إلى بعضها في مجاميع، وأحيانا أخرى كانت الرسائل القصيرة لعلماء مختلفين في موضوع واحد، أو تمواضيع مختلفة، تنضم معا في مجاميع.

وفي هذا المقال يجري التعريف ببعض آثار فلسفية وكلامية ومنطقية، مما وصلتنا مخطوطاتها وبعضها مستقل بذاته، بينما البعض الآخر في هيئة مجاميع، كما أن بعضها قد نشر بالفعل ولايزال البعض الآخر على هيئة مخطوطات.

نذكر من بين المجموعات المخطوطة مجموعتين، أولاهما محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني، والأخرى في المكتبة المركزية بالجامعة. فأما مجموعة المتحف البريطاني فمدرجة تحت رقم (Add ٧٤٧٣)، بعنوان Scientific Treatise وهي تضم حوالي عشرين رسالة لعلماء مختلفين، وتاريخ كتابتها سنة ٦٣٩ هـ وأول رسالة في هذه المجموعة هي «السيرة الفلسفية لمحمد بن زكريا الرازي»، التي طبعت بمعرفة بول كراوس سنة ١٩٢٥م. في مجلة *Orientalia*، بعددها الرابع ص٣٠٠ ـ ٣٣٤ مع الترجمة الفرنسية، ثم نشرتها بعد ذلك جامعة القاهرة سنة ١٩٣٩م، في القاهرة تحت عنوان «رسائل فلسفية» Opera Philosophica،(١٢) والرسالة الثالثة في هذه المجموعة ذاتها هي «كسر المنطق» لمؤلف غير معروف، اسمه أبو النجا الفارض، وهي في نقد المنطق الأرسطي، وقد صححها سنة ١٣٥٢هـ عبد الجواد فلاطوري الأستاذ بجامعة كلن الألمانية، ونشرها في مجموعة «المنطق، ومباحث الألفاظ» *Logic and Language*.(١٣) وأهمية هذه الرسالة أنها كتبت قبل «الرد على المنطقيين» لابن تيمية؛ ولعلها من باكورة إنتاج الحركة ضد المنطق الأرسطي في الإسلام. ومن بين رسائل هذه المجموعة رسالة أخرى بعنوان «قول الحسن بن سهل بن السمح بن غالب في الأخبار التي يخبر بها كثيرون»، وموضوعها، معيار قيمة الخبر المتواتر، وحجيته، وقد طبعت مرة بمعرفة برنارد بالادي M Bernard Baladi في المجلة الآسيوية سنة ١٩٦٩م، ص٢٥، ومرة أخرى بمعرفة محمد تقي دانش پژوه، في مجلة الإلهيات والفلسفة الإسلامية فى طهران. وتتنوع رسائل هذه المجموعة فأكثرها في الرياضيات والنجوم، وتشمل فيما تشمل الأدب العربي، ومع ذلك فعديد من الرسائل تختص بالمباحث الفلسفية وهي حرية بأن تحظى بعناية العلماء تحقيقا ونشرا

ودراسة. ومن جملة هذه الرسائل: «دليل موجز على حدوث العالم» لأبي الحسن علي بن رضوان، و«رسالة الرئيس أبي علي ابن سينا فيما تقرر عنده في حجج المثبتين للماضي مبدءا زمانيا وتحليلها إلى القياسات»،[١٤] ورسالة «سياسة النفوس» لسنان بن ثابت بن قرة الحراني، وأخيرا «المسائل التي سأل عنها أبو موسى عيسى بن أسد أبا الحسن ثابت بن قرة الحراني»، وفيها جرى البحث في مسائل فلسفية منها: علم الله بالجزيئات، وتعداد المقولات، و مفهوم العدد.

وأما المجموعة الأخرى، فهي مجموعة المكتبة المركزية بجامعة طهران، المفهرسة تحت رقم ٥٤٦٩، وقد كتبت في سنتي ٥٥٦ و ٥٥٧هـ وهي كسابقتها - من حيث احتوائها على رسائل فلسفية وأخرى علمية -. وقد قام كاتب هذه السطور بنشر إحدى رسائلها وهي: «فصل فيما هي صناعة المنطق وفي ماذا ينتفع بها»، نشرت ضمن مجموعة أبحاث بعنوان «المنطق، ومباحث الألفاظ» سنة ١٣٥٣هـ و «رسالة ابن السمح في غاية الفلسفة» في «جشن نامه»، الكتاب التذكاري لهنري كوربان سنة ١٣٥٦ هـ ، كما نشرت رسالة أخرى من هذه المجموعة تحت عنوان: «كتاب جالينوس في أنه يجب أن يكون الطبيب الفاضل فيلسوفا» بتحقيق بيتر بخمان Peter Bachmann سنة ١٩٦٦م في كوتينكن بألمانيا، عن نسخة كثيرة الأخطاء[١٥] ومن مزايا هذه المجموعة أنها اشتملت على رسائل متعددة لأبي الريحان البيروني؛ وقد ورد في أخرها عبارة تقول «نقلته من خط أبي ريحان». ومن جملة ما اشتملت عليه أيضا «جدول تاريخ الحكماء» الذي نقله إسحق بن حنين عن يحيى النحوي،[١٦] وهذا الجدول قد جاء في رسالة أبي الريحان بصورة غير صحيحة، وهذه المخطوطة تعين على تصحيح أخطائه.[١٧] كما توجد في هذه المجموعة رسائل أخرى تثير الاهتمام وينبغي للعلماء أن يتناولوها بالتصحيح، والتحقيق، إذا لم يكن ذلك قد تحقق حتى الآن، من بينها: «رسالة أرسطاطاليس إلى الإسكندر في العالم» ، و«مقالة قسطا بن لوقا البعلبكي في الاستقصاء» و«فصل في كلام الفلاسفة والإبانة عن العلة القريبة الفاعلة للكون والفساد وفي الكائنات الفاسدة.»

من الكتب الفلسفية الجامعة المستقلة التي بقيت لنا، مخطوطة نفيسة تحت رقم ٢٥٧، في المكتبة المركزية بجامعة طهران، من كتاب «بيان الحق بضمان الصدق» لأبي العباس اللوكري تلميذ بهمنيار بن مرزبان الذي كان بدوره تلميذا لابن سينا. يقول اللوكري في مستهل كتابه: «إن بعض الكتب الفلسفية مفصل حتى قصر الطلبة عن فهمه، وبعضها مختصر حتى اكتفى فيه بالمطالب الكلية، وقد جعلت كتابي على أساس آثار ابن سينا والفارابي، بين

الطرفين الإفراط والتفريط، حتى يحصل الباحثون على مقاصده بسهولة». جعلت أهمية كتاب اللوكري صاحب «تتمة صوان الحكمة» يقول عن مؤلفه: "ومن الأديب أبي العباس اللوكري انتشرت علوم الحكمة بخراسان".(١٨) وكان حسنون الطبيب الرهاوي المتوفى سنة ٦٢٩هـ، (أي بعد اللوكري بقرن ونصف) يصطحب الكتاب معه أينما ذهب للإفادة منه، كما كان ابن العبري يقول: "كان أكثر مطالعته كتاب اللوكري في الحكمة".(١٩) ولحسن الحظ أن قسم المدخل إلى المنطق من هذا الكتاب قد طبع سنة ١٣٦٤ هـ من تحقيق الدكتور إبراهيم الديباجي الذي شرح «قصيدة أسرار الحكمة» للوكري سنة ١٢٥٣هـ ونشر شرحها في مجموعة «المنطق ومباحث الألفاظ»، والذي ينوي هذا العام أن ينشر «قسم الإلهيات» من الكتاب عن طريق معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة مكغيل، شعبة طهران.

من الكتب الفلسفية ذات الأهمية التي كتبت في موضوع خاص، كتاب «إثبات حدوث العالم» لفريد الدين الغيلاني، الذى توجد مخطوطته في المكتبة المركزية بجامعة طهران تحت رقم ١٣١٤، وقد كتب الغيلاني كتابه في نقد ابن سينا، ورد رسالته المذكورة في مجموعة مكتبة المتحف البريطاني تحت عنوان: «الحكومة في حجج المثبتين للماضي مبدءا زمانيا»، وفريد الدين هذا هو من عرفه فخر الدين الرازي: بأنه "مستقيم الخاطر صافي القريحة، ولكنه قليل المحصول، بعيد عن النظر، والجدل"، كما قال: "إن الملخص، وشرح الإشارات، والمباحث المشرقية من كتب الغيلاني، كانت تقرأ في سمرقند".(٢٠) وفي هذه الرسالة يرد ابن سينا وينقده بشدة، كما يستخف من حين لحين بأفكار الفارابي في «رسالة خلق العالم» ويعتبرها واهية، ويستشهد في إثبات عقيدته بأقوال المخالفين كحجة الإسلام الغزالي، والإمام شرف الدين محمد المسعودي.(٢١) وهو يذكر في نفس الرسالة: كيف بدأ سنة ٥٢٣ هـ بتحصيل العلوم الفلسفية في المدرسة النظامية بمرو، ثم ذهب بعد سنتين إلى نيشابور لتعلم المنطق، وأنه كان قد قرأ الحساب، والجبر قبل ذلك في بلخ،(٢٢) وهذا الكتاب سوف يطبع وينشر في القريب العاجل بعناية كاتب هذا المقال، والأستاذ محمد تقي دانش پژوه، ضمن مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، شعبة طهران.

في موضوع المناظرات العلمية والفلسفية هناك كتاب «الأسئلة والأجوبة» ذو الأهمية البالغة، وهو عبارة عن الأسئلة التي أرسلها أبوالريحان البيروني من خوارزم إلى ابن سينا، ينتقد فيها أرسطو في بعض المباحث

الفلسفية والمعرفة بالعالم في كتاب «السماء والعالم»، وإجابات ابن سينا عليها، وهذا الكتاب، مع أنه قد طبع بالقاهرة سنة ١٣٣٥هـ في مجموعة باسم «جامع البدايع»، وطبع سنة ١٩٥٢م ضمن «رسائل ابن سينا» بإستانبول، إلا أن هناك مخطوطتين في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بإيران تحت رقمي ٥٩٩، ١٩٦٨، تشتملان - علاوة على ما جاء في الطبعتين المذكورتين - على جواب أبي الريحان على ابن سينا مرتين، وكذلك على دفاع أبي سعيد أحمد بن علي، عن ابن سينا. وأبو سعيد أحمد بن علي هذا هو علي الظاهر أبو سعيد المعصومي، المعروف بتتلمذه على ابن سينا، كما ورد اسمه في سيرة ابن سينا الذاتية. ونظرا لأهمية هذين القسمين من الكتاب، فقد قمت أنا والدكتور سيد حسين نصر بنشره على أساس نسخة مجلس الشورى، سنة ١٣٥٢ هـ في طهران. وفي سنة ١٩٧٤م نشرت رسالة «الأسئلة والأجوبة» للمرة الثانية، في إستانبول ضمن مجموعة عنوانها «أرمغان البيروني»، وورد بها تنويه بمزايا طبعتنا.[٢٣] وسينشر هذا الكتاب عاجلا مع إعادة النظر، والتفصيل في مقدمة فارسية، بقلم كاتب هذه السطور، ومقدمة إنجليزية، بقلم الدكتور سيد حسين نصر، في سلسلة «تاريخ العلوم في الإسلام» التي تصدر عن معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة مكغيل، شعبة طهران. وربما اقترن ذلك بصدور ترجمة إنجليزية للكتاب في صورة رسالة للدكتوراة، بقسم تاريخ العلوم وفلسفتها في جامعة لندن، أعدها السيد حسن جمشيدي بور، وأرسلها إلى كاتب هذا المقال للإصلاح، وبذلك تصل إلى أيدي أهل العلم والمعرفة.[٢٤]

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن مخطوطات الفلسفة،أن نشير إلى وجوب الاهتمام بمخطوطات الطب التي امتزجت بالمسائل الفلسفية والمنطقية، فقد كانت عادة الأطباء أنهم كانوا يستهلون كتبهم الطبية بمقدمات في الفلسفة، وهذا الأمر يمكن ملاحظته بصورة كاملة في الأقسام الأولى من كتب «فردوس الحكمة» لعلي بن ربن الطبري عالم القرن الثالث الهجري، و«المعالجات البقراطية» لأبي الحسن الطبري، عالم القرن الرابع الهجري. وما كان ذلك إلا لأن السلف كانوا يؤمنون بالتداخل بين الطب والفلسفة ، حتى قيل: إن الفلسفة طب الروح والطب فلسفة البدن،[٢٥] والكتاب المعروف لجالينوس بعنوان «في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا» والذي سبقت الإشارة اليه، يؤيد هذه المسألة ، ولعل العلة في أن يطلق ابن سينا على كتابه الطبي «القانون» وعلى كتابه الفلسفي «الشفاء»، كانت من باب هذا التداخل بين العلمين.

ومع هذه المقدمة يود الكاتب أن يعرف بمخطوطتين من هذا القبيل من الكتب: إحداهما: لكتاب «الشكوك على جالينوس الحكيم» لمحمد بن زكريا الرازي[٢٦] وهذا الكتاب، وإن كانت منه مخطوطتان في مكتبتين تركيتين، إلا أن أحسن نسخة منه توجد في مكتبة «ملي ملك» (ملك الأهلية) في إيران ضمن مجموعة نفيسة برقم ٢١٢٤. في هذا الكتاب يرد الرازي على عدة كتب لجالينوس في الطب وينتقدها، وأول ما رد عليه من كتب جالينوس كتاب «البرهان»، وأول مسألة «مسألة وجود العالم»، حيث يقول الرازي: "إن قوله في هذا الأمر متناقض، لأنه في هذا الكتاب يعتقد بقدم العالم، وفي بعض كتبه الأخرى يقول بالتوقف؛ يعني: أنه لا يعلم ما إذا كان العالم قديما أم حادثا". ومما يسترعي النظر هنا أن الغزالي - في «تهافت الفلاسفة» ـ قد نقل قول الرازي في رد عقيدة جالينوس بقدم العالم، دون أن يشير إلى المصدر الذي نقل عنه.[٢٧] وهنا ينبغي التذكير بأن كتبا متعددة قد كتبت لرد كتاب «الشكوك» للرازي، وقد ألفها علماء مثل ابن أبي صادق النيشابوري، عالم القرن الخامس الهجري، وابن رضوان المصري المتوفى سنة ٤٥٣هـ وابن ميمون Maimonides المتوفى سنة ٦٠١ هـ إلا أن نسخة فريدة من رد ابن زهر الأندلسي Avenzoer المتوفى سنة ٤٥٦ هـ تحت عنوان: «البيان والتبيين في الانتصار لجالينوس» قد بقيت لنا، وهي محفوظة في مدرسة نواب بمدينة مشهد. وكاتب هذا المقال يعتزم طبع «شكوك الرازي» على أساس المخطوطات الثلاث المذكورة، ومنتخبات من رد ابن زهر، وينشرها على وجه السرعة ليقدمها لأهل العلم في المؤتمر الدولي لتاريخ الطب في الإسلام وإيران، الذي سينعقد في مطلع خريف السنة القادمة بطهران.

وكتاب آخر تداخلت فيه المسائل الفلسفية، والمسائل الطبية هو «بستان الأطباء وروضة الألباء » لأسعد بن إلياس بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧ هـ وكان طبيب صلاح الدين الأيوبي، ويوجد في مكتبة «ملك» التابعة لـ «أستان قدس رضوي» برقم ٤٢١٠. وتشير القرائن إلى أن هذه النسخة إما أنها كتبت بخط المؤلف، وإما أنها قرأت عليه. ويقدم ابن المطران في هذا الكتاب مسائل مختلفة ترتبط بالطب، وتاريخه وخواص الأدوية والعقاقير. أما أغلب المسائل الفلسفية في الكتاب فترتبط بالطبيعة، وعناصر الإنسان في مجرى اتصاله بالعالم، وتأثير تحولاته الطبيعية في الوجود الجسماني، والروحاني للإنسان. وأصبح هذا الكتاب - بعد ابن المطران - مصدرا استفاد منه علماء آخرون مثل عبد اللطيف البغدادي، وابن أبي أصيبعة.[٢٨] وقد وفق كاتب هذا المقال إلى نشر

مصورة من هذا الكتاب مع مقدمة، وخلاصة لمسائله بالفارسية كما ألحق به فهارس متعددة، وذلك عن طريق مركز نشر المخطوطات التابع لمؤسسة دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٣٦٨ هـ في طهران.

ومن المخطوطات الفلسفية التي ترجع إلى ما تلا ذلك من القرون يمكن أن نذكر كتاب «شرح الإلهيات من كتاب الشفاء» لملاّ مهدي نراقي المتوفى سنة ١٢٠٩ هـ الذي كتب شرحا مزجيا على «قسم الإلهيات» من كتاب «الشفاء»، وبلغ بالشرح حتى أوائل الفصل الثاني من المقالة الثانية، وكانت نسخة منه بخط المؤلف لدى السيد حسن نراقي من أحفاده. وقد نشر صاحب هذه السطور هذه النسخة ، مع مقابلتها بنسخة أخرى كتبت بأمر المؤلف سنة ١٢٠٣ هـ وقامت بنشرها شعبة طهران من معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة مكفيل عام ١٩٨٦م. وفي منتصف هذه النسخة حاشية من "ميرزا طاهر التنكابني"،(٢٩) يقول فيها: "رأيت هذه النسخة في كاشان، وقد بلغت دقة نظر المؤلف الغاية في شرح كلمات الشيخ". وميرزا طاهر هذا بالذات كان شديد الولع باستنساخ المخطوطات وتصحيحها. وتوجد كذلك نسخة من «أوائل المقالات» للشيخ المفيد في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ٤ ٣٨٦ وقد وردت بها العبارة التالية في الصفحة الأولى منها: "في سنة ١٣٥٥، في شهر جمادى الآخرة في مكتبة الفقير محمد طاهر الطبرسي، وذلك عن طريق المطالعة، والمقابلة مع نسخة صحيحة".

من المخطوطات قريبة العهد بالزمان الحاضر - والتي بقيت لنا بخط مؤلفها ـ كتابان لميرزا فضل الله شيخ الإسلام الزنجاني المتوفى في شوال سنة١٣٠٣هـ أحدهما، «تاريخ الشيعة» والآخر «الفرق الإسلامية»، وقد حررهما المؤلف بصورة موجزة وموثقة. ومن مزايا هذين الكتابين: أن المؤلف قد استفاد من الكثير من المصادر التي كانت لا تزال مخطوطة آنذاك ، والتي كانت تزخر بها مكتبته الكبيرة الجامعة، ومن جملة تلك المصادر: آثار أبي الحسن الأشعري، والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي، والشريف المرتضى المتكلم الشيعي، وهذان الكتابان يقوم الآن كاتب هذه السطور بطبعهما في مؤسسة «بزوهشهاي إسلامي» (البحوث الإسلامية) «في أستان قدس رضوي». وشيخ الإسلام الزنجاني نظرا لتعلقه الشديد بمخطوطاته الفلسفية والكلامية، كان يأمر بأن تستنسخ له العديد من المخطوطات. فهناك في مجلس الشورى الإسلامي نسخة من « أوائل المقالات» للشيخ المفيد منضمة إلى «المسائل العكبرية» برقم ١٣٣٢، وفي ختامها وردت العبارة الآتية: " حسب الأمر المبارك

من حضرة المستطاب الحبر التحرير النبيل شيخ الإسلام الزنجاني دام ظله العالي".

وما دامت المخطوطات التي تناولناها بالقول حتى الآن باللغة العربية، نرى من المناسب أن نختتم المقال بذكر مخطوطتين باللغة الفارسية:

من المخطوطات الفارسية «شرح رباعيات جلال الدين محمد الدواني» الفيلسوف متكلم القرن التاسع الهجري؛ وهو كتاب صغير الحجم، كتبه غياث الدين بن محمود بن محمد الباقر سنة ٩٨٣ هـ. وهذا الكاتب كتب «الحواشي الجمالية» في نفس هذه السنة في مدينة هرات في مدرسة «ملك برزكر»، (٣٠)

أما «شرح الرباعيات» فيختمه هذان البيتان اللطيفان من الشعر العرفاني:

إلى سرقصة العنقاء وقصة الهدهد
يصل من كان يعرف لغة الطير
ما أدراك ما لغة الطير
أنت يا من لم تر سليمان لحظة واحدة؟

وكان كاتب الرسالة يبدأ بذكر الرباعي، ثم يشرع في شرح المفردات اللغوية، ويبين معناها، ومفهومها العرفاني، والفلسفي، فمثلا تحت هذا الرباعي الخاص بالأعيان الثابتة، يقول:

الأعيان الثابتة في حرم ملك القدم
موجودة بوجه، وبوجه هي العدم
وإن كانت بذاتها أقل من لا شيء
إلا أنها مرآة إسكندرية وكأس «جم»

يقول: الأعيان الثابتة وهي لدى الطائفة صور علم الحق - هي قديمة باعتبار ثبوت علم الحق، فمن حيث أن صفاتها ظاهرة في الوجود، فهي موجودة، ومن حيث أن ذاتها باقية على معدوميتها، فهي معدومة، وهي لا شيء لا علما ولا عينا، ومع هذا فهي أمارات الوجود الحقيقي على الوجه الذي سبق بيانه.

وهناك أيضا من مخطوطات الرسائل الفارسية الفلسفية - صغيرة الحجم - رسالة في مكتبة مجلس «الشورى الإسلامي» بعنوان «رسالة شرح مقامات العارفين» من كلام المولى المعظم علامة العالم سلطان المحققين قطب الملة والدين، معين الإسلام والمسلمين، حجة الله على الخلق الأبهري، قدس الله سره. وفي مستهلها يشير المؤلف إلى النمط التاسع من «إشارات أبي علي» حيث أورده في «مقامات العارفين» فيقول: "فاعلم أن سلامان مثل ضرب لك، وأن أبسال مثل ضرب لدرجتك في العرفان إن كنت من أهله، ثم حل الرموز إن

أطقت" ثم يشرع، نزولا على رغبة صديقه العزيز المعطوف، في تأويل رموز عناصر هذه القصة وحلها. وحسبنا أن نذكر هنا أحد عبارات الرسالة على سبيل المثال: "أما قوله إنه صائم أربعين يوما، فيعني أنه قد ثبت في الإنسان أربعون طورا من الحكمة الإلهية، وكل من كان صاحب سير يطلب العبور من هذه المقامات الأربعين، فيجد الأربعين حكمة تلك التي ركبها الحق تعالى في أطوار التركيب " وإنه لشيء يذكر بقول حافظ الشيرازي:

إن سالكا في أرض وقت السحر

كان يقول هذا المعمى مع قرين

أيها الصوفي، إنما يصفو الشراب

إذا ما بقي في الزجاجة أربعين

ونظرا لأن اسم «الأبهري» ورد بصورة مطلقة، لا يمكننا أن نجزم بأن المقصود هو أثير الدين الأبهري السمرقندي المتوفى سنة ٦٦٠ أو ٧٠٠ هجرية، صاحب كتاب «الهداية» الذي شرحه كل من الميبدي وملاّ صدرا .

وفي الختام ما أحوجنا إلى أن نذكر أن الهدف من تحرير هذا المقال هو الإشارة إلى ضرورة الاهتمام الفائق بمخطوطات العلوم العقلية الإسلامية الحافلة بالتنوع الخاص، من حيث الكم والكيف، والقالب، والمحتوى، والمشتملة على المسائل النفيسة القيمة، وضرورة بذل المزيد من العناية بها. ولما كان الكثير من هذه المخطوطات ما زال حتى الآن لم يحظ بالتعريف والتحقيق والدراسة، لزم أن يعد فهرس مشترك للكتب والرسائل الفلسفية والكلامية والمنطقية الموجودة في أقطار العالم، مرفقا ببيان القيمة العلمية لكل منها، ثم يتداول هذا الفهرس بين الجامعات والمراكز العلمية في العالم. كما يجب أن تعقد المؤتمرات والمحاضرات حيث يدور البحث والنقاش بين العلماء حول القيمة العلمية لهذه الآثار، مما يؤدي إلى استخراج المطالب الكثيرة من مطاوي التراث العلمي الماضي، هذه المطالب التي يمكن تقديمها وعرضها للحضارة البشرية من أجل الارتقاء والتعالي بمقام الإنسان.

تم بعون الله تعالى وتوفيقه

الحواشي

(١) للاطلاع على نهضة الترجمة وجهود العلماء المسلمين في سبيل الحصول على نسخ الكتب العلمية، راجع: «نهضت ترجمة ونشر علوم بيكانكان در زمان حضرة رضا عليه السلام» (نهضة ترجمة ونشر علوم الآخرين في زمان حضرة الرضا عليه السلام)، في العدد الثاني من العشرين مقالا في «المباحث الأدبية والتاريخية والفلسفية والكلامية، وتاريخ العلوم في الإسلام» لمهدي محقق، من منشورات معهد الدراسات الإسلامية، التابع لجامعة مكغيل، شعبة طهران، طهران ١٩٩٠م.

(٢) «فلسفة أفلاطون وأجزاؤها، ومراتب أجزائها من أولها إلى أخرها» في «أفلاطون في الإسلام» من تحقيق عبد الرحمن بدوي، من منشورات معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة مكغيل، شعبة طهران، طهران ١٩٧٤م.

(٣) الفارابي، «فلسفة أرسطوطاليس وأجزاء فلسفته ومراتب أجزائها والموضع الذي منه ابتدأ واليه انتهى» حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محسن مهدي، دار مجلة شعر بيروت، ١٩٦١م.

(٤) «رسالة أبي ريحان في فهرست كتب الرازي» بتحقيق بول كراوس، ص٣، باريس ١٩٣٦م. المتن العربي والترجمة الفارسية لهذا الكتاب بانضمام رسالة «المشاطة لرسالة الفهرست» لغضنفر التبريزي، قد تم نشرهما في سنة ١٣٦٦هـ . بتحقيق الدكتور مهدي محقق، بتوسط جامعة طهران تحت عنوان: «فهرست كتابهاي رازي ونامهاي كتابهاي بيروني» (فهرست كتب الرازي، وأسماء كتب البيروني) أنظر ص٣ من المتن وص٤٧ من الترجمة من هذه الطبعة.

(٥) ابن أبي أصيبعة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص٤٢٨، تحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م.

(٦) حنين بن إسحق، «رسالة إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه (ظ: بعمله) وبعض ما لم يترجم» بتحقيق بركشتراسر Bergehtrasar ، برلين، ١٩٢٥، ص٤٧. وهذه الرسالة ترجمت إلى الفارسية، بمعرفة كاتب هذه السطور، وطبعت في كتاب «بيست كفتار در مباحث علمي وفلسفي وكلامي وفرق إسلامي» وذكر المطلب في ص١١٤ من هذا الكتاب.

(٧) للاطلاع على شعب العلوم العقلية، وترتيب العلوم الإسلامية، راجع مقالة الكاتب تحت عنوان «تقاسيم العلوم في الإسلام» في المجلة الفلسفية العربية ج١، العدد ١-٢ صيف وشتاء ١٩٩٠، عمان، الأردن، ص١٠٩-١٢٠ وطبعت الترجمة الفارسية لهذه المقالة في «فصلنامه سياست علمي وپژوهشي *Science Policy Quarterly*، ج١، العدد ١، ربيع سنة١٩٩١م، طهران.

(٨) في التقسيم الثانوي «للشفاء» يحتوي الكتاب على الأجزاء الآتية: الإلهيات في قسمين، الرياضيات في أربعة كتب، الطبيعيات في ثمانية كتب، المنطق في تسعة كتب. ومن أجل التفصيل ارجع إلى مقدمة «شرح الإلهيات من كتاب الشفاء» ص١٠، من منشورات معهد الدراسات الإسلامية، لجامعة مكفيل، شعبة طهران، طهران سنة ١٩٨٦م.

(٩) راجع إلى مهدي محقق، في كتاب «فيلسوف ري محمد بن زكريا الرازي» نشره معهد الدراسات الإسلامية لجامعة مكفيل، شعبة طهران، طهران سنة ١٣٥٢ هـ ص١٠٨ و ٧٩.

(١٠) طبع قسم «الأمور العامة والجوهر والعرض»، من هذا الكتاب بمعرفة الكاتب والبروفسور ت. إيزوتسو سنة ١٣٤٨ هـ في طهران بواسطة معهد الدراسات الإسلامية لجامعة مكفيل، شعبة طهران. وطبعت الترجمة الإنجليزية التي قمنا بها نحن الاثنان في نيويورك سنة ١٩٦٧م، بواسطة مؤسسة النشر كارفان Carvan، ثم تجدد طبعها في طهران سنة ١٣٦١ و ١٣٧٠ هـ.

(١١) تم تصحيح هذا الكتاب بمعرفة الكاتب، وعبد الجواد فلاطوري سنة ١٣٥٢ هـ وطبعه معهد الدراسات الإسلامية لجامعة مكفيل، شعبة طهران، ثم أعادت طبعه جامعة طهران سنة ١٣٦٧ هـ

(١٢) طبع المتن العربي لهذه الرسالة مرة أخرى مع ترجمة عباس إقبال، ومقدمة فارسية وإنجليزية من مهدي محقق، سنة ١٣٤٣ هـ بواسطة مؤسسة اليونسكو في طهران.

(١٣) من منشورات معهد الدراسات الإسلامية لجامعة مكفيل، شعبة طهران (سلسلة دانش ايراني ٨) بإشراف مهدي محقق، وتوشي إيزوتسو. في هذه المجموعة اثنتا عشرة رسالة في المنطق، بمعرفة علماء إسلاميين إيرانيين.

(١٤) وكما سيأتي بعد، فإن هذه الرسالة ستكون محلا لرد فريد الدين الغيلاني ونقضه، في رسالة «حدوث العالم».

(١٥) طبعت الترجمة الإنجليزية لهذا المقال تحت عنوان:
Galen on the Ideal of the Physician, *South African Medical Journal* بمعرفة ب. برين P Brain في مجلة «طب الجنوب الأفريقي»، العدد ٥٢، سنة ١٩٧٧م.

(١٦) راجع «تاريخ الأطباء والفلاسفة» لإسحق بن حنين، نشر في مجلة *Oriens* العدد ٧ سنة ١٩٥٤م مع الترجمة الإنجليزية، بمعرفة فرانز روزنتال F.Rosenthal.

(١٧) راجع تعليقات الكاتب على «فهرست كتابهاي رازي ونامهاي كتابهاي بيروني» (رسالة أبي الريحان) ص ١٥٩، وقارن مع ما ورد في مقالة ف.و. زيمرمان F W Zimmermann في مجلة *Arabica* العدد ٢١ سنة ١٩٧٤م.

(١٨) منتخب الدين المنشي اليزدي، «درة الأخبار ولمعة الأنوار» (الترجمة الفارسية لـ «تتمة صوان الحكمة») طهران، الملحق للسنة الخامسة لمجلة «مهر»، ص ٨.

(١٩) ابن العبري، «مختصر تاريخ الدول»، طبع ببيروت سنة ١٩٥٨م، ص ٢٥٣.

(٢٠) «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»، تحقيق الدكتور فتح الله خليف، بيروت، دار المشرق، سنة ١٩٦٦م، ص ٦٠.

(٢١) فخر الدين الرازي، ومناظراته مع شرف الدين المسعودي أيضا في الصفحات ٢٢ إلى ٥٠ من الكتاب المذكور أعلاه.

(٢٢) ص ١٨، من النسخة الخطية بالمكتبة المركزية بجامعة طهران.

(٢٣) «أرمغان بيروني» Beyruni'y Armagan، جمعية تاريخ الترك، أنقره سنة ١٩٧٤م، ص ٢٦١.

(٢٤) كتب البروفسور اج. ار. بوست H R Post الأستاذ بقسم التاريخ وفلسفة العلوم بجامعة لندن، ضمن رسالة إلى الدكتور شريفان رئيس قسم الرياضيات وعلوم الكمبيوتر بجامعة طهران، بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩٨٥م، يقول فيها أن السيد حسن جمشيدي بور قد أتم دروس دورة الدكتوراة وامتحاناتها، وفقط تجب المشورة مع البروفسور مهدي محقق للاطمئنان على الترجمة الإنجليزية «للأسئلة والأجوبة».

(٢٥) راجع مقالة تمكين Owsei Temkin بعنوان «دراسات في الطب الإسكندراني في الدورة المتأخرة»، «بوليتين تاريخ الطب»، سنة ١٩٣٥م، العدد ٣، ص٤١٨.

(٢٦) كتب محرر هذا المقال مقالة بعنوان «كتاب الشكوك على جالينوس لمحمد بن زكريا الرازي»، طبعت في مجلة «تاريخ العلوم العربية»، حلب، ج٩، العدد ١و ٢ سنة ١٩٩١م، ص ١٤٧ إلى١٥٦.

(٢٧) الغزالي، «تهافت الفلاسفة»، القاهرة سنة ١٣٦٦م، ص٩١-٩٢.

(٢٨) راجع الصفحة الخامسة من المقدمة التي وضعها كاتب هذا المقال لكتاب «بستان الأطباء».

(٢٩) ميرزا طاهر تنكابني من العلماء وأساتذة الفلسفة المعاصرين، وتوفي سنة ١٣٦٥ الهجرية القمرية المطابقة لسنة ١٣٢٥ الهجرية الشمسية.

(٣٠) «آقابزرك تهراني»، «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، بيروت، دار الأضواء، ج٣، ص٢٧٩.

نبذة عن السادة المشاركين

الدكتور إرج افشار

رئيس تحرير « آينده » ، مجلة فارسية للدراسات الإيرانية. أستاذ تاريخ إيران السابق (١٩٦٩-١٩٧٩) بجامعة طهران. مديرعام المكتبة المركزية ومركز التوثيق بجامعة طهران (١٩٦٢-١٩٧٩). مدير عام مطبوعات جامعة طهران (١٩٦٢ - ١٩٧٠). من منشوراته:

«فهرست مقالات فارسي» الأجزاء ١-٤، طهران، ١٩٦١-١٩٨٠.

«فرهنگ إيران زمين» في ٢٨ جزء، طهران ١٩٦١-١٩٨٠.

«ياد گارها يزد »، ٣ أجزاء، طهران ١٩٦٩-١٩٧٥.

ويعمل حاليا في مشروعين:

تحقيق «رسائل إخوان الصفا» بالاشتراك مع محمد تقي دانش پژوه ، وإعداد الجزء العاشر من «فهرست نسخه هاى خطي كتابخانة ملي ملك.» وقد سبق نشر الأجزاء من ١-٩ في طهران، ١٩٧٣-١٩٩٢ بالاشتراك مع محمد تقي دانش پژوه.

الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي

مدير عام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA) بإستانبول، ومدير عام منظمة المؤتمر الإسلامي. وشغل فيما سبق منصب أستاذ بكلية العلوم بجامعة أنقرة. ومن منشوراته:

Transfer of Modern Science and Technology to the Muslim World, Istanbul, 1992;

World Bibliography of the Translations of the Meaning of the Holy Quran, Istanbul,1986;

Catalogue of Islamic Medical Manuscripts in the Libraries of Turkey, Istanbul,1984.

ومن مجالات اهتمامه حاليا: تاريخ العلوم الإسلامية، وبالذات تاريخ المعاهد العلمية والمخطوطات، ودخول العلوم الأوربية إلى العالم الإسلامي، وتاريخ العلوم العثمانية.

الدكتور أنجيلو ميكيلي بيمونتيزي

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بقسم الدراسات الشرقية بجامعة «لا سابيينزا» بروما. من مؤلفاته:

Catalogo dei manoscritti persiani conservati nelle biblioteche d'Italia, Rome,1989;

"Venezia e la diffusione dell'alfabeto arabo nell'Italia del Cinquecento", in *Quaderni di Studi Arabi,* Venice, Casa Editrice Armena, 5-6 (1987-1988), pp 641-660;

"Studi orientali e libri manoscritti islamici in Italia", in *atti del 1 Congresso su: La presenza italiana nei paesi arabi: Studi e prospettive, Napoli, 28-30 Maggio 1980,* Rome.

ومن اهتماماته العلمية فهرسة المخطوطات، تاريخ وببليوغرافيا الدراسات الإسلامية التي قام بها الدارسون الإيطاليون أثناء عصر النهضة، تاريخ الخط العربي والإسلامي وتاريخ فن الكتاب.

الدكتور أنس باقي خالدوف

رئيس قسم دراسات الشرق الأدنى بمعهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم الروسية في سان بطرس بورج. له من المنشورات:

Two dictionaries: by Ishaq al-Farabi and by Mahmud al-Kashgari, Moscow, Nauka, 1987.

Arabic Manuscripts of the Institute of Oriental Studies of the Academy of Sciences of the USSR, Concise catalogue, T.1-2, Moscow, Nauka,1986 (Editor and one of the compilers);

Arabic Manuscripts and Handwritten Book Traditions, Moscow, Nauka, 1985.

ويهتم الآن بالمخطوطات العربية البالغة القدم، ولغويات العصر العباسي، والإسلام في روسيا.

الدكتور جورج مقدسي

أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة (١٩٧٣-١٩٩٠)، ومن أحدث مؤلفاته:

Religion, Law and Learning in Classical Islam, London: Variorum, 1991.

History and Politics in Eleventh Century Baghdad, London: Variorum, 1991.

The Rise of Humanism: With Special Reference to Scholasticism, Edinburgh: University Press, 1990.

و له اهتمامات عديدة في مظاهر الثقافة الإسلامية في العصور الوسطى.

الشيخ حمد الجاسر

علامة الجزيرة العربية ومؤرخها. شغل مناصب في التعليم والقضاء، وهو الآن صاحب «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر»، ويصدر مجلة «العرب» الشهرية، وهي في عامها الثامن والعشرين. له مؤلفات عديدة، منها:

«المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، في ٣ أجزاء.

«رحلات» (في وصف ما اطلع عليه من مخطوطات في أهم مكتبات العالم).

وقد حقق ونشر كتبا كثيرة، منها:

«بلاد العرب» للإصفهاني

«المغانم المطابة في معالم طابة»

«الدرر الفرائد المنظة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة».

وله تحت الطبع:

«التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري (دراسة، وترتيب، واختيارات)

«البلدان» للحازمي (شرح وتحقيق).

الدكتور ديفيد كنج

أستاذ ومدير معهد تاريخ العلوم بجامعة فرانكفورت، وشغل سابقا منصب أستاذ لغات الشرق الأدنى وآدابها وتاريخ العلوم بجامعة نيو يورك. من مؤلفاته:

Astronomy in the Service of Islam, Aldershot, Variorum Reprints, to appear in 1993;

Islamic Astronomical Instruments, London, Variorum Reprints, 1987;

Islamic Mathematical Astronomy, London, Variorum Reprints, 1986 (to be reprinted in1993);

A Catalogue (Arabic, 2 vols.) and *A Survey* (English, 1 vol.) *of the Scientific Manuscripts in the Egyptian National Library*, Winona Lake, Indiana, 1986.

وهو حاليا يعمل على وضع فهرست لجميع الآلات الفلكية الإسلامية الهامة (والآلات الأوربية حتى عام ١٥٥٠)، ويضم هذا الفهرست وصفا وتحليلا لكل آلة - بناء على معاينة شخصية. ومن المعتزم نشر هذا الفهرس في أجزاء، بدءا بأقدم الأسطرلابات الإسلامية (حتى حوالي ١٥٠٠). كما يهتم بدراسة تطبيق علم الفلك على الاحتياجات الدينية للمجتمع الإسلامي (الميقات، الصلاة، القبلة).

الدكتور رمضان ششن

رئيس قسم المخطوطات بمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA) بإستانبول، وقام بالتدريس سابقا في كلية الآداب بجامعة استانبول. وتشمل منشوراته:

Catalogue of Manuscripts in the Köprülü Library I–III, IRCICA, Istanbul,1986;

Salahaddin Devrinde Eyyübilen Devleti, Istanbul, 1983;

Nawadir al-Makhtutat al-Arabiyyah fi Maktabat Turkiya I-III, Beirut,1975–1982.

ويعمل حاليا في مجالات فهرسة المخطوطات الإسلامية وفي تاريخ الإسلام في العصور الوسطى.

الدكتور سيد حسين نصر

أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة جورج واشنطن، وشغل سابقا منصب أستاذ الفلسفة، وعميد كلية الآداب، ونائب رئيس جامعة طهران. له من المؤلفات:

Traditional Islam in the Modern World, London, 1987;

Science and Civilization in Islam, Cambridge, 1987;

Ideals and Realities of Islam, London, 1966.

ولا يزال اهتمامه الأساسي بالفكر الإسلامي وبالذات فلسفة العلوم الإسلامية.

الشيخ عبد العزيز أحمد الرفاعي

هوصاحب ومدير عام «دارالرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع»، وقد شغل سابقا منصب مستشار بالديوان الملكي بالمملكة العربية السعودية. له من المؤلفات:

«زيد الخير»

«أم عمارة»

«الرسول كأنك تراه»

ويهتم حاليا بإعداد سلسلة عن الشعراء المغمورين، وقد صدر له في ذلك :

«عبد الله بن أبي صبح المزني»

«خارجة بن فليح المللي»

الدكتور محمد الحبيب الهيلة

أستاذ بجامعة أم القرى، بمكة. وله من المؤلفات:

«معجم شيوخ الذهبي»، دراسة وتحقيق في جزئين، الطائف:١٩٨٨،

«برنامج الوادي أشي»، دراسة وتحقيق، تونس:١٩٨٢،

«الحلل السندسية في الأخبار التونسية» للوزير السراج، دراسة وتحقيق في ٣ أجزاء، لبنان: ١٩٨١.

ويعمل حاليا في:

«التاريخ والمؤرخون بمكة» (من القرن ٣ إلى ١٣ هـ).

«نيل المنى في ذيل إتحاف الورى»، لجار الله بن فهد المكي، دراسة وتحقيق.

فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة.

الدكتور محمد صابر خان

مدير مشروع «تاريخ العلوم في الهند» بأكاديمية العلوم، بنيودلهي. وشغل سابقا منصب مدير الكلية الحكومية للآداب والتجارة والفنون ببنغال الغربية.

له من المنشورات:

The Philosophy of Avicenna and its Influence on Medieval Europe,

ترجمة إلى الإنجليزية لكتاب Melle A M Goichon الفرنسي،

نيو دلهي: ١٩٦٩.

Unpublished Treatise of Miskawayh on Justice, E J Brill, Leiden, c.1964.

ويعمل حاليا بمشروع بحث في تاريخ العلوم بالهند، وباختيار جميع النصوص التي لها صلة بهذا الموضوع في المصادر العربية والفارسية.

الشيخ محمود شاكر

أديب العربية الكبير ذو التاريخ المتميز. من منشوراته شروح وتعليقات على:

«طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي، القاهرة: دار المعارف ١٩٥٢ ثم ١٩٧٤،

«تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل أي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ١٦ جزء، من ١٩٥٤ إلى١٩٦٩،

«جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار، الجزء الأول، القاهرة: مكتبة

دار العروبة ١٩٦٢.
ومن مؤلفاته:
«المتنبي»، السفران الأول والثاني، الطبعة الثانية، القاهرة: ١٩٧٧،
«أباطيل وأسمار»، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٩٦٥، الجزءان، القاهرة: مطبعة المدني ١٩٧٢.
«القوس العذراء»، القاهرة: الكتاب ١١ (١٩٥٢) ١٥١-١٧٨، ثم مكتبة دار العروبة ١٩٦٤، ثم مطبعة الخانجي ١٩٧٢.

الدكتور مهدي محقق

المستشار الأكاديمي لمؤسسة الموسوعة الإسلامية بطهران وأستاذ زائر غير متفرغ للمعهد الدولي للفكر والثقافة الإسلامية بكوالا لمبور، وشغل سابقا (١٩٦٠-١٩٨٠) منصب أستاذ الأدب والفلسفة وعلم الدين الفارسي بجامعات طهران ولندن ومجيل.
من منشوراته:
«مفتاح الطب ومنهاج الطلاب» لابن هندو، طهران ١٩٨٩،
The Metaphysics of Sabzawari, (with T Izutsu), Delmar, New York, 1977;
«رازي فيلسوف ري»، طهران: ١٩٧٠.
يستكمل حاليا تحقيق «كتاب الشكوك على جالينوس» للرازي.

الدكتور ولفرد مادلنج

أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد، وكان يشغل سابقا منصب أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة شيكاجو. له من المؤلفات:

Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubauslehre der Zaiditen, Berlin, 1965.
Religious Schools and Sects in Medieval Islam, London, 1985.
Religious Trends in Early Islamic Iran, Albany, 1988.
ويهتم بالبحث في الإسلام وتاريخه عموما.

١٩٩٢/ ١٤١٣

الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
Eagle House, The High Street, Wimbledon, London SW19 5EF

صف هذا الكتاب على الكمبيوتر الآبل ماكنتوش
بمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
بلندن

تمت الطباعة بمطابع أورورا
بلندن

الترقيم الدولي ٨ ٦ ٢ ٨٧٣٩٩٢ ١ ISBN